الأسرة فى الإسلام

وما يخالف أحكامها وآدابها

تأليف
علي بن إسماعيل القاضي
(أبو عبد الرحمن)

البحث الفائز بالجائزة
الأصلية فى مسابقة الدعوة والفقه الإسلامي
لعام ١٤٢٢هـ

أولاد الشيخ
مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٧٤١٠٧٠٤-٥٦٢٨٣١٨

٢٦٠,٤
ق ١٤٤

الأسرة فى الإسلام وما يخالف أحكامها وآدابها

البحث الفائز بالجائزة الأصلية في
مسابقة الدعوة والفقه الإسلامى
لعام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

تأليف
(أبو عبد الرحمن)
على بن إسماعيل القاضى

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
ت: ٥٦٢٨٣١٨٠ - ٧٤١٠٧٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع
٢٠٠٣/١٠٧٠٩

الترقيم الدولى
977-371-001-7

مكتبة أولاد الشيخ للتراث

٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - الهرم تليفون/ ٥٦٢٨٣١٨
٤٢ ش إبراهيم عبد الله من ش المنشية - فيصل/ ٧٤١٠٧٠٤
محمول / ٠١٠/٥١١٢٤٤٦

إهداء

إلى سماحة الشيخ العلامة الإمام المجاهد المحدث الفقيه الأصولي السلفي الزاهد فقيه الأئمة وإمام الفقهاء

أبي عبد الله محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله

الذي أحيا في قلوبنا حب السلف وعلمنا التأدب مع علمائنا والذي طالما استمعنا إليه في دروسه في الحرم المكي فغذَّى أرواحنا وروَّى قلوبنا.

رحمه الله وأجزل له المثوبة والأجر على ما قدم للإسلام ونافح عن الدين ونفع الله به المسلمين، تقبله الله في الصالحين.

(أبو عبد الرحمن)

علي إسماعيل القاضي

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الاحزاب: ٧١).

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، وبعد..

فتتكون الأمة من مجتمع إسلامى كبير، وهذا المجتمع ما هو إلا مجموعة أسر إن صلحت صلح المجتمع كله، وإن كانت هناك أسرة واحدة مريضة سرى المرض إلى بقية البناء، فالمسلمون كالجسد الواحد، أو هكذا يجب أن يكونوا..

إن الأسرة هى اللبنة الأولى للوطن، وبقدر ما فى الأسرة من تماسك ووعى وفهم لكل المراحل التى يجتازها المجتمع الإسلامى، بقدر تمسك الأسرة بقيمها وأخلاقها الإسلامية.

وما تتقدم أمة من الأمم إلا بسبب صلاح أسرها، والحقيقة التى لاشك فيها

ولا ريب أن سر قوة العالم الإسلامى فى عصوره الزاهرة. وسر مقاومته للفناء فى عصور الانحطاط إنما هو فى بقاء الأسرة معتصمة بتقاليدها العريقة، سليمة من التحلل والفساد، وهو ما فطن إليه أعداء الإسلام فأخذوا يصوبون سهامهم إلى الأسرة، وينسبون إليها سر تأخر المسلمين، وضعفهم، كأن القوم يشفقون علينا، ويحرصون على تقدمنا ورقينا، ولا يعملون بكل وسيلة لنشر الرذيلة، ومحاربة الفضيلة، واحتلال بلادنا، واستنزاف خيراتنا، واستئصال شأفتنا..!!.

يقول محمد طلعت حرب -رحمه الله.

(إن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوربا من قديم الزمان، لغاية فى النفس يدركها كل من وقف على مقاصد أوربا بالعالم الإسلامى).

ويقول أيضا -رحمه الله:- (إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامى فى الشرق - لا فى مصر وحدها إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل بل الفساد الذى عم الرجال فى الشرق).

ويقول أيضا -رحمه الله تعالى:- (إن إرادة الوصول إلى تغيير حال المرأة المسلمة، شىء كامن فى نفوس الفرنج لذلك كانوا يطالبون به كل من حادثهم من أدباء الشرق وعلمائه، حتى إنك ترى الواحد منهم متى ناظرته مشفقا على المرأة المسلمة إشفاقاً غريباً، ويرثى لحالها، ويصدر منه من الأقوال ما يدل على جهله بحالة المرأة وحقوقها فى الإسلام.

****

إن الأسرة هى الدولة الصغيرة، والخلية الأولى للمجتمع الكبير، ومجالها يتَّسعُ حتى تشمل الجار القريب، وَالجار البعيد، والصاحب بالجنب.

ويهتم الإسلام بالحث على إشاعة الإحسان بين أفراد الأسرة وخاصة الوالدين، وما نراه من قضايا العقوق، وعدم الإنفاق تضيق بها المحاكم إلا لتغريب الجيل،

وإهمال الجانب الخلقي والتربوى، وابتغاء الأخلاق من فلاسفة الغرب. واستبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير..

والأسرة المسلمة مكونة من رجل وامرأة أولاً فهما النواة التى تقام عليها الأسرة الكبيرة، ولا يجوز لأى أحدٍ منهما التخلى عن مسئولياته المنوطة به، فإنه مسئول عما أسند إليه أمام ربه يوم القيامة حفظ أم ضيَّع والوالدان هما اللذان يشرفان على تربية الأولاد ورعايتهم وتنشئتهم على أقوم طريق، فكلاهما راعٍ وكلاهما مسئول عن رعيته.

وإذا سارت تنشئة الأبناء والبنات فى الأُسرة على الطريقة المثلى كان ذلك أساساً صالحاً بتنشئة جيل صالح رشيد ينهض بالأمة، ويعلى شأنها ويتجه بها إلى الطريق السَّوِىِّ.

وقد أوضح الإسلام ما يكفل للأسرة الحياة الراضية، وينشر بين أفرادها روابط المودة والرحمة ويوثق الصلة بينهم، ويشيع فيهم خلال الخير.

وإلى جانب هذه الروابط العاطفية قد وضع الإسلام للأسرة كل ما تحتاج إليه من قواعد التشريع فى الزواج والنفقة والميراث، وكذلك الحقوق والواجبات التى ينبغى القيام بها، وأرسى دعائم الوفاق وتجنب الخلاف، وسعى إلى حلِّ ما عسى أن ينجم من شقاق بالتحكيم الذى يعود بالحياة الزوجية إلى الهدوء والاستقرار.

كما ربى الإسلام الفرد الذى هو اللبنة الصغرى، والطريقة المثلى لتنشئة الأسرة وهى اللبنة الكبرى للمجتمع، ولقد أرسى الإسلام للمجتمع الإسلامى المثالى الدعائم المتينة، وأقام عليها البناء الشامخ للمجتمع الفاضل، ولو سارت الإنسانية طبقا للنظام الإسلامى لحمدت السرى، وانجلت عنها عماية الغى والضلال، ولزال ما ارتطمت فيه الدول الآن من البغضاء والشحناء، وتخوف العدوان...

وبقواعد الإسلام فى تنظيم الحياة الاجتماعية والأسرية، ينشأ بيت مسلم يعرف كل فرد فيه حق الآخرين نحوه..

وتتعرض أسرنا لمشكلات كثيرة، ولو أننا تناولنا كل مشكلة وعرضناها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما وجدنا مشكلة تتفاقم ويعظم أمرها. إن الشرع الحنيف الذى اكتملت جوانبه صالح لكل زمان ولكل مكان ولكل الأشخاص. (ما فرطنا فى الكتاب من شىء)، والقرين الكريم هو دستور حياة وكتاب يحيا به الموات..

****

لقد شهدت أمة الإسلام اعتداءات وهجوم عليها من الداخل ومن الخارج، أما الهجوم عليها من الخارج فمن قبل المستشرقين وغيرهم الذين يريدون تعرية المسلمين من كل القيم والأخلاق.. فنفخوا فى آذان أوليائهم، ووسوسوا إليهم فصاروا يرددون ما يقول أسلافهم فى الغرب. فنادوا بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل، وخلعها الحجاب الذى يحجب عقلها عن العلم والتنوير، ووصموا الإسلام بأنه هو الذى يحجب عنها الضياء، وانجرفت المرأة تركض خلف دعواتهم التى لمعتها وسائل الإعلام المستغربة لهم، فاجتالتها الشياطين فإذا هى تتخبط فى مستنقعه، لا تجد مستقراً، ولا تهتدى طريقا.

لقد راعها من الغرب بريق مصانعه، وطرافة منتجاته، فرضيت بالسير وراء الهابطات من نسائه، تتبع آثارهن فى كل زى ومسلك، حتى أصبحت لا ترضى عن ثوبها، إلا بمقدار انطباقه على نماذجهن الواردة فى أزياء الهابطات وأشباههن.

فإذا رأيت ثوبها طويلاً يستر بعض العورة، فاعلم أنه صورة من ذلك النموذج الجديد، إننا لنحس بالأرض تميد من تحت بيوتنا وأسرنا، ونرى بناتنا وهن يتخبطن فى شَرَك الفتنة، فنهلع ونعظ ونذكر، ولكن تذهب تلك المواعظ، وكأنها خرف يكلم الأشباح، أو يطعن فى الرياح!!! أجل، لقد بات وضعُ المرأة المسلمة فى مهب الأعاصير، فليس من الحكمة أن يترك زمامه للدعوات الساقطة، تقذف به

حيث يشاء أولوا الأهواء.

إن الإسلام قد اعتنى بالمرأة أماً، وبنتاً وزوجاً، وأختاً.

لقد وضع الإسلام للمرأة سياجاً قوياً مانعا من الضياع، إذا هي أخذت به نجت، وإن هي أضاعته ضلَّتْ وهلكتْ، وذلك هو سياج الحشمة والعفاف، الذي يكون من مقتضاه الحجاب الشرعي، والقرار في البيت، والبعد عن مزاحمة الرجال، فتصبح بذلك جوهرة في صدفة، لا يعرفها إلا الخواص.

فالإسلام يرى في الإختلاط بين الرجل والمرأة خطراً محققا، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج، وأعداء الإسلام يدركون قيمة الحجاب، وأثر قرار المرأة في بيتها، في حماية المرأة المسلمة، وصيانتها وعفتها وطهارتها، ولذلك تراهم يشنُّون على الحجاب حرباً شعواء، لا هوادة فيها، فيصفونه بالظلم والجور تارة، وبأنه دخيل على حياة المسلمين أخرى، وبأنه يحول دون تقدم المجتمع ثالثة، وهم بذلك يزينون للمرأة الخروج من بيتها، بسبب وبدون سبب، وما بأعداء الإسلام عطف على المرأة المسلمة ولا رحمة بها، ما بهم غيرة على الإسلام، ولا حبُ بالمسلمين، إنما هو لاغير الحقد الدفين، والكيد المضمر، والكراهية المكنونة، في نفوسهم. ﴿هَا أَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ﴾ (آل عمران: ١١٩).

ويالأسف الشديد، فكم من المسلمين من استسلم لإغوائهم، وكم من المسلمين من رضع من أثداء حربهم لحجاب المرأة، فلا ريب أن منهم من قد غُسلتْ أدمغتهم في دهاليز الكفر، وترعرعوا في كنف الإلحاد، فالتحف فريق منهم الإسلام وتبطن الكفر، حمل بين كفيه لساناً مسلماً، وبين جنبيه قلبا كافراً مظلماً، حرص كل الحرص على أن ينزع حجاب المرأة المسلمة، ويخدش كرامتها، فلم يجد أولئك أعون لهم من أن يقدموا لنا تحرير المرأة على طبعه الإسلامي، ويتولى تزيين هذا الطبق سدنتُهُ من أرباب الشهوة، وعباد المرأة، ومن الذين كرهوا ما نزل الله، وقد ذكرنا طرفا من هذا النوع الذين هم من بني جلدتنا يتكلمون

بلساننا ويعيشون معنا، وقلوبهم تكن لنا كل حقد وحسد.

فيا فتاة الإسلام لا تسمعى كلام أولئك الذين يزينون لك حياة الإختلاط، باسم الحرية والمدنية والتقدمية، فنحن عدداً من هؤلاء لا يهمه منكِ إلا اللذة العارضة والشهوة المسعورة.

إننى أقول للأخت المتبرجة:- «رويدك مهلاً» لقد ملأت بتبرُّجَك دروب الناس ألغاماً، فاحفظى حياءك، والزمى حدود الحشمة.

إن سائلا يسأل ما لهذا الكلام والأسرة المسلمة؟، نقول له:- إن هذا الكلام الذى ذكرناه هو ذو صلة وثيقة بالحفاظ على كيان الأسرة المسلمة، والتنبيه على مخالفتها للأحكام والآداب، ذلك لأن المرأة نصف المجتمع وهى تلد النصف الآخر، فهى المجتمع كله. فإن صلحت صلح المجتمع، وإن فسدت فسد المجتمع كله...

وهذا البحث قد تناولنا فيه مكانة الأسرة فى الإسلام ومشكلاتها وأثار هذه المشكلات والحل الإسلامى لها، وما تعانيه الأسرة من حرب ضروس عليها وعلى قيمها وأخلاقها، وما تخالف فيه الأسرة الأحكام والآداب فهى موضوعات من الأهمية بمكان.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وهى كما يلى:-

التعريف بعنوان البحث والمقصود منه.

الفصل الأول:- الأسرة فى الإسلام.

الفصل الثانى:- المشكلات الأسرية - الأسباب، الآثار، الحلول.

الفصل الثالث:- الهجوم على المرأة والأسرة المسلمة، ويتمثل فى المؤتمرات والندوات التى عقدت لتهاجم المرأة المسلمة وتمكر بها، وبعض الشخصيات التى هاجمت الأسرة والمرأة والقيم والأخلاق الإسلامية.

الفصل الرابع:- مخالفة الأسرة المسلمة للأحكام والآداب، قدمت فيه بمقدمة

تحذر من التشبه بغير المسلمين وأثر ذلك على الفرد والمجتمع. ثم ذكرت بعض المحاذير والأخطاء الوافدة للتحذير منها. ثم عرضت بعض هذه المخالفات وحكم الإسلام فيها..

والخاتمة:- قدمت فيها النتائج وقدمت فيها التوصيات التى أرى أنها تصلح من المجتمع وتجعله مجتمعا إسلاميا يعود بنا إلى الينابيع الصافية، تاركين الينابيع الكدرة.

هذا فإن أكن قد وفقت فمن الله وحده، والفضل منه وإن تكن الأخرى، فحسبى أننى أردت الإصلاح، ويؤجر المؤمن على نيته، ونسأله سبحانه الإخلاص فى القول والعمل.

وأن يجعله فى موازين أعمالى.. وان يحفظ أمتى من كل سوء، وان يرد كيد المعتدى.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتب / أبو عبد الرحمن

على إسماعيل عباس القاضى

السبت ١٦ من شهر الله المحرم سنة ١٤٢٣هـ

الموافق لـ ٣٠ / ٣ / سنة ٢٠٠٢م

فى ميت حلفا / قليوب / القليوبية

• عنوان البحث •

من العلوم فى مناهج البحث وطرق كتابته، انه لابد للكاتب أن يعرف بعنوان كتابه أو بحثه وان نتصور عنوان الكتاب أو البحث ببيان مفرداته إن كان مركبا، وبالمراد منه بعد التركيب وذلك إيمانا منا بالقول المعروف، (الحكم على الشيء فرع عن تصوره).

وعنوان البحث هو. (الأسرة فى الإسلام والرد على ما يخالف أحكامها وآدابها)، وفيه خمس كلمات لابد من معرفة معناها وهى، (الأسرة، الإسلام، المخالفة، الأحكام، الآداب).

(١) الأسرة:- الأسرة فى اللغة هى:- أهل الرجل وعشيرته، وسميت بهذا الاسم بما فيها من معنى القوه، حيث يتقوى الرجل بهم، والأسر: شدة الخلق ويقال: شد الله أسره: احكم خلقه.

والأسر أيضا: الربط بقوة مأخوذ من الأسر وهو جلد البعير رطبا، وهو القد، وسمى الأسير أسيرا لشدة قيده بقوة بجلد البعير الرطب، وفى قوله تعالى:- ﴿ **نحن خلقناهم وشددنا أسرهم** ﴾ كناية عن الإتقان والقوه فى الخلق، وقد بين الله سبحانه ذلك فى قوله:- ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ (التين:٤)، وقوله:- ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾ (السجدة:٧).

قال الأخطل:-

من كل مُجْتنبٍ شديدِ أسره سَلِسِ القِيادِ تخالُهُ مختالا [١]

والأسرة فى الشرع: هى الجماعة التى ارتبط ركناها بالزواج الشرعى والتزمت

(١)- البيت أورده الإمام الشوكانى فى فتح القدير ٥ / ٥٠٤ والقرطبى فى التفسير ١٩ / ١٤٦ وانظر مفردات القرآن للراغب مادة (اسر)، ومعانى القرآن للفراء، وتفسير الطبرى، والمحرر الوجيز لابن عطية والمعجم الوجيز، والقاموس المحيط للفيروز ابادى.

بالحقوق والواجبات بين طرفيها وما نتج عنهما من ذرية وما اتصل بهما من أقارب.[٢]

وعرفها علماء الاجتماع بأنها: (جماعة صغيرة ذات أدوار ومراكز اجتماعية مثل زوج، أب، أم، ابنة، ابن - يربطهما رباط الدم، الزواج، التبنى، وتشترك فى سكن واحد وتتعاون اقتصاديا.

وترتكز الأسرة فى العادة على زواج شخصين (ذكر وأنثى) ويتمتعون بعلاقات جنسية يقرها المجتمع، ويتوقع أن تشمل الأسرة أطفالا يتحمل الكبار مسئولية تربيتهم.

ويعرفها (أوجبرن) بأنها: (رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفال أو بدون أطفال، أو من زوج بمفرده مع أطفاله أو زوجة بمفردها مع أطفالها، وقد تكون الأسرة اكبر من ذلك فتشمل أفراداً آخرين كالجدود والأحفاد وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين فى معيشة واحدة مع الزوج والزوجة.[٣]

(٢) الإسلام:- الإسلام مصدر أسلم، ويأتى بمعنى خضع واستسلم، وبمعنى أدى، يقال: أسلمت الشىء إلى فلان إذا أديته إليه، وبمعنى دخل فى السلم، وهو بالفتح والكسر بمعنى الصلح والسلامة، وبالتحريك بمعنى: الخالص من الشىء، وتسمية دين الله إسلاماً يناسب كل معنى من معانى الكلمة فى اللغة[٤] والإسلام يأتى بمعنى الإيمان والطاعات. والأصل فى مسمى الإيمان والإسلام التغاير، كما فى حديث جبريل.[٥]

---

(٢)- الأسرة تحت رعاية الإسلام للشيخ: عطية صقر ١ / ٣٣.

(٣)- علم الاجتماع العائلى للوحيش احمد بيرى ص ٤٩ وما بعدها، وراجع بتوسع: علم الاجتماع العائلى د/ سهير العطار ص ٦٩ وما بعدها، ورسالتها للدكتوراه (الأسرة كنظام للضبط الاجتماعى) ص ٢٣-٢٤ كلية البنات جامعة عين شمس.

(٤)- مفردات القرآن للراغب، وتفسير المنار للإمام السيد محمد رشيد رضا ٣ / ٢١٢ وراجع كلماته عن حقيقة الإسلام؛ فهى كلمات جيدة نافعة لم يسبق إليها.

(٥)- المتفق عليه عند الشيخين. راجع اللؤلؤ والمرجان لمحمد فؤاد وعبد الباقى ١ / ١٢.

وقد يكون بمعنى المرادفة فسمى كل واحد منهما باسم الآخر ؛ كما فى حديث وفد عبد القيس[٦]، وقوله ﷺ :- «الإيمان بضع وسبعون بابا»، وفيه الحياء شعبة من الإيمان[٧] ويكون بمعنى التداخل وهو أن يطلق أحدهما ويراوبه مسماه فى الأصل ومسمى الآخر، كما فى قوله تعالى:- ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: ١٩).[٨]

(٣) المخالفة:- من مادة (خلف) الشيء وخلوفاً: تغير وفسد ومنه: خَلَفَ فم الصائم: تغيرت رائحته.

و(خَالفَ) عن الأمر:- خرج قال تعالى:- ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور ٦٣)، وخالف الشيء: ضاده، و(تخلف) عن النوم: قعد عنهم ولم يذهب معهم.

و(الخالفة):- القاعدة فى الدار من النساء، قال تعالى:- ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ (التوبة:٨٧)، والمتخلف عن القوم: الذى لا خير فيه.

و(المخالفة):- الجريمة التي يعاقب عليها القانون أساسا بالحبس الذى لا يزيد على أسبوع أو الغرامة التى لا تزيد على جنيه.

والتخلف:- «فى علم النفس» بُطء فى النمو العقلى للطفل حين يقل الذكاء عن حد السَّواء.[٩]

والمقصود هنا من عنوان البحث: ما يخرج عن أحكام الإسلام وما يخالف ما أمر الله به، وكان التخلف هنا قعد عن الأمر ولم يمتثل مع جماعة المسلمين.

والمتخلف عن جماعة المسلمين هو الذى لا خير فيه. والمخالف يستحق عقوبة دنيوية أو أخروية.

---

(٦)- أخرجه مسلم فى (الإيمان) ١ / ٤٧، ٤٨ .

(٧)- مسلم رقم ٣٥ والزيادة له، والترمذى ١٥ / ١٠وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٨)- تفسير القرطبى ٤ / ٤٧.

(٩)- المعجم الوجيز مادة (خلف) بتصرف.

(٤) الأحكام:- من (حكم) بالأمر و(حُكما): قضى، و(الحُكم): العلم والتفقه، وكذلك (الحكمة).

و(الأحكام):- مجموعة أوامر ونواهى مصدرها من الله ورسوله، لا يجوز لمسلم أن يتجاوزها أو يتعد حدودها.

و(الحكم) عند علماء الأصول: هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين على جهة الاقتصاد أو التخيير أو المتعلق بالأعم من أفعال المكلفين على جهة الوضع.

وقد قسَّم علماء الأصول الحكم التكليفى إلى أقسام باعتبار ذاته أى باعتبار ما تضمنه من طلب أو تخيير إلى خمسة أقسام:

١- الإيجاب. **٢- (الندب).** **٣- التحريم.**

٤- الكراهة. **٥- الإباحة.** ويرجع إلى كتب أصول الفقه والدراسات المختصة بها للتفصيل.

الآداب:- هى رياضة النفس على محاسن الأخلاق والعادات، و(أدَّب) فلانا: راضه على محاسن الأخلاق، و(تادَّب) بأدب القرآن، أو أدب الرسول ﷺ احتذاه، والأدب: رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغى.

والمقصود «بالأسرة فى الإسلام وما يخالف أحكامها وآدابها»

أى: أحكام هذه الأسرة «هذا المجتمع الصغير» ومراعاة قيمة وآدابه وما حكم الله به من أحكام تتعلق بها على جهة الوجوب أو التخيير، والتى لايجوز لأى عضو من أعضاء هذه الأسرة أن تتمثل لها مأخوذة من المصدرين الكبيرين القرآن والسنة، ومما استنبطه منهما فقهاء التشريع، وما جاءت به قرائح المفكرين متصلا بهذا الموضوع ودينَ الإسلام لم يترك الأسرة دون تنظيم؛ لأنه دين كامل واف، وكتابه نزل تبيانا لكل شىء.

الفصل الأول
(رعاية الإسلام للأسرة)

مكانة الأسرة فى الإسلام

عرف الإسلام للأسرة قدرها، وقرر لها مكانة عظيمة تتجلى من الاهتمام بشؤونها فى كتاب الله زواجاً ورضاعاً وطلاقاً وإرثاً، واستطاعت الأجيال المتعاقبة أن ترسخ معانى إسلامية عميقة في الأسرة فى مجتمعاتنا.

وقد حاط الإسلام بجملة كبيرة من التشريعات لتؤدى وظيفتها لتؤدى وظيفتها على الوجه الأكمل.

فالأسرة هى الخلية الأولى فى جسم المجتمع، وهى المجتمع الصغير، لان المجتمع الكبير مكون من مجموع أُسَر.

وعناصر الأسرة هى الزوجان والأولاد، وليس المجتمع فى نظر الإسلام أفرادا متناثرين لا تربطهم روابط، بل هى جملة من المجموعات تؤلف بين كل منها رابطة النسب، ثم تجمع بينها كلها رابطة الروح بالاخوة الدينية.

ومن هنا حث الإسلام على تكوين الأسرة المستقرة بالزواج المنظم حسب الأحكام الشرعية الموضوعة له، ليكون هناك السكن الروحى وملء الفراغ النفسى والعاطفى بطريقة مهذبة تنتج الخير، وتبعد بالإنسان عن الشر، وكان ذلك من اعظم مظاهر النعم الالهية على الإنسان، قال سبحانه: - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

وكانت الأسرة السعيدة من أهم الأمانى التى يطلبها عباد الرحمن، قال تعالى فى وصفهم ودعائهم: - ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ

أعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٤).

إن الأسرة هى عماد المجتمع، وقاعدة الحياة الإنسانية، وهذه حقيقة من الحقائق التى لا خلاف عليها بين كافة العلماء فى جميع مجالات العلم.

والأسرة إذا أسست على دعائم رائحة من الدين والخلق والترابط الحميم، فإنها تكون لبنة قوية فى بنيان الأمة، أو خلية حية فى جسم المجتمع، ومن ثم اهتم الإسلام بصلاح الأسرة، لأن صلاحها هو السبيل الوحيد لصلاح الأمة، وفساد المجتمع وانهياره.

ولأهمية الأسرة البالغة كان الاهتمام الذى أولته التشريعات والقوانين الوضعية لها، خاصة الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان المهيمنة على كل الشرائع قبلها والناسخة لكل الأحكام السابقة عليها.

وقد قرر الإسلام المبادئ التى تقوم عليها الأسرة المسلمة، والتى تكفل لها حياة آمنة مطمئنة تقوم على معانى المودة والرحمة والسكن والوئام كما فى قوله تعالى: - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

وظلت الأسرة المسلمة عبر مراحل التاريخ الإسلامى تتمتع بقسط وافر من الآداب الإسلامية، كالترابط والتراحم والتكافل، والتعاون على البر والتقوى، والإيثار والمحبة والكلمة الطيبة، واحترام الكبير، والعطف على الصغير، وصلة الرحم، ومن ثم كان للأسرة دورا فعالا فى حياة الأمة المسلمة... ومن هنا كان للمجتمع الإسلامى القيادة والريادة على العالم، والسبق الحضارى الذى أنار للغرب طريق العلم والتقدم وأنقذهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام يوم أن تمسك المسلمون بهذه الآداب والقيم.

دور الأسرة تجاه ما يحاك بهم.

وقد أحس أعداؤنا -وهم يحاولون هدم هذه الأمة - صلابة هذه اللبنة، وقوة

هذا الحصن.. ومن اجل ذلك كان فى العصر الحديث هجوم مركز على الأسرة، استخدموا فيه كل القوى التى يمكن أن تصل إلى أيديهم، وما أكثرها»
﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (الأنفال: ٣٠).

لقد استخدموا سن القوانين التى تفتت الأسرة فى كثير من بلاد المسلمين، وشنوا حملات عليها من طريق الفن بواسطة وسائل النشر والإعلام من قصص وصحف ومجلات وإذاعة وتليفزيون ومسرح وسينما، ومازالوا فى طريقهم ماضين.

ويساعد هذه الحملات المسعورة فى أحيان كثيرة - سيطرةُ النزعة المادية على كثير من الناس. ومما يؤسف له أن هذه الأسرة المستهدفة من قبل الأعداء مهددة أيضا من قبل أصحابها المسئولين عنها... وإن المسئولية فى الأسرة يتحملها الرجل فى قطاع كبير قال ﷺ:- «كلكم راع ومسئول عن رعيته... والرجل راعٍ فى أهله ومسئول عن رعيته» كما أن المرأة أيضا تتحمل مسئولية قررها رسول الله ﷺ بقوله:- «والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها».

إن على كل أب وكل أم أن يستشعر هذه المسئولية نحو الأسرة.

فهناك خطر داهم ماحق خطير، والأسرة هى القلعة الأخيرة التى إن خسرناها نكون قد أضعنا كرامتنا وديننا ومجتمعاتنا، وذلك لان اكثر شعوب العالم الإسلامى غزيت بما يهدد عقيدتنا فى عدة مجالات: (فى المدرسة.. ومناهج التعليم.. فى السوق والمتجر والمصنع.. فى وسائل الإعلام وأدوات تكوين الرأى العام)(١٠)

مكونات الأسرة.

الأسرة لبنة من لبنات الأمة، التى تتكون من مجموعة أسر، يرتبط بعضها ببعض، ومن الطبيعى أن البناء المكون من لبنات يأخذ ما لهذه اللبنات من قوة أو

---

(١٠)- بتصرف واختصار من كتاب: «نظرات الأسرة المسلمة» لفضيلة الدكتور/ محمد الصباغ ص ٢٨ وما بعدها.

ضعف، فكلما كانت اللبنات قوية ذات تماسك ومناعة، كانت الأمة المكونة منها كذلك قوية ذات تماسك ومناعة، وكلما كانت اللبنات ذات ضعف وانحلال، كانت الأمة كذلك، ذات ضعف وانحلال.

ومن هنا كانت العناية بتقوية الأسرة، من أهم ما يجب على المصلحين رعايته واخذ الطريق إليه.(١١)

والأسرة المسلمة تبدأ نواتها من زوجين اثنين. ذكر وأنثى، يجب أن تتوافر فى كل منهما صفات قبل ارتباطها لتكون أسرة بعد ذلك صالحة.

والأسرة زوجان بينهما أولاد، وقد عنيت الشريعة الإسلامية أبلغ العناية بالأسرة فى اختيار الزوج والزوجة (١٢) ووضعت مواصفات لكل منهما.

صفات الزوج الصالح:- ونذكر لك طرفا من هذه المواصفات التى يجب توافرها فى كل منهما حتى تستقيم الحياة وتصلح شئونها.

١ - أن يكون كفؤاً لمن يتقدم إليها.

٢ - أن ترضى هى عن شانه كله.

والاستيثاق يكون بجميع الوسائل المتاحة له من حال طالب الزواج (شخصيته، دينه، أخلاقه، موارده المالية... إلى جانب رضى المخطوبة عنه شكلاً.

ويتهاون كثير من أولياء الأمور والزوجة فى الاستيثاق من شأن الخطيب الذى يتقدم طالباً الزواج، ثم بعد الزواج تكون الكارثة ويكتشفون أنه كان كذاباً فى كل ما أدلى به من معلومات شخصية له ويكتشفون أنه قد غرَّر بهم، وهذا تقصير من الزوجة وأهلها مما ينتج عنه بعد ذلك التفكك الأسرى أو تنازل الزوجة عن بعض

---

(١١)- الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص١٤١.

(١٢)- يطلق لفظ «الزوج» على الذكر والأنثى، فكلا منهما زوجا للآخر كما قال تعالى:- ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ (النساء:١)، فالرجل بالنسبة للمرأة زوج، والمرأة بالنسبة للرجل زوج أيضا، وهذا هو الأفصح فى اللغة بغير تاء التأنيث.

الواجبات الدينية مقابل أن تعيش بلا مشاكل أسرية وهذا لايخفف من المشكلات الأسرية بل يجعلها تتفاقم وتنهار لبناتها واحة تلو الأخرى وإلى الزوجة وأهلها نوجه هذه الكلمات لتكون لهم نبراساً يضيء الطريق أمامهم ومتى تخلوا عن هذه الوصايا فلا يلوموا إلا أنفسهم.

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت:- «النكاح رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته»[١٣]

يقول الإمام الغزالي:- (يجب على الولى أن يراعى خصال الزوج، ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خَلْقه، أو خُلُقه، أو ضعف دينه، أو قصرَّ عن القيام بحقها، أو كان لا يكافئها فى نسبها).

وقال:- (فإن من زوج ابنته ظالماً أو فاسقاً أو مبتدعاً أو شارب خمر فقد تعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار لها. وقد قال رجل للحسن قد خطب ابنتى جماعة، فمن أزوجها؟

قال:- «ممن يتقى الله، فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها فلن يظلمها»[١٤]

ونحن نستطيع أن نقيس بقية أدواء العصر على مثل ما ذكره الإمام الغزالي.

أما حين يستوثق ولى الأمر من دين الخاطب وخلقه وسائر أحواله الموافقة لحال المخطوبة، فحينئذ تنبغى إجابة طلبه، وإلا انتشر الفساد وعمت الفتنة أرجاء الأرض، كما جاء فى قوله الصادق ﷺ:- «إذا جاءكم من ترضونه دينه وخلقه فزوجوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير»[١٥]

---

(١٣)- روى مرفوعا لكن وقفه على عائشة واسماء - ابنتى أبى بكر، اصح كما ذكره الحافظ العراقى فى تخريجه لأحاديث الأحياء

(١٤)- إحياء علوم الدين٤/ ١٣٣.

(١٥)- الحديث أخرجه الترمذى (١٠٨٥) وقال: هذا حديث حسن غريب، وله شواهد منها ما أخرجه الترمذى (١٠٨٤) وابن ماجة (١٩٦٧) والحاكم فى المستدرك ٢ / ١٦٤،١٦٥، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه - مرفوعا: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه ألا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض، وفساد عريض» واخرجه ابن عدى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما. والحديث حسن لشواهده.

فلا ينبغى لمن بيده عقدة النكاح حينئذ أن يرد الخاطب إذا تحققت فيه صفات الصلاح ووافقت المخطوبة عليه، ولو كان ينتظر من يتقدم إليها من هو أكثر منه مالا وأعز نفراً.

ومن أجل هذا فإن ولى أمر الزوجة فى العصور الأولى كان يجتهد فى أن يبحث لموليته عن الزوج الذى يرضى دينه وخلقه، ليضع كريمته فى بيئة طيبة وتنعم بالحياة الآمنة.

بل كان ولى أمرها لا يجد غضاضة ولا يأنف أن وجد الزوج اللائق بابنته أن يعرضها عليه، ويحزن أشد الحزن إن لم يوفق فى ذلك أو رفض هذا الرجل الذى كان يطمع فيه أن يكون زوجا لابنته، ولا غرابة فى ذلك فلنا فى الصحابة الكرام -رضى الله عنهم- الأسوة بعد النبى ﷺ فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعرض ابنته حفصة -رضى الله عنها- بعد ما تأيمت على عثمان رضى الله عنه فيقول له عثمان: سأنظر فى أمرى، ثم بعد ليالى يقابله ويقول له: قد بدا لى ألا أتزوج يومى هذا، فلقى أبا بكر رضى الله عنه فعرضها عليه قائلا: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر، فلم يرجع إليه شيئاً، فغضب عليه عمر أشد من غضبه على عثمان، وبعد ليالى خطبها رسول الله ﷺ فزوجها عمر له، فلقيه أبو بكر فقال:- لعلك وجدت علىَّ حين عرضت علىَّ حفصة فلم ارجع إليك شيئاً، فقال:- نعم، فقال:- فإنه لم يمنعنى أن ارجع إليك شيئا حينما عرضت علىَّ إلا أننى كنت علمتُ أن النبى ﷺ ذكرها.

فلم أكن لأفشى سرَّ رسول الله ﷺ ولو تركها النبى ﷺ لقبلتها.(١٦)

وليس بخاف علينا عرض النبى ﷺ ابنته أم كلثوم - رضى الله عنها- على

---

(١٦)- القصة فى البخارى (٥١٢٢) فى النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، والنسائى ٦ / ٨٣، ٨٤ - وأحمد فى المسند (٧٤) والطبرانى فى الكبير ٢٣ / ١٨٦، ١٨٧ برقم (٣٠٢)، وابن عبد البر فى الاستيعاب ١ / ٤٣٧، ٤٣٨ - وأبو عبيدة فى أزواج النبى ص. (٦٨) وابن حجر فى الإصابة١/ ٤٥٦.

ذى النورين عثمان -رضى الله عنه- كما حكى ذلك الزرقانى فى شرحه على المواهب.

وهذا سعيد بن المسيب-[١٧] إمام التابعين - رحمه الله - يعرض ابنته على أحد تلاميذه. مقتديا بخير من وطئ الثرى ﷺ.

وكانت المرأة على عهد النبى ﷺ ومن بعده تجتهد على قدر طاقتها فى البحث عن شريكها، بل قد تعرض نفسها عليه إن أعجبت به ورأت منه صلاحا فى الدين والدنيا.

وقد روى الإمام مسلم قصة زواج فاطمة بنت قيس وطلبها من النبى ﷺ استشارته فى نكاح معاوية أو أبى الجهم لما انتهت عدتها من طلاقها، «قالت:- فلما حللت ذكرت له؛ أن معاوية بن أبى سفيان وأبا جهم خطبانى. فقال رسول الله ﷺ أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له. أنكحى أسامة بن زيد» فكرِتُهُ. ثم قال: «أنكحى أسامة» فنكحتُهُ. فجعل الله فيه خيراً، واغتبطتُ[١٨]

وفى رواية لمسلم - أنها قالت:- «قال لى رسول الله ﷺ إذا حللت فآذنينى» فآذنته. فخطبها معاوية وأبو جهم وأسامة بن زيد. فقال رسول الله ﷺ «أما معاوية فرجل ترب لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضراب النساء، ولكن أسامة

(١٧)- هو الإمام العلم، سيد التابعين فى زمانه سعيد بن المسَيَّب بن حزْن بن أبى وهب بن عمرو عائذ بن عمران بن مخزوم القرشى المخزومى، أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين، اتفق أهل الحديث على أن مراسيله اصح المراسيل، قال ابن المدينى:- لا اعلم فى التابعين أوسع علما منه. توفى سنة ٩٤ هـ أبوه صحابى، بقى إلى خلافة عثمان وجده حَزْن كذلك - استشهد باليمامة. فائدة فى ضبط المسَيب: قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان٢/ ٣٧١:- «والمسَيَّب بفتح الياء المشددة المثناة من تحتها، وروى عنه انه كان يقول بكسر الياء، ويقول سيب الله من يسيب أبى» وذكر النووى فى شرحه على مسلم فى عدة مواضع منها١/ ١٨٩ أن الأشهر الفتح. انظر ترجمته فى الطبقات الكبرى ١١٩/٥- ١٤٣، وحلية الأولياء ٢/ ١٦١ - ١٧٥، ووفيات الأعيان٢/ ٣٧١- ٣٧٨- وتهذيب الكمال١١/ ٦٦-٧٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧-٢٤٦.

(١٨)- أخرجه مسلم (-١٤٨٠)، ومالك فى الموطأ ٢ / -٥٨٠، والشافعى فى الرسالة (٨٥٦).

بن زيد» فقالت بيدها هكذا: أسامة! أسامة! فقال لها رسول الله ﷺ «وطاعة رسوله خير لك قالت فتزوجته فاغتبطت».(١٩)

بعد هذا كله نستطيع أن نقول:- إن مهمة اختيار الزوج خطيرة أكثر من اختيار الزوجة، ولهذا يجب أن تؤخذ الآراء فى التحرى عن الخطيب من عدة أشخاص ذوى خبرة، ويستشار العقلاء لتجنب ما يحدث لو تم القبول دون السؤال والمشورة.

صفات الزوجة الصالحة

يجب على من يريد الزواج أن يتخيَّر الزوجة الصالحة التى سوف تكون القاعدة لأسرته المسلمة، وهى أساسها فهى التى تلد، وهى التى تُربى وترعى أولادها فى غياب زوجها حين طلبه للرزق، والسعى فى مناكب الأرض. والمتهاون فى اختيار الزوجة سوف يجنى الويل ويحصد الهلاك، ويدعوا ثبوراً، وما ذلك إلا لمخالفته لتعاليم الإسلام فى حسن اختيار الزوجة الصالحة.

فالزوجة أهم أركان الأسرة، وهى المنجبة للأولاد، وهى المؤثرة فيهم؛ فعنها يرثون كثيراً من المزايا والعادات.

(إن بناء الأسرة هو أخطر بناء فى كيان المجتمع، بل فى كيان الأمة بأسرها، فإذا كان الناس يعنون عند إقامة أبنيتهم من الأحجار، باختيار الموقع المناسب، وتحرى الخامات الجيدة، التى تكفل سلامة البناء، وتضمن بقاءه إلى حين، إذا كان هذا هو شأن الناس فى إقامة الأبنية المكونة من الأحجار والطين، فإن بناء الأسرة المكونة من الرجال والنساء والبنين أولى بالدقة عند الاختيار، وأجدر بالتقصى والاستفسار، لأن بناء الأحجار يتعلق بشئون الدنيا وهى فانية، وبناء الأسرة يتعلق بسعادة الدنيا، ويمتد أثره إلى الآخرة، وهى دار القرار).(٢٠)

---

(١٩)- أخرجه مسلم فى الطلاق - باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها. حديث رقم (٤٧).

(٢٠)- عورة الحجاب لفضيلة الشيخ / محمد بن احمد إسماعيل المقدم ٢ / ٢٣٥.

(إن البيت قلعة من قلاع هذه العقيدة، ولابد ان تكون القلعة متماسكة من داخلها، حصينة فى ذاتها، وعلى كل فرد من أفراده أن يقف على ثغرة كيلا ينفذ منها العدو، أو يقتحمها العسكر، وواجب المسلم أن يُؤَمِّن هذه القلعة من داخلها، واجبه أن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً).

(الأب المسلم لا يكفى وحده لتأمين القلعة فلابد أيضا من الأم المسلمة ليقوما معا على تربية الأبناء والبنات [٢١].

يجب على الزوج أن يهتم باختيار المسلمة لإقامة البيت المسلم، ومن لم يوفق صار البنيان منهاراً.

وأما الصفات التى يجب أن تراعى فى الزوجة فهى:-

١-أن تكون ذات دين:- لقوله ﷺ:- «تنكح المرأة لأربع لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» [٢٢].

وقوله ﷺ:- «تربتْ يداك» يعنى: التصقت بالتراب، من الدعاء، وهذا الدعاء وأمثاله كان يرد من العرب ولا يريدون به الدعاء على الإنسان، إنما يقولونه فى معرض البلاغة فى التحريض على الشىء، والتعجب منه، ونحو ذلك. [٢٣]

فالشق الأول من الحديث تقرير للواقع للناس فى طلب نكاح النساء، والشق الثانى إرشاد من الرسول ﷺ لمريد النكاح فى أن يختار ذات الدين، لانه سيلتصق بالتراب إن لم يفعل. وهو كناية عن المذلة التى سوف يجدها فى نكاح غير ذات الدين.

وقد يدعو الرجل للزواج بالمرأة مالُها أو حسبُها أو جمالها، وأخيراً دينُها، فجعل الرسول ﷺ الاعتبار الأول للدين، فان المال أو الحسب أو الجمال قد يكون

---

(٢١)- السابق نقلا من «منهج التربية النبوية للطفل» لمحمد نور سويد ص٢٩.

(٢٢)- متفق عليه، البخارى (٥٠٩٠) ومسلم رقم (١٤٦٦). وأبو داود (٢٠٤٧)، والنسائى (٦/٦٨) فى النكاح باب كراهية تزويج الزناة، ولتوجيه الحديث انظر: «عون المعبود» ٦ / ٤٠.

(٢٣)- جامع الأصول لابن الأثير١١/ ٤٣٠.

سببا في عدم تحقق السعادة الزوجية.

يقول الإمام الغزالي:- «فإنها -أي الزوجة- إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها، آزرت بزوجها، وسوّدت بين الناس وجهه، وشوشت بالغيرة قلبه، وتنغص بذلك عيشه.

فان سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة، وان سلك سبيل التساهل، كان متهاونا بدينه وعرضه، ومنسوباً إلى قلة الحمية والأنفة، وان كانت مع الفساد جميلة، كان بلائها أشد، إذ يشق على الزوج مفارقتها، فلا يصبر عنها، ولا يصبر عليها.(٢٤)

وقد عدَّ النبي ﷺ المرأة الصالحة من خير المال وأفضله فعن ثوبان رضي الله عنه قال: - لما نزلت: - ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم**﴾ (التوبة: ٣٤)، كنا مع رسول الله في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: «أُنزلتْ في الذهب والفضة، لو علمنا أي المال خيرا فنتخذه؟».

فقال رسول الله ﷺ :- «أفضله لسانا ذاكرا، وقلباً شاكرا، وزوجة مؤمنة تُعينه على إيمانه» (٢٥)

ويرحم الله الناظم إذ يقول:-

من خير ما يتخذ الإنسان في ... دنياه كيما يستقيم دينُهْ
قلب شكور ولسان ذاكر ... وزوجة صالحة تُعينُه

وعدَّ الله الزوجة الصالحة صاحبة الدين، من أسباب سعادة المؤمن، والمرأة السيئة الخلق من أسباب الشقاء، عن سعد رضي الله عنه قال:- قال رسول الله ﷺ ثلاثة من السعادة، وثلاثة من الشقاء، ومن السعادة: المرأة الصالحة، تراها

---

(٢٤)- الإحياء ٤/ ١٢٥.

(٢٥)- أخرجه الإمام احمد في المسند (٥ / ٢٧٨) والترمذي (٣٠٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٢٣).

فتعجبك، فتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاء: المرأة، تراها فتسؤك وتحمل لسانها عليك، وان غبت عنها لم تامنها على نفسها»[٢٦]

وعلى أساس الدين والخلق إختار عمر رضى الله عنه - لإبنه عاصم زوجة تخاف الله، وهى البنت التى سمعها تحظر أمها من أن تشوب اللبن بالماء، لأنه إن كان أمير المؤمنين لا يراها، فإن الله يراها، فما كان من نتيجة الزواج المبارك إلا الثمرة الطيبة عمر بن عبد العزيز -رحمة الله- أمير المؤمنين فى الدولة الأموية وخامس الخلفاء الراشدين المهدين -رضى الله عنهم أجمعين..

تنبيه:- بعض الشباب يخطف قلبه الجمال البراق، ولا يلتفت إلى جانب الدين والخلق، ويقول معللاً أنه سوف يصلحها بعد الزواج، فإذا به بعد الزواج واحد من ثلاث: إما أن ينصحها فلا تستجيب وتقول للجبال وأزاحتها عن أماكنها أهون من نسخ الأخلاق.والصفات فهى غرائز مغروزة.

وهذه الزوجة بعدم استجابتها تنغص عليه حياته، وتكدر عليه صفوه، فهو مهموم بالليل، مكروب ذليل بالنهار.

وأما أن يسكت بعد يؤس فيسكت عن باطل، وليس هذا من خلق المسلم.

وأما أن يطلقها فيشتت أولاده منها -وهم مذبذبون- معذبون بين زوجة الأب وزوج الأم، واليتيم غالب - أفضل حالاً منهم.. وما ذلك إلا لأن أباهم لم يحسن إليهم قبل أن يوجدوا.

وروى أن أبا الأسود الدؤلى قال لبنيه:-

(يا بَنِيَّ: قد أحسنتُ إليكم صغاراً، وكباراً، وقبل أن تولدوا) قالوا:- (كيف أحسنتَ إلينا قبل أن نولد؟ قال:- (اخترت لكم من الأمهات من لا تُسَبُّون بها)[٢٧]

---

(٢٦)- رواه الحاكم فى المستدرك ٢ / ١٦٢، وصححه، وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥١).

(٢٧)- أدب الدنيا والدين للماوردى ص٨٢.

يقول فضيلة الدكتور/ محمد بن لطفى الصباغ:- «وهناك فكرةٌ مغلوطة يُلَبِّسُ إبليس بها على بعض الشباب، فقد يرى الواحد منهم فتاة يروقه جمالها، ولكنها ليست ذات دين، فيدعى أنه يريد من وراء الزواج منها لأن يصلحها، وهذه الفكرة خطرة، وغير مأمونة ولا مضمونة، فقد رأينا فى الحياة الواقعية أن بعض الشباب كانوا يريدون الإصلاح، فأفسدتهم تلك الزوجة»[٢٨]

ثانياً:- أن تكون من عائلة متدينة منبتها طيب، ولو كانت فقيرة، وأن يعرف أخلاق أسرتها وتدينهم مراعيا فى ذلك عادات نساء عائلتها وخاصة: أمها وأختها، وبنات عمها وبنات خالاتها وسائر من ينتسب إليها. فـ (البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذى خبث لا يخرج إلا نكداً)

لا نغفل هنا أهمية البيئة والوراثة حيث أن هناك شئ من الأخلاق والصفات النفسية يورث فى صورة إستعداد عضوى له.

- وأصالة البيت وكرم منبته لاترتبط بالمال أو بالحسب أو بالجاه، فكثير ما يكون المال والحسب مقترناً فى أصله بسوء المنبت، ومن الكثير أيضا أن توجد العائلات الفقيرة الأصيلة التى منها شرف أبنائها من أن تجمع المال أو تحصل الحسب بطريق غير كريم.

ولكن لو وجد المال أو الحسب مع الدين وحسن المنبت فهذا أمر بالغ الحسن، لكننا نتكلم عما ينبغى للمسلم أن يقصده أولاً، ويسعى إلى تحققه، وأن يكون الدين هو المقصد الأسمى، والمطلب الأعلى، وقبل كل شىء بالنسبة للمسلم.

ثالثا:- أن تكون ودوداً، وحسنة الخلق، تحسن عشرة الناس بالمعروف، وأولاهم به زوجها، مهذبة الطبع، ليست صخَّابة ولا شتَّامة، تعرف حق زوجها وتفى به، وقد مدح رسول الله ﷺ بعض النساء فى قوله: «خير نساء ركبن الإبل، صالحوا

---

(٢٨)- نظرات فى الأسرة المسلمة ص٣٦.

نساء قريش، أحناه على ولد فى صغره، وأرعاه على زوج فى ذات يده».

(صحيح رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه وأحمد فى المسند)

وعن أبى **أُذينة الصدفى** -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال:- «خير نسائكم الودود الولود، المواتية المواسية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثلُ الغراب الأعصم»(٢٩)

وقد حذَّر العرب من بعض النساء اللاتى ينبغى الابتعاد عن تزوجهن لسوء خلقهن فقال بعضهم:- «لا تنكحوا من النساء ستاً: الأنانة، والمنانة، والحنانة، والحداقة والبراقة، والشدَّاقة» واليك تفسير هذه الصفات:-

فأما الأنانة:- فهى المراضة أو المتمارضة التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة، وما ذلك من علة.

وأما المنانة:- فهى التى تمن على زوجها فتقول له مثلا على سبيل المن: فعلت لأجلك كذا وكذا، وأعطيتك كذا، ويكثر هذا من الغنيات وذوات الحسب والنسب وليس عندها دين ولا خلق، أما ذوات الحسب والنسب الدينة، فهذا لا يكون منها أبداً.

والحنَّانة:- فهى التى تحن إلى زوج سابق كانت لها معه حياة طيبة بحسب مفهومها، أو تحن إلى ولدها من زوج آخر، وصاحب هذه المرأة لا يهدأ له بال ولا يشعر ببهجة الزواج، كما يشعر إخوانه، ومهما حاول أن يصرفها عن سيرتها الأولى فلن يستطيع إلى ذلك سبيلا. وهذا مما يجب اجتنابه. ولذا رغب الإسلام فى التزوج من البكر لئلا تحن الثيب إلى حياتها السالفة، يروى ابن عبد ربه أن بنت قيس بن مسعود الشيبانى الملقب بذى الجدين، تزوجها لقيط بن زرارة، وكان فارساً شجاعاً، فلما قتل تزوجها ابن عم لها، فكانت لا تفطر عن ذكر لقيط.

---

(٢٩)- أخرجه البيهقى فى السنن (٧ / ٨٢) ورواه عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أبو نعيم فى الحلية (٨ / ٣٧٦) وللمزيد انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٤٩)، (٦٣٢).

فقال لها زوجها:- أي يوم رأيت فيه لقيطاً احسن في عينيك؟ فقالت: خرج يوماً يصطاد البقر، فصرع منها، ثم أتى مختضباً بالدماء، فضمني ضمة، ولثمني لثمة، فليتني مت ثمة. فخرج زوجها ففعل مثل ذلك، ثم أتاها فضمها ولثمها، ثم قال لها: من احسن. أنا أم لقيط؟ فقالت: مرعى ولا كالسعدان.[٣٠] ولا يمنع هذا من وجود نساء فضليات كما كانت خديجة -رضي الله عنها-.

والحداقة:- هي التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف زوجها شراءه فيكون فيه إرهاق له. وقد يعجز فيكون ما يكون.

والبراقة:- هي المشتغلة طوال النهار بتصقيل وجهها وتزينه، ليكون براقاً لامعاً، وقيل هي التي تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها، وتستقل نصيبها منه، وهي لغة يمانية، يقولون: برقت المرأة، وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده.[٣١]

والشداقة:- هي المتشدقة كثيرة الكلام.[٣٢]

فهذه الصفات ترشد المسلم إلى البحث عن الزوجة ذات مكارم الأخلاق.

رابعاً:- يستحب بجانب الدين والخلق وحسن المنبت أن تكون الزوجة على دراية بحقوق زوجها وقادرة على إدارة المنزل، فإنها إن كانت كذلك، استطاعت أن تؤدي واجبها على الوجه الأكمل، ومما يساعدها على ذلك دراسة نفسية الرجل

---

(٣٠)- العقد الفريد لابن عبد ربه (٣ / ١٩٣) الطبعة الأولى. و(السعدان): شوك النخل، وهو - أيضا - نبت ذو شوك، وهو من أنجع المرعى، وفي المثل: «مرعى ولا كالسعدان» يضرب مثلا للشيء يفضل على أقرانه (المعجم الوسيط).

(٣١)- قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: «الباءُ والراءُ والقافُ أصلان تفرّع منهما: أحدهما: لمعان الشيء، والآخر: اجتماع السّواد والبياض في الشيء، وما بعد ذلك فكله مجاز ومحمول على هذين الاصلين». وفي المعجم الكبير: «البراقة من النساء: المرأة لها بهجة وبريق، أو التي تُظهر حُسنها على عمد.

وامرأة براقة الجسم: صافيته.

(٣٢)- إحياء علوم الدين٤/١٢٧.

ومعـرفة مـا يسره ومـا يحزنه، ومراعـاة ظروفه بحيث يكون تصرفـها مـعه فى المصلحة. ومفتاح ذلك كله العلم أى ان تكون قـارئة وكاتبة لتسـتطيع أن تحصل على هذه المعلومات الـلازمة لأداء مهمـتها، ولا يسـتوجب ذلك حصـولها على المؤهلات العلمية الكبيرة.

إن المرأة المثقفة نفسيا واجتماعيا تكون معاملتها لزوجها مرجوة التوفيق، بخلاف الجاهلـية بهذه الأصـول الأولية لفن المعـاملة.(٣٣) والزوجة التى يندب إليـها هى التى: تعين أهلهـا على العيش، ولا تعين العـيش عليهم، لا تؤهل داراً (٣٤) ولا تؤنس جاراً (٣٥) ولا تنفث ناراً.(٣٦)

ولقد كانت المرأة العربية توصى ابنتها قبل زواجها وتزف إليها وصايا غالية نابعة من قلب أم حنون حريصة على توفيق فلذة كبدها. وعلى أن تدوم محبتها لزوجها لتدوم مـحبة زوجهـا لها. فهذه أمـامة بنت الحارث توصى ابنتهـا حين زفت إلى زوجهـا، فقـالت: أى بنية: إن الوصيـة لو كانت تتـرك لفضل أدب، أو لتـقدم حـسب، لزويت ذلك عنك، ولأبعـدته منك، ولكنها تذكـرة للغـافل، ومعـونة للعاقل.

أى بنية:- لو أن امرأة استغنـت عن زوج لغنى أبويها وشدة حاجتهـما إليها، كنت اغنى الناس عن ذلك، ولكن النسـاء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.

أى بنية: انك قـد فارقت الحمى الذى منه خرجت، وخلفت العـش الذى فيه درجت، إلى وكـر لم تعرفـيه، وقريـن لم تألفيـه، فاصبـح بملكه عليك مليكاً، فكونى له أمة يكن لك عبداً وشيكاً، واحفظى له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً:

---

(٣٣)- رعاية الأسرة فى الإسلام للشيخ عطية صقر ١ / ٧٦ بتصرف واختصار.

(٣٤)- أى لا تجعل دارها آهلة بدخـول الناس عليها، والعـرب تحب المرأة البخيلة، وكـما قيل: شر صـفات الرجل خير صفات النسـاء.

(٣٥)- أى لا تؤنس الجيران بدخولها عليهم.

(٣٦)- عيون الأخبار لابن قتيبة ٤ / ٤ .

أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة؛ فان في القناعة راحة القلب، وفي حسن المعاشرة مرضاة للرب.

وأما الثالثة والرابعة: فالمعاهدة لموضع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعاهد لوقت طعامه، والتفقد لحين منامه، فإن في حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة!

وأما السابعة والثامنة: فالإحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سراً، ولا تعصين له أمراً، فإنك إن أفشيت له سره لم تأمني غدره، وان عصيت أمره أو غرت صدره، واتقي مع ذلك كله الفرح إن كان ترحا، والإكتئاب إذا كان فرحا، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظاما أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة، واعلمي يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاك، وتقدمي هواه على هواك فيما أحببت أو كرهت، والله يضع لك الخير، واستودعك الله .(٣٧) اهـ.

خامساً- أن تكون ولوداً؛ ليتم بذلك مقصود النكاح من النسل، وبقاء النوع وعمارة الكون، والعقيم وإن كانت تحقق لزوجها العفة وتعينه على صعاب الحياة، فالرحمة والمودة والسكن والإطمئنان إلى مستقبل البيت لا يتم إلا مع من هي صالحة للإنجاب.

وفضّل النبي ﷺ خديجة -رضي الله عنها- على غيرها من زوجاته لأن الله رزقه منها الولد -أي الذرية.

حيث قال في كلامه عنها وتعدد فضائلها: «ورزقت مني الولد إذ

---

(٣٧)- أحكام النساء لابن الجوزي ص٨٤ وما بعدها.

حرمتموه»[٣٨].

وعقم المرأة من الصفات المشئومة التى يجدر بالمرء الإبتعاد عنها ولا يلجا إليها إلا عند الضرورة أو الحاجة.

فقد نهى النبى ﷺ عن تزوج العقيم حتى ولو كانت جميلة فقال: - «خير نسائكم الودود الولود»[٣٩] ورغب فى النكاح من أجل التناسل وبقاء النوع الإنسانى فقال ﷺ: - «تزوّجوا فانى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ولا تكونوا كرهبانية النصارى»[٤٠].

ويعرف كونها ولوداً بسابقتها مع غيره إن كانت ثيباً، وبأصولها وأخواتها إن كانت بكراً، وان تكون صغيرة السن قوية البنيان فالصحة والشباب من أمارات الصلاحية للإنجاب فى الغالب، وقد تقدم الطب الآن فى العصر لحديث بالكشوف الطبية والتحاليل التى تجرى للفتاة لتساعد على معرفة صلاحيتها للإنجاب أو عدم صلاحيتها. ولا داعى لذكر التجارب القديمة التى كانوا يجرونها لتساعدهم على معرفة صلاحية الفتاة للإنجاب أم لا. فهى بجانب الطب الحديث والتقدم المذهل لا شىء.

بقى أن نقول: يستحسن للعقيم -التى تأكد ذلك فيها- أن تتزوج من ذوى الأولاد من زواج سابق، حتى لا تكون عند زوجها رغبة تحصيل الولد فينغص حياتها بها.

سادساً:- أن تكون بكراً: ليتمكن الحب وتكمل المتعة، ويتم الأنس، وقد جعل الله البكارة من صفات الحور العين اللاتى لم يطمثهن إنس ولا جان قبل

(٣٨)- المعجم الكبير للطبرانى ٢٣ / ١٣، برقم (٢١)، وقال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٢٢٤ رواه الطبرانى وأسانيده حسنة وكذا المعجم ٢٣ برقم (٢١)، ورواه الطبرى فى السمط الثمين (٤٣).

(٣٩)- أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (٧ / ٨٢) عن أبى أذينة الصدفى -رضى الله عنه- ورواه أبو نعيم فى «الحلية» (٨ / ٣٧٦) عن ابن مسعود -رضى الله عنه- والألبانى فى «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٤٩)،(٦٣٢).

(٤٠)- أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٧/ ٧٨ وقواه الألبانى لشواهده فى «الصحيحة» رقم (١٧٨٢).

س يكن له، قال تعالى: - ﴿إنا أنشأناهن إنشاءا فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا﴾ (الواقعة: ٣٥/ ٣٧)(٤١).

وها هى عائشة رضى الله عنها تزوجها النبى ﷺ بكراً فتفتخر -من غير كبر- على غيرها من نساء النبى ﷺ فتقول: - «أرأيت يا رسول الله - لو مررت بشجرة قد أرتع فيها وشجرة لم يرتع فيها، ففى أيهما كنت ترتع بعيرك؟)) قال: - «فى التى لم يرتع فيها» (٤٢) تريد أنه لم يتزوج بكراً غيرها.

وقد روى البخارى عن جابر بن عبد الله -رضى الله عنهما- قال: «قفلنا مع النبى ﷺ من غزوة فتعجلت على بعير لى قطوف (٤٣) فلحقنى راكب من خلفى فنخس بعيرى بعنزة (٤٤) كانت معه، فانطلق بعيرى كأجود ما أنت راء من الإبل، فإذا النبى ﷺ فقال ما يعجلك؟ قلت: كنت حديث عهد بعرس. قال: بكراً أم ثيباً؟ قلت: ثيباً. قال: فهلا جارية (أى بكراً) تلاعبها وتلاعبك»(٤٥).

وهذا التوجيه متفق مع الفطرة البشرية على وجه العموم؛ لكن لو وجد مبرر يرجح الثيب فلا بأس بها، بل ربما كانت هى الأفضل حينئذ.

وقد كان زواج جابر بثيب لعلة ومبرر كما يتضح من خلال الرواية التى يسوقها لنا الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر انه قال لرسول الله ﷺ فى تعليل عدم تزوجه من بكر: أن عبد الله -(يعنى أباه)- هلك وترك تسع بنات، وانى كرهت أن آتيهن بمثلهن، فأحببت أن أجيء بامرأة تقوم عليهن وتصلحهن. «أوتمشطهن» فقال له رسول الله ﷺ «فبارك الله لك»، أو قال له خيراً.

---

(٤١)- (العروب) : المرأة المتحببة إلى زوجها وجمعها: عُرُباً.

(٤٢)- أخرجه البخارى فى نكاح الأبكار رقم (٥٠٧٧) عن عائشة -رضى الله عنها.

(٤٣)- قطوف أى بطيء السير.

(٤٤)- أى عصا طويلة فى أسفلها حديدة يدفع بها.

(٤٥)- رواه البخارى فى كتاب النكاح، تزويج الثيبات، رقم (٥٠٧٩) وكتاب النفقات، (٥٣٧٦)، ومسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، وباب استحباب نكاح البكر رقم (٧١٥)، وأبو داود والنسائى وابن ماجة فى النكاح، وأحمد فى المسند ٣ / ٢٩٤ .

قال الإمام النووى فى شرحه على الصحيح: «فيه فضيلة لجابر وإيثاره مصلحة أخواته عى حظ نفسه، وفيه الدعاء لمن فعل خيراً وطاعةً، سواء تعلقت بالداعى أم لا، وفيه جواز خدمة المرأة زوجها وأولاده وعياله برضاها، وأما من غير رضاها فلا»[٤٦].

وتكون الثيب هى الأفضل أيضا إذا جمعت الصفات السابقة من الدين والأصل الطيب وحسن الخلق وغير ذلك.. وكذلك تكون هى الأفضل لمن جاوز الشباب وسن اللعب من الشيوخ أو الكهول الذين ماتت زوجاتهم وتركن له بنات يحتجن إلى رعاية امرأة ذات تجربة ودين، فليس تفضيل البكر أمراً مطلقاً.[٤٧]

سابعاً:- أن تكون على قدر من الجمال والملاحة، بحيث ترضى الخاطب وتعجبه، والناس متفاوتون فى تقديره، لكن هناك مقاييس عامة يتفق عليها جمهور الناس، ولست أعنى بالجمال هنا، الجمال البارع المجرد من كل خلق، الذى تنشا عنه الآفات، ويستجلب الحسرات، إنما أعنى به الجمال الذى يبعدها عن القبح الذى ينفر الرجل منها بل يقبل عليها عند استمتاعه بها، ويربط قلبه عن التطلع إلى غيرها. ويكون معينا له بعد ذلك على أن يغض بصره، ويحصن نفسه بها.

ولا علاقة بين الألوان والجمال فقد تكون السمراء أحب إلى بعض الرجال من البيضاء، فلكل أن يقدر من الجمال ما يشاء، وهو مرغوب فيه شرعاً.

ولهذا أباح الشرع لمن يريد الزواج أن يتعرف على جمال المرأة فينظر إلى وجهها، فان ذلك أحرى أن يؤدم بينهما أى يورث الألفة والمودة.

ولا يظنن أحد أن المقصود فى حديث النبى ﷺ تنكح المرأة لاربع «كراهية نكاح الجميلة، أو الغنية أو ذات الحسب إنما المقصود منه -كما سبق- توجيه المسلمين إلى أن لا يقصدوا شيئاً من ذلك لذاته، ولو على حساب ضعف الدين، إنما عليهم أن يقصدوا ذات الدين أولاً، ولو توفر معها الجمال الباهر، أو المال

(٤٦)- صحيح مسلم بشرع النووى ١٠ / ٤٥ .

(٤٧)- راجع بتوسع الأسرة تحت رعاية الإسلام ١ / ١٨٢ ففيه مزيد من التفصيل.

الكثير، أو الحسب، فذلك افضل، لكن شيئاً من ذلك لا قيمة له أن لم يقترن بالدين. قال سبحانه:- ﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ (النساء: ٣٤)،(٤٨) وقال: ﴿ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾ (البقرة: ٢٢١)، وفى مسند أبى داود الطيالسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ خير النساء التى إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك»(٤٩).

وقال ﷺ لعمر:- «ألا أخبرك بخير ما يكتنزه المرءُ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرَّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته»(٥٠).

ثامناً:- ذهب بعض العلماء إلى أن تكون المرأة يسيرة المهر وذلك كما ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو داود وغيره عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: قال لرجل: «أترضى أن أزوجك من فلانة؟)) قال: نعم، وقال للمرأة: «أترضين أن أزوجك من فلان؟)) قالت: نعم، فزوَّج أحدهما صاحبه، فدخل بها الرجل، ولم يفرض لها صداقاً، ولم يعطها شيئاً، وكان ممن شهد الحديبية، وكان من شهد الحديبية له سهم بخيبر، فلما حضرته الوفاة قال: «إن رسول الله ﷺ زوَّجنى فلانة، ولم أفرض لها صداقا، ولم أعطها شيئاً، وانى أشهدكم أنى قد أعطيتها صداقا سهمى بخيبر» فأخذته، فباعته بعد موته بمائة ألف، قال: وقال رسول الله ﷺ :- «خير النكاح أيسره»، وفى رواية: «خير الصداق أيسره»(٥١).

(٤٨)- ويلزم الرجوع إلى ما كتبه الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسيره لهذه الآية وذلك فى كتاب: «من حقوق النساء فى الإسلام (ص٤٨-٥٠) ففيه فوائد وبدائع.

(٤٩)- أخرجه ابن ماجة فى النكاح، باب أفضل النساء مع اختلاف يسير فى اللفظ رقم (١٨٥٧) وذكره السيوطى فى الجامع الكبير ٢ / ١٨١٢ من رواية ابن جرير عن أبى هريرة -رضى الله عنه- وانظر صحيح الجامع (٣٢٩٨) و(٣٢٩٩).

(٥٠)- أخرجه أبو داود رقم (١٦٦٤).

(٥١)- رواه أبو داود (٢١١٧)، وابن حبان (١٢٥٧)، (١٢٦٢)، (١٢٨١)، والحاكم ٢ / ١٨٢، والبيهقى فى السنن ٧ / ٢٣٢، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، قال المحدث الألبانى فى الإرواء (٦ / ٣٤٥) «إنما هو على شرط مسلم وحده».

وعن أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- أن النبى ﷺ قال:- «إن من يُمْن المرأة: تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها»[٥٢]، قال عروة: وأنا أقول من عندى: «من أول شؤمها أن يكثر صداقها» وهذه من سنن النبى ﷺ القولية - واتبعها بالسنن الفعلية، فلم يزد مهور بناته ولا نسائه أكثر من اثنى عشرة أوقية ونشاً وسوف نأتى على ذلك بمزيد من التفصيل فى المشاكل الأسرية. وأسباب العنوسة.

تاسعاً :- نجد فى بعض الكتب، فيها نصوص تستحسن الأتكون الزوجة قريبة قرابة وثيقة بالزوج كبنت العم وبنت العمة، وبنت الخال وبنت الخالة، ويرفعون هذه النصوص إلى النبى ﷺ لكن بالبحث فى دواوين السنة الصحيحة لم أعثر على حديث صحيح يقول ببغض زواج القرابة الوثيقة إنما ما ورد فى ذلك قول عمر رضى الله عنه لبنى السائب «قد أضويتم، فانكحوا فى الغرائب».

وتوجيه عمر رضى الله عنه نابع من التجربة، والبحوث الطبية الحديثة تؤيده، وتظهر الحكمة التى من أجلها يستحب زواج الغريبات -أى التى ليست بالقرابة الشديدة.

وثمة صفات أخرى للزوجة الصالحة، وضعها بعض الكتاب أغفلنا ذكرها، وذلك لعدم نهوض الدليل عليها أو لعدم وجود الدليل أصلا. ومنهجنا أن نذكر شيئا إلا ومقرون بالدليل من الوحيين (الكتاب والسنة)[٥٣]

ويعجبنى قول الإمام ابن عبد القوى فى منظومة الآداب، إذ يقول فى وصف

---

(٥٢)- رواه الإمام أحمد فى المسند ٦ / ٧٧، ٩١، والبيهقى فى السنن الكبرى ٧ / ٢٣٥، وابن حبان (١٢٥٦)، والحاكم فى المستدرك ٢ / ١٨١، وقال :«صحيح على شرط البخارى ومسلم، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى .

(٥٣)- وذلك كاستحسان بعض الفقهاء كون الزوجة دون الزوج سنا، لئلا يسرع إليها العقم وعدم الولادة. وحسباً ومالاً حتى تنقاد له ولا ترفع عليه، وفوقه خلقاً وورعاً وجمالاً.. الخ.. انظر: رد المختار على الدر المختار لابن عابدين ٢ / ٢٦٩ .

الزوجة الصالحة :

وخير النساء من سرَّت الزوج منظراً ... ومن حفظته فى مغيب ومشهد
قصيرة ألفاظٍ قصيرةُ بيتها ... قصيرةُ طرف العين عن كل أبعد
عليك بذات الدين تظفر بالمنى الـ ... ـوَدود الولودِ الأصلِ ذات التعبد

الزواج من غير المسلمات:-

بقى أن نقول ونحن فى معرض حديثنا عن تكوين الأسرة وبنائها واختيار كل من الزوجين بعضهما الأخر، نرى لزاما علينا فى إيجاز آن نذكر حكم الزواج من غير المسلمات، وأعنى بغير المسلمات؛ (اليهودية والنصرانية)، ولا أعنى المجوسية أو الشيوعية أو عبدة غير الله، ومن ليس لهم رسالة سماوية. لأن حكم الزواج منهم غير جائز شرعاً. كما جاء فى قوله سبحانه: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن، ولأمة مؤمنة﴾.

وقوله ﷺ :- «تيسير رحمها»، فسَّره عروة الراوى يقوله: «يعنى تيسير رحمها للولادة».

﴿خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾ (البقرة:٢٢١). فحديثنا ينحصر فى حكم الزواج بالكتابيات فنقول وبالله نستعين.

أحل الله نكاح ذات الدين السماوى والكتاب المنزل فيه، وإن وقع فيه شىء من التحريف، يهودية كانت أو نصرانية، كما ورد فى قوله تعالى:- ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة:٥)، وهذا قول الجمهور من الصحابة -رضوان الله عليهم- منهم عثمان وطلحة، وابن عباس، وجابر، وحذيفة، ومن التابعين كسعيد بن المسيب، وابن جبير، وعكرمة، ومجاهد، والحسن البصرى، وطاووس، والشعبى وغيرهم. وعليه جمهور الفقهاء.

قال الجصاص:- «ولا نعلم عن أحد من الصحابة والتابعين تحريم نكاحهن»[٥٤].

وقد تزوج عثمان رضى الله عنه بنصرانية، وهى: نائلة بنت القرافصة، وتزوج طلحة بن عبيد الله بيهودية من أهل الشام.

بيد أننا نجد أقوالاً مأثورة عن بعض الصحابة -رضى الله عنهم- تنهى عن التزوج بالكتابيات وذلك لسوء خُلُق أكثرهن، فهذا عمر رضى الله عنه يبعث إلى حذيفة بن اليمان -بعد أن ولاه المدائن- بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب، فطلقها، فكتب إليه حذيفة: لا أفعل حتى تخبرنى، أحلال هى أم حرام؟ فكتب إليه عمر:- لا، بل حلال. ولكن فى نساء الأعاجم خلابة فإذا أقبلتم عليهن غلبتكم على نسائكم. فقال حذيفة :- الآن -يعنى اقتنعت- فطلقها.[٥٥]

ويذكر الجصاص أن التى تزوجها حذيفة كانت يهودية، فكتب إليه عمر: أن خلِّ سبيلها، فكتب إليه حذيفة: أحرام هى؟ فكتب إليه عمر:- لا، ولكنى اخشى أن تواقعوا المومسات منهن.[٥٦]

مما سبق يتبين أن عمر رضى الله عنه أيضا ممن يقول بإباحة الزواج بالكتابيات. لكنه استخدم حقه كولى الأمر فى الحض على الإقلال من بعض المباحات، تحقيقا لمصلحة عامة، لأن لولى الأمر أن يقلل من بعض المباحات -أو يمنعها- إذا رأى أن الإقدام عليها يؤدى بالمجتمع إلى مفاسد كبيرة يجب سد الطريق أمامها.

وقد رأى عمر رضى الله عنه أن الفساد سيشمل قطاعات كبيرة من المجتمع الإسلامى إذا اقدم المسلمون على التزوج من الكتابيات، وشكل هذا ظاهرة عامة، ففيه فتنة المسلمات، وسكن المسلمين إلى من لا يطمئن عمر إلى أخلاقهن، ومن

---

(٥٤)- أحكام القرآن للجصاص ١ / ٣٩٣ .

(٥٥)- تاريخ ابن جرير الطبرى ٣ / ٥٨٨ .

(٥٦)- أحكام القرآن ١ / ٣٩٢ .

ثم وجه نظر أمرائه وولاته إلى عدم الإقدام عليه -لكن الحكم الشرعى -الثابت بنص من القرآن الكريم- ظل على حاله من حيث حل نكاح أهل الكتاب[٥٧].

لكنه يجب علينا أن نذكر أن هناك بعضاً من شباب الإسلام يتزوجون بالنصرانيات، وهؤلاء النسوة خطر على دينهم وعلى الجيل الإسلامى، فإذا كانت الخادمة أو المربية النصرانية خطرا على أبناء الإسلام؛ فكيف إن كانت أما نصرانية لأبناء مسلمين، فالذى نلاحظه أنَّ كثيراً من المسلمين ممن يتزوجون النصرانيات يتأثرون بهن وتمسَخُ شخصيتهم الإسلامية فيذوبون فى الشخصية النصرانية، يشربون الخمر ويأكلون لحم الخنزير، ويصبح أبناؤهم نصارى أكثر من كونهم مسلمين، وإنجليز وفرنسيين وأمريكان أكثر من كونهم عربا، بل قد لا يحسنون التحدث بلغتهم العربية، وهذا فعلا ماتعاينه بلاد المغرب العربى حيث تزوج كثير من فرنسيات، وغاب عن هؤلاء تربية أولادهم وتنشئتهم تنشئة إسلامية، وتهيئة البيئة الصالحة لهم، وأنَّى لهم ذلك! هل يتصور أن الأم النصرانية سترعى أولادها رعاية إسلامية، وأن هذه الأم ستقوم بتعليم أولادها الآداب الإسلامية والسنة النبوية، وستحفظهم القرآن الكريم، إننا لا نكون مبالغين فى القول إذا قلنا أن مثل هذه الأم يخشى منها على الأولاد لأن تأثيرها عليهم أقوى من تأثير أبيهم، فسرعان ما ينقلبوا نصارى والأب فى غيه وغفلاته.

وهناك فكرة مغلوطة يرددها بعض هؤلاء الذين يريدون التزوج بالنصرانيات يقول أحدهم: **أتزوج النصرانية وأؤثر عليها فتعتنق الإسلام.**

نقول لك:- يا أخى الكريم: أنت فى خطر. هؤلاء إن أسلمن ففى الغالب يسلمن من أجل الشراء، وقليل من الأزواج من يكون تأثيرهم قويا وشخصيتهم الإسلامية ثابتة، فيؤثرون ولا يتأثرون، فتسلم زوجاتهم عن إيمان واقتناع، ويحسن إسلامهن، والكثرة منهم التى تنجرف فى تيار الزوجات النصرانيات وكثيراً ما تفشل

(٥٧)- راجع منهج عمر بن الخطاب فى التشريع ص ٣٠١-٣٠٦ ففيه مزيد من التفصيل لهذه المسألة.

حياتهم الزوجية وتحصل لهم إشكالات لا حصر لها بشأن الأولاد وهؤلاء هم الذين يفضلون الجمال على ذات الدين، وإن كان من المسلمات من هن ذوات دين وخلق وجمال[٥٨].

ولا ادرى كيف تكون المودة والرحمة مع اختلاف الملل، وكيف يرى المسلم من تقوم بتقديس غير الله وادعاء أن لله ولدا، ولا يغار على دينه وعقيدته ثم هو يوادّها ويجعلها فى كنفه، ثم كيف يأمنها على أولاده؟ وظنى أن هذا هو الذى جعل على بن أبى طالب -رضى الله عنه- يقول بكراهة هذا الزواج مستدلا بقوله سبحانه:- **﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الأخر يوادُّون من حاد الله ورسوله﴾** (المجادلة: ٢٢).

والغيرة على العقيدة التى حدت بابن عمر -رضى الله عنهما- إلى أن يقول بالمنع وعدم الجواز، فقد روى عنه أنه كان إذا سئل عن نكاح المسلم النصرانية أو اليهودية قال: حرَّم الله المشركات على المؤمنين ولا أعلم شيئاً من الشرك أعظم من أن تقول المرأة: (ربها عيسى)، وقد قال الله تعالى: **﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾** (البقرة: ٢٢١)، لكن قوله بالتحريم خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة. كما يقول الإمام القرطبى.

نعم إن ما نراه اليوم فى بعض المسلمين من رغبة التزوج بنساء الإفرنج سوى انها إفرنجية... ثم يضع نفسه وأولاده تحت تصرفها... فتنشئهم على تقاليدها وعاداتها التى تأباها تعليم الإسلام.

نعم إن ما نراه من كل ذلك يجعلنا نوجب على الحكومات التى تدين بالإسلام وتغار على قوميتها وشعائرها...

أن تمنع من التزوج بالكتابيات، وأن تضع حداً لهؤلاء الذين ينسلخون عن

---

(٥٨)- راجع «بناء الأسرة المسلمة» لسهيلة زين العابدين ففيه خطر الزواج من غير المسلمات وأثره على المجتمع الإسلامى.

قوامتهم على المرأة، حفاظاً على مبادئ الدين في البلاد... وإن العمل على تقييد هذا الحكم في التشريع الإسلامي أو منعه، لألزم وأوجب مما تقوم به بعض الحكومات الإسلامية، أو تحاول أن تقوم به، من تحديد سن الزواج للفتاة..

وتقييد تعدد الزوجات، وتقييد الطلاق، وما إلى ذلك من التشريعات التي ينشط لها كثير من رجال الحكم، سيرا وراء أمم الغرب المظلمة.

ألا وإن انحلال الكثرة الغالبة ممن يميلون إلى التزوج بالكتابيات للمعاني التي أشرنا إليها لما يوجب الوقوف أمام هذه الإباحة التي أصبحت حالتنا لا تتفق والغرض المقصود منها.

وهذا معنى تشهد به كليات الدين وقواعده التي يتجلى بها شدة حرصه على حفظ شخصية الأمة الإسلامية، وعدم انحلالها وفنائها في غيرها[٥٩] وقد ذكر الشيخ عطية صقر صورا توضح خطر الزواج بالأجنبيات فليرجع إليها[٦٠].

زواج المسلمة بغير المسلم.

أما المسلمة فلا يجوز لها بحال أن تنكح غير المسلم، لأن الله سبحانه لم يجعل لغير المسلم سبيلا عليها، والنكاح من سبيل قوامة الرجل على المرأة، ومن ثم لا ينعقد زواج المسلمة بغير المسلم.

وكذلك لو أسلمت كتابية أو وثنية وهي تحت زوجها ولم يسلم زوجها يفرق بينهما قال سبحانه:- ﴿**فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن**﴾ (الممتحنة: ١٠).

وأما عداء الإسلام فهم يريدون غير ذلك، يريدون إذابة الهوية الإسلامية بين الهويات الأخرى فتتجرد المسلمات من دينهن، حتى يأتي عصر يموت فيه روح الدين والانتماء إليه والولاء والبراء فيه.

---

(٥٩)- تفسير القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمود شلتوت -رحمه الله- ص٣٠١.

(٦٠)- في كتابة «الأسرة تحت رعاية الإسلام» جـ ١ / ١٧١ وما بعدها، وانظر: تراجم إسلامية للأستاذ محمد عبد الله عنان، و «فارسيات وتركيات» لحسين محمد مجيب المصري.

ولقد دأبت بعض الصحف العلمانية، لسنين طويلة، بواسطة عدد من كُتَّابها الذين يتغنون بالعلمانية جهاراً نهاراً، دأبت على التبشير بالزواج بين المسلمات وغير المسلمات، وهذه وسيلة هدَّامة من الوسائل التى يستخدمونها لهدم العقيدة والغيرة الدينية فى قلوب النساء المسلمات. **(كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا..)** ونعوذ بالله أن يجعلنا ضالين أو مضلين.

الأسرة ليست امرأة فقط!

بعض الكُتَّاب إذا جاء ليعدد المشكلات الأسرية والإجتماعية التى تتألم منها الأسرة والمجتمع، يلوم بالائمة على المرأة ويجعلها بعض هذه المشكلات، أو سببا فى إحداثها. وهذا مفهوم خاطئ، حيث أن الأسرة تتكون من عنصرين أساسين هما الزوج والزوجة ولكل منهما دور يجب عليه أن يقوم به، وهو على ثغرات يجب عليه أن يسدها حتى لا تُؤتَى من قبله.

إن المتأمل لواقع الأسرة المسلمة فى وقتنا الحاضر يجد الكثير من المعاناة والمشكلات المتعددة التى تنعكس نتائجها على المجتمع الإسلامى بشكل عام! حيث إنَّ الأسرة تمثل اللبنة الأولى فى هذا البناء الشامخ.

ويظن الكثير من المتتبعين لمثل هذه المعاناة والمشكلات، والمهتمين بها: أن المرأة وحدها هى السبب المباشر أو غير المباشر، وهى صاحبة المسئولية فى حدوث المشكلات التى تتعرض لها الأسرة! وهم بذلك ينسون الدور المنوط بالرجل.

إن الدور الذى تقوم به المرأة فى الأسرة دور كبير وأساسى، وهذا من المسلَّمات التى لا تقبل النقاش، ولكن يجب ألا تكون نظرتنا نصفية مقتصرة على دور المرأة ومسئوليتها، غافلين عن دور الرجل، خاصة أن الكثير من المعاناة فى الأسر اليوم قد يكون سببها: التعامل الإسلامى من طرف واحد: فلا بد أن تكون نظرتنا أبعد من ذلك، فالأسرة رجل وامرأة، والله تعالى يقول: **﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾** (البقرة:٢٢٨).. وحدود الأسرة وآدابها التى شرعها الإسلام للرجل

والمرأة على حد سواء، أما أن يطلب الرجل من المرأة التعامل الإسلامى، ويكون التركيز كله على دورها ومسئوليتها فى علاقتها بالرجل، فيخشى أن يؤدى ذلك إلى أن يعفى الرجل نفسه من الالتزام، أو يؤدى إلى العسف فى استعمال الحق الذى منحه له الإسلام.

إن الكيان الأسرى ليس امرأة فقط، وليس رجلا أيضا، إنما هو كيان متكامل؛ إن للمرأة دورا وللرجل دورا، ولو أن كل واحد منهما قام بدوره كما طلب منه الإسلام لما حدث هذا التفكك الذى تعانى منه المجتمعات الإسلامية، إما نتيجة هذه النظرة النصفية، وإما نتيجة غفلة الرجل عن دوره وواجباته تجاه الأسرة، وإما نتيجة التعامل بسبب من وراثات وعادات ليست من الإسلام[٦١].

الحقوق الزوجية.

تكلمنا فيما سبق عن الأسرة وعلاقة أفرادها بعضهم ببعض، ومن المقرر انه لا يكون هناك أمن وطمأنينة فى الأسرة إلا بتكوين أسره قائمة على دعائم قوية وأسس متينة، ومن أهم هذه الأسس معرفة الزوجين لحقوقها وواجباتها فيؤدى كل منهما ما عليه تجاه صاحبه ليعيشا فى سعادة وهناء فيظلل أسرتهما أجواء الحب والود والتفاهم مما يشعر الأبناء بالأمن والاستقرار.

فما هى الحقوق بين الزوجين؟ بالنظر فى القرآن والسنة يتضح لنا أن هناك حقوق بين الزوجين، حق الزوجة على زوجها، وحق الزوج على زوجته، وأن هناك حقوقا مشتركة؛ ليسود الود والاحترام والتفاهم.

وكيف يتم التالف بينهما ويحرص كل منهما على إرضائه وسعادته فيكون كل منهما أمينا على الأخر، على نفسه على عرضه، على ماله على حياته كلها إذا لم يعلم كل واحد منهما ما لصاحبه عليه من حق؟؟؟

(٦١)- مجلة الأمة القطرية ع ٧١ ص٣٣.

ماذا نعنى بالحقوق الزوجية؟.

الحقوق الزوجية التى نتكلم عنها ليست مجرد وصايا ينفذها الزوجان بدافع الوجدان المحض، كالصدق والاحترام وغيرهما، أو السلوك الذى يعتمد على المميزات الشخصية، وإنما نعنى بالحقوق الزوجية ما يلزم به كل من الزوجين تجاه الأخر من حقوق يحميها له لشرع، وتتدخل السلطة لإجبار من أخلّ بشىء منها على أدائه كاملا لشريكه فى الحياة الزوجية، ذلك لأن النفوس جبلت على الشح فى المسائل المادية، وما يتصل بها، فنصت الشريعة على هذه الحقوق، وجعلتها لازمة بحكم القضاء دعما للاستقرار العائلى، فإن الدافع الأول لأداء الحقوق هو تلك المزايا الشخصية التى يتحلى بها الزوجان من سعة الصدر والأناة والمداراة والتلطف تحركها عوامل المودة والرحمة ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ (الروم: ٢١).

وفى الحقيقة أن «المودة» بما تدل عليه من تقرب كل إلى الأخر، والتلطف معه و «الرحمة» بما تشعر من حرص كل من الزوجين على مصلحة صاحبه، والرفق به، والإشفاق عليه من كل سوء ومكروه، هما عماد البيت الذى يبقى على سكينة النفس، ويجعلها حقيقة مُدْرَكة فى الحياة، وهما دستور المعاشرة بين الزوجين التى تجعل كلا منهما يشعر أنه متمِّم للأخر، وأنه هو متمَّمٌ «به أيضا» فإذا بالرجل والمرأة الغريبين عن بعضهما المتباعدين من قبل يتقاربان هذا التقارب، ويتحابان محبة تجعل كلاً منهما أقرب إلى الأخر من أبيه وأمه! فإذا وجد مع ذلك كله القضاء الشرعى الملزم، كان أدعى لسكون النفس، ومنعها أن تنزع إلى التمرد، أو التخفف من بعض المسئوليات، فان نزعت، لجأ الطرف الأخر لقوة القضاء يلزمه بالتنفيذ أو أداء الحق كاملاً... ولقد قرر القرآن الكريم هذه الحقوق فى قاعدة تشريعية دقيقة هى قوله تعالى: - ﴿**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف، وللرجال**

عليهن درجة ﴾ (البقرة:٢٢٨).

وقد نصت الآية على أن الحقوق بين الزوجين متبادلة طبقا لمبدأ: «كل حق يقابله واجب».

قال ابن عباس: - إنى لأتزين لإمراتى كما تتزيّن لى، وما أحب أن استنظف (أخذه كله) كل حقى الذى عليها فتستوجب حقها الذى لها علىّ؛ لان الله يقول (ولهن مثل لذى عليهن بالمعروف) أى زينة من غير مأثم.

وعنه أيضا: «أى لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذى عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن»، وقال ابن زيد: - «تتقون الله فيهن كما عليهن أن يتقين الله عز وجل فيكم»[٦٢].

أولاً: حقوق الزوجة على زوجها.

للزوجة على زوجها حقوق، وهذه الحقوق منها المالية ومنها غير المالية. أما المالية فتتمثّل فى:

١- المهر: وقد عرفه العلماء بأنه: ما تعطاه الزوجة من مالٍ ومنفعة بسبب النكاح.

واشترطوا فى المال أن يكون متقوماً، معلوماً، مقدوراً على تسليمه، وأن تكون المنفعة منفعة شخص أو عين يُستحق فى مقابلها المال.

حكمه: الوجوب لقوله تعالى: - ﴿ **وءاتو النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ (النساء: ٤)، والخطاب هنا إما للأزواج، وهو قول الجمهور، أو للأولياء. وهو قول بعض المفسرين.

وقوله سبحانه: - ﴿ **فئاتوهن أجورهن فريضة** ﴾ (النساء: ٢٤)، وغير ذلك من الآيات الدالة على وجوب أدائه من الزوج إلى من يريد أن يتزوّجها.

وأما الدليل على وجوبه من السنة: ما ورد أن رسول الله ﷺ أعتق صفية،

---

(٦٢)- عودة الحجاب ٢ / ٢٥٦-٢٥٧ بشيء من التصرف اليسير.

وجعل عتقها صداقها[٦٣] وما ورد أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ :- «تزوجتُ امرأة» فقال: «ما صدقتها»؟ قال:- «وزن نواة من ذهب» فقال:- «بارك الله لك، أولم، ولو بشاة»[٦٤] وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة الدالة على وجوبه وأجمعت الأمة على أنه من يريد أن يتزوج فليؤدِّ مهراً، وأن ذلك واجب، ولم يخالف ذلك أحد من المسلمين ويستحب أن لايعرى النكاح عن تسمية الصداق لما ثبت أن النبي ﷺ لم يتزوج أحدا من نسائه -رضي الله عنهم- ولا زوَّج أحداً من بناته -رضي الله عنهم- إلا بصداق سمَّاهُ في العقد، ولأن تسمية المهر في العقد أدفع للخصومة، وأبعد عن النزاع[٦٥].

لكن إن لم يُسمِّ المهر وقت العقد لا يبطل النكاح بالإجماع -وفيه الكراهة- على أن يُسميه بعد العقد. أو يكون لها مهر المثل في ذمة الزوج. وأما قولنا يصح العقد ولا يبطل فذلك لقوله تعالى:- ﴿لا جناح عليكم إذا طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة﴾ (البقرة:٢٣٦)، والطلاق لا يكون إلا بعد النكاح الصحيح، فدل على جواز النكاح بلا تسمية مهر.

ولما ورد أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أتي في امرأة تزوجها رجل، ثم مات عنها، ولم يفرض لها صداقاً، ولم يكن دخل بها، قال: فاختلفوا إليه، فقال: «أرى لها مثل مهر نسائها، ولها الميراث، وعليها العدة» فشهد معقل بن سنان الأشجعي أن النبي ﷺ قضى في بَرْوَع ابنه واشق بمثل ما قضى[٦٦]

---

(٦٣)- متفق عليه؛ البخاري في النكاح، باب من جعل عتق الأمة صداقها، وفي غيره، ومسلم (١٣٦٥) وأبو داود (٢٠٥٤)، والنسائي ٦ / ١١٤، ومسلم (١١٥) عن انس -رضي الله عنه.

(٦٤)- متفق عليه، البخاري في النكاح وغيره، ومسلم (١٤٢٧)، في النكاح، باب الصداق، وأبو داود (٢١٠٩) والنسائي ٦ / ١١٩، ١٢٠ والترمذي (١٠٩٤)؛ عن انس أيضا.

(٦٥)- عودة الحجاب ٢ / ٢٩٦ . وانظر في ذلك المغني، والمحلى.

(٦٦)- رواه أبو داود (٢١١٤، ٢١١٦)، والنسائي: ٦ / ١٢١، ١٢٣، والترمذي (١١٤٥) وقال: «حسن صحيح» والحاكم ٢ / ١٨٠ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحح البيهقي إسناده في السنن ٧ / ٢٤٥ .

لكن ما الحكم إذا تزوجها وشرط فى العقد أن لا مهر لها؟: ذهب أبو حنيفة إلى صحة النكاح، ويجب المهر بمجرد العقد، ويبطل الشرط ويرى مالك بطلان النكاح بهذا الشرط، وأيدَّه ابن حزم. وبعض الشافعية لكن الإمام احمد وأصحابه لا يرون بطلان النكاح(٦٧) والذى أراه -والله اعلم- أن العقد لا يبطل إنما الذى يبطل هو الشرط، وعليه أن يدفع لها مهر المثل كما فى فتوى ابن مسعود رضى الله عنه التى وافقت حكم النبى ﷺ لكن محل النزاع بين الفقهاء هو اشتراط ذلك فى العقد. وأرى أن كل شرط يخالف كتاب الله وسنة النبى ﷺ فهو شرط باطل ولا اعتبار له (٦٨).

وصف المهر: سمى الله المهر نحلة كما ورد فى القرآن الكريم: - ﴿**وآتو النساء صدقاتهن نحلة**﴾ (النساء: ٤).

والنحلة: هى العطاء بلا عوض، وهو حق واجب للمرأة وعطاء مقرر تكريما لها وليس عوضاً كما عرَّفه بعض الفقهاء، وقد سماه الله «صدقة، ونحلة».

وفى بدائع الصنائع: «أن المهر عوض فى مقابلة الاستمتاع بها». واحتجوا بقوله تعالى: - ﴿**فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة**﴾.

والصحيح أنه عطاء لازم بدون عوض، لأن القرآن الكريم قد سماه نحلة أى عطية بدون عوض، ولأنه يجب نصف المهر إذا طلقها قبل الدخول

بقوله تعالى: - ﴿**وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة**

---

(٦٧)- انظر المحلى ٩ / ٥١٦، والمغنى ٦ / ٧١٢، وفتح القدير ٣ / ٢٠٤ .

(٦٨)- وذهب ابن رشد إلى أن المهر شرط من شروط الصحة، وانه لا يجوز التواطؤ على تركه، قال فى بداية المجتهد ٣ / ١٥: - «أما حكمة المهر فإنهم اتفقوا على أنه شرط من شروط الصحة، وأنه = لا يجوز التواطؤ على تركه» اهـ، وليس صحيحاً ما نقله من الاتفاق على أن المهر من شروط الصحة، وان كان لا يجوز تركه كما بينا سالفاً، وعن صحة النكاح من غير تسمية الصداق، ويحكم لمهر المثل، وبيان الفرق بين وجوبه فى النكاح وجواز ترك تسميته فى العقد، انظر «بدائع الفوائد لابن القيم ٤ / ٥١، ٧٥، ٧٦ ويلزم الرجوع إليه لاهميته، وله أيضاً فى «زاد المعاد مبحث واقع فى ذلك».

فنصف ما فرضتم﴾ (البقرة: ٢٣٧). فلو كان المهر عوضا عن الاستمتاع بها لما فرض نصف المهر إذا طلقها قبل الدخول ولم يحصل الاستمتاع بها.

يقول ابن قدامة فى المغنى: النحلة: الهبة والصداق فى معناها، لأن كل واحد من الزوجين يستمتع بصاحبه وجعل الصداق للمرأة فكأنه عطية بغير عوض، وقيل: نحلة من الله تعالى للنساء، قال تعالى:- **﴿فآتوهن أجورهن فريضة﴾** (النساء: ٢٤). ١هـ.

أقل الصداق وأكثره: لم يرد نص صريح ولا قياس صحيح يحدد المهر قلة أو كثرة، فالصداق جائز بما قل أو كثر من المال، إذا حصل عليه التراضى، وعليه الجمهور من الفقهاء.

قال ابن حزم -رحمه الله: «وجائز أن يكون صداقا كل ماله نصف قل أو كثر، ولو أنه حبة بر أو حبة شعير، أو غير ذلك، وكذلك كل عمل حلال موصوف كتعليم شيء من القرآن أو من العلم، أو البناء، أو الخياطة، أو غير ذلك إذا تراضيا بذلك»[٦٩] ودليله قول النبى ﷺ للذى زوجه من وهبت نفسها: «هل عندك شيء تصدقها؟ قال: لا أجد. قال: التمس ولو خاتما من حديد»[٧٠] ثم زوجها له بما معه من القرآن وبهذا قال الحسن وعطاء وعمرو بن دينار، وابن أبى ليلى، والثورى، والأوزاعى، والليث، والشافعى، وإسحاق وأبو ثور، وداود

(٦٩)- المحلى ٩ / ٤٩٤، وانظر المغنى ٦ / ٦٨٠، وأعلام الموقعين فى مواضع كثيرة منه، منها: (١ / ٣٢، ٢٧٧، ٣٥٢) و(٢ / ٣٠٢، ٣٣٠) و(٣ / ٣٠١) وزاد المعاد: (٤ / ٢٨).

(٧٠)- جزء من حديث طويل متفق عليه، البخارى (٥١٣٥)، ومسلم (١٤٢٥)، وأبو داود (٢١١١) والترمذى (١١١٤) والنسائى / ١٢٣، وابن ماجة (١٨٨٩)، ومالك (٢ / ٥٢٦ رقم ٨) وأحمد فى المسند ٥ / ٣٣٠، ٣٣٦، والدارمى ٢ / ١٤٢، وابن الجارود فى المنتقى رقم (٧١٦) والطحاوى فى «شرح المعانى» ٣ / ١٦، والدار قطنى (٣ / ٤٧) رقم (٢١) والبيهقى ٧ / ٢٣٦، عن سهل بن سعد الساعدى -رضى الله عنه ومن روايات الحديث : انه ﷺ قال له: «انطلق، فقد زوجتُكما، فعلِّمها من القرآن»، صحيح مسلم (١٤٢٥) وللبخارى : (أمْكَنَّاكها بما معك من القرآن) (الفتح٩/ ٢١٤)، ولأبى داود بسند ضعيف: عن أبى هريرة -رضى الله عنه: قال: «ما تحفظ؟» قال: سورة البقرة أو التى تليها -قال: (قم فعلمها عشرين آية) (سنن أبى داود (٢١١٢) قلت: وفى الأحاديث أحكام وفوائد بسطها الحافظ فى الفتح (٩ / ٢٠٦) فيلزم الرجوع إليه وذلك لغزارة فوائده.

الظاهرى، والحنابلة، وبه عمل سعيد بن المسيب سيد التابعين، وأحد فقهاء المدينة السبعة، إذ زوّج ابنته بدرهمين لتلميذه وقال: - «لو اصدقها سوطا لحلت».

على أن أبا حنيفة قد قال إن اقل المهر عشرة دراهم، وهو المال الذى يجب فيه قطع يد السارق، ويوافقه مالك على أن اقل المهر ما يقطع به يد السارق لكنه عنده ثلاثة دراهم أو ربع دينار ذهب فلا يجزىء المهر بأقل من ذلك.

ولا حد لأكثره، وعليه الإجماع. وقد قال تعالى: - ﴿وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بهتاناً وإثما مبيناً﴾ (النساء: ٢٠)، فأباح أن يكون المهر مائة رطل من الذهب، وهو القنطار، لكن الأفضل أن لا يغالى فى المهور حتى لا يرهق الشباب ويكون المهر عندهم عقبة من عقبات الزواج. وخير الهدى هدى المصطفى ﷺ القائل: «خير النكاح أيسره».

وسيأتى الكلام عنه كمشكلة من المشكلات.

وفى المهر أحكام ومسائل كثيرة يرجع إليها فى مظانها من كتب الفقه، وشروح الأحاديث، والمعنية بتفسير آيات الأحكام.

أسماء المهر- للمهر أسماء تدل فى مجموعها على قصد الإسلام من فرضه وهى:

١- الصَّداق: (بفتح الصاد وكسرها) مأخوذ من الصدق لإشعاره بصدق رغبة الزوج فى الزوجة، وذكر الصنعانى أن فيه سبع لغات، أو لأنهما يتصادقان عليه أى يتفقان.

٢- الصدُقة (بضم الدال): وفيه أيضا المعتيين السابقين.

٣- المهر: بمعنى الحزم والمهارة.

٤- النِحلة: (بكسر النون) يعنى العطية والهبة بلا عوض.

٥- الفريضة: لان الله افترض وأوجبه كما جاء فى القرآن الكريم.

٦- الأجر: بمعنى الثواب والمكافأة على قـولها أن تدخل فى طاعة الزوج وتقر بحقوقه وقوامته.

٧- العلائـق: لأنه يدل على التعلق والارتبـاط والاتفاق. أو لأنه حق يتـعلق بذمة الزوج حتى يؤديه.

٨- العُقر (بضم العين): بمعنى الغُرم المالى الذى استوجبه شىء ما.

٩- الحِباء (بكسر الحاء): العطاء والهبة بلا جزاء.(٧١)

وهذه الأسماء قد جمعها الشاعر فى بيتين وذلك فى قوله:-

صداقٌ، ومهرٌ، نحلةٌ، وفريضةٌ   حِباءٌ، وأجر، ثم عقر، علائق

وطول، نكاح، ثم خرسٌ تمامـها   ففردٌ وعشر عدَّ ذاك مُـوافِقُ

****

٢- الحق الثانى من حقوق الزوجية المالية (النفقة).

تعريفـها: النفقـة فى اللغة تطلق على مـعانٍ منها: (النفـوق): وهو الهلاك، كقولك: نفقت الدابة تنفِقُ نفوقاً، إذا هلكت، و(النفاق): كقولك: نفقت السلعة تنفق نفاقاً، وهو الرواج.

ومنها: (النفقـة) والإنفاق: وهو ما ينفقـه الإنسان على عياله؛ لأن فى إنـفاقه عليهم إهلاكاً للمال المنفق أو لأن فى الإنفاق رواجا لحال المنفق عليه.

وعرفه أهل اللغة بأنه: اسم لعين المال الذى ينفقه الإنسان على عياله.

وفى اصطلاح الفقـهاء له استعـمالان: الأول: خصـوص الطعام، وذلك أنهم يعطفـون عليـه السكن والكسـوة، والأصل فى العطف أن يكون المعطـوف غيـر المعطوف عليه لا نفسه ولا بعضه كما هو مقرر فى اللغة.

والثـانى: مـا يشمل الأنواع الثـلاثة: الطعـام والسكنى والكسـوة، وهذا هو

(٧١)- أحكام الأسرة د/ بلتاجى ص ٣٠١.

الغالب المشهور، وتشمل أيضا مصاريف العلاج والخدمة وغيرهما. والأحناف لا يعتبرون العلاج.

حكمها:- الوجوب، لقوله تعالى:- ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف**﴾ (البقرة:٢٣٣)، وقد جعل الله من أسباب قوامة الرجال على النساء النفقة كما قال تعالى:- ﴿**بما أنفقوا من أموالهم**﴾ (النساء:٣٤) وقال تعالى:- ﴿**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ**﴾ (الطلاق:٦)، وهذه الآية توجب سكنى الزوجة على الزوج، وأيضا توجب عليه إطعامها، وذلك لأنها لا تستطيع أن تصل بنفسها إلى ما يقوتها إلا بالخروج والسعى والاكتساب، وقد وجب على الرجل أن يُسْكنها، والإسكان يستلزم حجبها عن الخروج؛ فاستلزم أن يُقدِّم لها ما تقتاتُ منه، ومنها قوله سبحانه:-﴿**لينفق ذو سعةٍ من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله، لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها**﴾ (الطلاق:٧) أوجب على الزوج الإنفاق بكل حال، فدلَّ على أنها لازمة لا مفر منها.

ومن هنا تسقط نفقة الزوجة إذا نشزت وعصت زوجها وامتنعت عنه وعن بيت الزوجية بغير حق شرعي.

وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال فى حجته: «اتقوا الله فى النساء، فإنهن عوان عندكم، أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف»(٧٢).

وفى الصحيحين: «أن هنداً زوجةَ أبى سفيان -رضى الله عنهما- جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله أن أبا سفيان رجلٌ شحيح، لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بنىَّ، إلا ما أخذتُ من ماله بغير علمه، فهل علىَّ فى ذلك من

(٧٢)- رواه مسلم فى صحيحه رقم (١٢١٨).

جناح؟ فقال: - «خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك»[٧٣]

فدل مـا تقدم علـى وجوب النفـقة الزوجـية، وأنها مـقدرة بما يكفيـها وولدها بالمعروف، وأن للزوجة أن تأخذ نفقتها من مـال زوجها إذا منعها ولو لغير علمه، وأن يكون ذلك بالمعروف كما ورد في الحديث.

يقول ابن الهمام: «والنفقة واجبـة للزوجة على زوجها مسلمـة كانت أو كافرة (يعنى كتـابية) -إذا سلمت نفسهـا إلى منزله، فعليه نفقـتها وكسـوتها وسكناها» ويستدل لذلك بالنـصوص والقياس على أن من حبس نفـسه لصالح جهة مـا فقد وجبت نفقته على هذه الجهـة، ومن هنا وجبت على الدولة نفقة الوالى والقاضى والمفتى ونحوهم لأنهم حبسوا أنفسهم على القيام بمصالحها[٧٤].

وينبغى للمرأة أن لا ترهق زوجها بكثـرة الطلبات، وأن تقنع وترضى باليسير، خاصةً إذا كان الزوج فى ضـيق وقلة ذات يد، فقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: - «. . . أن أول ما هلك بنو إسـرائيل أن امرأة الفـقير كـانت تكلفه من الثـياب أو الصيغ. أو قال من الصيغة - ما تكلفه امرأة الغنى[٧٥] وفى النفقة مسائل ومباحث ليس هذا محلها. وتطلب فى مظانها من كتب الفقه والأحكام.

٣- ومن الحقوق الأدبية: حرية المرأة فى اختيار الزوج.

لقد رفع الإسـلام مكانة المرأة بعد أن كانت مـهملة، لا قيـمة لها، تقـول فلا يسمع قولها، فـهى كأى شىء لا يُـأبَهُ به، بل إن بعض الجمادات كانت لهـا قيمة عنها -كانت تورث ضمن التركة، وبالجملة لم تكن شـيئاً مذكوراً. فجاء الإسلام فرفع ذكرها، وحرَّم وأدها، وجعل لها قولا يُعمل به مادام صالحاً، فلا يُتاجرُ فيها

---

(٧٣)- رواه الشيـخان: البخـارى (٥٣٦٤)، ومسـلم (١٧١٤). ورواه النسـائى ٨ / ٢٤٦-٢٤٧، وابن مـاجة (٢٢٩٣) والإمام احـمد ٦ / ٣٩، وفى مواضع عـدة، والدارمى ٢ / ١٥٩، والبـيهقى ٧ / ٤٦٦ ولفوائد الحديث انظر : الفتح ٥ / ١٠٧ -السلفية.

(٧٤)- فتح القدير ٤/ ١٩٣.

(٧٥)- رواه ابن خـزيمة «فى التـوحيـد» (٢٠٨)، وانظر السلسلة الصـحيـحة للمـحدث الألبـانى -رحمـه الله-(٩٥١).

أبوها من اجل ثراء الخاطب أو رفعة جاهه، وهل هناك ما هو أدل على احترام الإسلام رأى المرأة فى هذا الموطن من قوله ﷺ لما سألته أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- عن الجارية ينكحها أهلها، أتستأمر أم لا؟ فقال ﷺ:- «نعم تُستأمر» فقالت له: إنها تستحى، فقال رسول الله ﷺ «فذلك إذنها إذا هى سكتت»[(٧٦)] وفى لفظ: «إستأمروا النساء فى أبضاعهن»، قيل: «فان البكر تستحى أن تكلم؟ قال: «سكوتها إذنها»

زواج البكر الصغيرة.

يجوز للأب أن يزوج ابنته البكر الصغيرة التى لم تبلغ بدون إذنها، لأنه لا إذن لها وقد دل على ذلك القرآن والسنة والإجماع. أما القرآن الكريم فقوله سبحانه:- ﴿ **واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن إرتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائى لم يحضن** ﴾ (الطلاق: ٤)، فجعل للائى لم يحضن عدة ثلاثة اشهر، ولا تكون العدة ثلاثة اشهر إلا من الطلاق فى نكاح أو فسخ، فدل ذلك على أنها تُزوَّج، وتطلق ولا إذن لها فيعتبر[(٧٧)].

وأما السنة: فان أبا بكر رضى الله عنه قد زوج ابنته عائشة رسول الله ﷺ وهى بنت سبع سنين وزُفَّتْ إليه، وهى بنت تسع سنين، ورواية البخارى ومسلم أن النبى ﷺ تزوجها وهى بنت ست سنين، وبنى بها وهى بنت تسع سنين، وفى مسلم عنها: -رضى الله عنها- «أن النبى ﷺ تزوجها وهى بنت سبع سنين، وزُفَّتْ إليه وهى بنت تسع سنين، ولعبها معها»[(٧٨)] ومعلوم أنها لم تكن

---

(٧٦)- رواه البخارى (٥١٣٧)، ومسلم، واللفظ له، والنسائى ٦ / ٨٥-٨٦- واحمد ٦ / ٤٥، ١٦٥، ٢٠٣، والبيهقى ٧ / ١٢٣ .

(٧٧)- المغنى لابن قدامة ٦ / ٤٨٧ .

(٧٨)- رواه البخارى ٩ / ١٩٠، ومسلم رقم (١٤٢٢) وأكثر الروايات على أن النبى ﷺ تزوَّجها لست سنين، وبنى بها وهى بنت تسع سنين، وفى رواية : «تزوجنى وأنا بنت سبع» قال الإمام النورى -رحمه الله فى شرحه (٩ / ١٧٧): «فالجمع بينهما أنه كان لها ست وكسر، ففى رواية اقتصرت على السنين، وفى رواية عدَّت السنة التى دخلت فيها، والله أعلم»اهـ. ويلزم الرجوع إلى كلام الإمام النووى فى تزويج الأب البكر الصغيرة بدون إذنها (٩ / ١٧٦) فهو مهم.

فى تلك الحال ممن يعتبر إذنها. قال الحافظ ابن حجر: - «إذ لا معنى لاستئذان من لا تدرى ما الإذن، ومن يستوى سكوتها وسخطها»[٧٩] وقد زوج علىٌّ رضى الله عنه ابنته أمَّ كلثوم -وهى صغيرة- عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما ذكره البيهقى فى سننه.

وذكر ابن المنذر أن هذا إجماع ولا يعلم له مخالف.

زواج البالغ الثيب.

لا يجوز تزوج البالغ الثيب بغير إذنها، وإذنها الكلام، والفرق بينها وبين البكر أن البكر إذنها سكوتها، وأما الثيب فإذنها كلامها، ولا يجوز لأحد من أوليائها إجبارها على الزواج، سواء كان الولى أباً أو جداً أو غيرهما، والبكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتُها[٨٠].

قال الإمام النووى فى شرحه على صحيح مسلم: «واعلم أن لفظ أحق هنا للمشاركة معناه: إن لها فى نفسها فى النكاح حقا، وحقها أوكد من حقه، فإنه لو أراد تزويجها كفؤاً، وامتنعت: لم تجد، ولو أرادت أن تتزوج كفؤاً فامتنع الولى: أجْبِر، فان أصر زوَّجَها القاضىُّ، فدل على تأكيد حقها ورجحانه»[٨١] أهـ.

وقال الحافظ: «وردُّ النكاح إذا كانت ثيباً فَزُوِّجتْ بغير رضاها: إجماعُ، إلا ما نقل عن الحسن انه أجاز إجبار الأب للثيب ولو كرهت»[٨٢] وقال أيضا فى قوله ﷺ «لا تنكح الايم حتى تستأمر»، «فالمعنى: لا يعقد عليها حتى يطلب الأمر منها، ويؤخذ من قوله: «تستأمر» انه لا يعقد عليها إلا بعد أن تأمر بذلك، وليس فيه دلالة على عدم اشتراط الولى، بل فيه إشعار باشتراطه» أهـ.

---

(٧٩)- فتح البارى ٩ / ١٩٣ .

٨٠)- رواه مسلم (١٤٢١).

(٨١)- صحيح مسلم بشرح النووى ٩ / ١٧٤ .

(٨٢)- فتح البارى ٩ / ١٩٤ السلفية، وانظر المغنى ٦ / ٤٩٢ .

وأما البكر البالغة: ففيها قولان مشهوران.

أحدهما: لا يشترط إذنها فليس شرطا فى صحة العقد كالثيب، ولكن إذنها يكون تطيبا لنفسها.

وإلى هذا القول ذهب مالك والشافعي، والليث، وابن أبى ليلى، ورواية عن احمد، ورجحه الخرقى، والقاضى وأصحابه.

والثانى: أنه يشترط إذنها كما يشترط إذن الثيب، فلا يجوز إجبارها على النكاح، وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه وأصحاب الرأى، وهو الرواية الثانية عن أحمد، وصوَّبه شيخ الإسلام ابن تيمية كما فى المجموع. ودليلهم قوله ﷺ «لا تُنكَح البكر حتى تُستَأذن، ولا الثيب حتى تُستَأمر...»(٨٣).

فلا يجوز أن تُجبر البكر البالغ على النكاح، ولا تزوَّج إلا برضاها، فان وقع لم يصح العقد، وهذا مذهب الأوزاعى والحنفية، وهذا هو الحق ، والله اعلم(٨٤).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله: «ليس لأحد الأبوين أن يلزم الولد بنكاح من لا يريد، وأنه إذا امتنع لا يكون عاقًا، وإذا لم يكن لأحد أن يلزمه بأكل ما ينفر عنه مع قدرته على أكل ما تشتهيه نفسه كان النكاح كذلك، وأولى، فان أكل المكروه مرارة ساعة، وعشرة المكروه من الزوجين على طول يؤذى صاحبه كذلك، ولا يمكن فراقه»(٨٥) أهـ.

فلينظر الأباء كيـ ... ـف يكون تزويج البنات
يستأذنون البكر فى التز ... ويج مثل الثيبات
حتى يعشن مع الرجا ... ل منعَّمات راضيات
طعم الحياة مع السجو ... ن أمرُّ من طعم الممات(٨٦)

---

(٨٣)- رواه البخارى (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩) وغيرهما، وانظر الفتح ٩ / ١٩١ وما بعدها، والمجموع للنووى ١٥ / ٥٥،٥٨.

(٨٤)- انظر زاد المعاد ٥ / ٩٥ وما بعدها.

(٨٥)- مجموع الفتاوى (٣٢ / ٣٠).

(٨٦)- عودة الحجاب ٢ / ٣٤٢ نقلا من «أستاذ المرأة» لمحمد بن سالم البيحانى ص٢١٤.

٤- أن يعلمها أمور دينها ويكون عونا لها على طاعة الله.

والأصل فيه قوله سبحانه:- ﴿**يا أيها الذين أمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾ (التحريم:٦).

فعلى الزوج أن يعلمها إن كانت جاهلة ويذكرها إن كانت ناسية، ويعينها إذا كانت ذاكرة، وأول أمر يهتم به التوحيد ولأنه إذا صلحت العقيدة قُبِل سائرُ العمل، وإذا فسدت العقيدة رُدَّت سائر الأعمال، ثم يبين لها هدى النبى ﷺ وما كان عليه السلف الصالح من العقيدة والعمل وما يتبع ذلك من عبادات وأخلاق.

وفى الصحيحين: عن ابن عمر -رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ:- «كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها»[٨٧].

ويجب عليه أن يأمرها بإقامة الصلاة فى أوقاتها وأن لا يتغافل عن ذلك. وليتخذ ألوان الدعوة من ترغيب وحث وإنذار الخ...

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى:- «عمن له زوجة لا تصلى: هل يجب عليه أن يأمرها بالصلاة؟ وإذا لم تفعل: هل يجب عليه أن يفارقها، أم لا؟ فأجاب: نعم، عليه أن يأمرها بالصلاة، ويجب عليه ذلك؛ بل يجب عليه أن يأمر بذلك كل من يقدر على أمره به إذا لم يقم غيره بذلك، وقد قال تعالى:- ﴿**وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها**﴾ (طه:١٣٢).

وقال تعالى:- ﴿**يا أيها الذين أمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**﴾ (التحريم:٦).

وينبغى مع ذلك الأمر أن يحضها على ذلك بالرغبة، كما يحضها على ما

---

(٨٧)- أخرجه البخارى (٥١٨٨)، ومسلم (١٨٢٩)، والترمذى (١٧٠٥)، وأبو داود (٢٩٢٨).

يحتــاج إليها، فان أصرت عــلى ترك الصلاة فعليه أن يطلقــها، وذلك واجب فى الصحيح. وتارك الصلاة مستحق لــلعقوبة حتى يصلى باتفاق المسلمين، بل إذا لم يصل قُتل.

وهل يقتل كافرا أم مرتدا؟ على قولين مشهورين. والله أعلم[٨٨] أهـ.

ويجب عليه أن يعلمهــا مكارم الأخلاق وأن تدع سفاسفهــا، وأن تحفظ لسانها من الغيبة والنمــيمة والسباب والكذب. وعليه أن يأمــرها بتجنب سيء الطباع من التبرج والسفــور، وكل ما يخــدش حيــاءها أو ينقص إيمانهــا، وأن يغار عليــها ويصونها ويحفظ لها كرامتها.

٥- أن يحصنها ويعفها.

وذلك لأن للمرأة رغــبتها الفطرية فــيلزم الزوج أن يلبى ذلك لها حتى يقــصُر طرفها عن الحرام، ولان ذلك من تمام إحســان العشرة، ومن عناية الشرع بالزوجة واعفافها.

إن الله سبــحانه جعل للمــولى -وهو من يحلف أن لا يطأ زوجتــه- جعل له حداً يرجع فيه عن حلفه، فإن لم يفعل فُرق بينهما، قال تعالى: - ﴿**للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة اشهر، فان فاءوا فان الله غفور رحيم**﴾ (البقرة: ٢٢٦).

وفى هذا تنبيه على وجوب إعــفاف الزوجة وإن أقصى ذلك هو هذه المدة التى ذكر الله فى هذه الآية[٨٩] ولا يجوز للرجل أن ينشــغل عن زوجته انشــغالا يؤدى إلى هجره وبعده عنهــا وعدم عفتهــا حتى وإن كان ذلك من أجل العبــادة والقيام والاعتكاف، فلأهله حق عليه لا يضيعه حتى لا يعاقب عليه. وكان مخالفا لهدى النبى ﷺ.

روى البخارى -رحمــه الله- عن وهب بن عبد اللــه -رضى الله عنه- قال:

(٨٨)- مجموع الفتاوى ٣٢ / ٢٧٧، وانظر فى وجوب تعليم أولاد المسلمين ما أمر الله بتعليمهم إياه.

(٨٩)- فقه الزواج للدكتور / صالح الــسدلان ص١٢٨.

«آخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء متبذلة [(٩٠)].

فقال: ما شانك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا[(٩١)]، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما.

فقال له: كُلْ ؛ فإنى صائم....

قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم.

فقال له سلمان: نم، فنام، ثم ذهب يقوم.

فقال له: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: «قم الآن» فصليا جميعا.

فقال له سلمان: «إن لربك عليك حقاً، وان لنفسك عليك حقاً، وان لأهلك عليك حقاً، فاعط كل ذى حق حقه» فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له.

فقال النبى ﷺ: - «صدق سلمان»[(٩٢)].

نعم: المسلم مطالب أن يعطى كل ذى حق حقه، والموازنة بين الحقوق الواجبة على المسلم أمر مطلوب، والتفريط فى هذه الموازنة تفريط فى الحياة المتكاملة.

يقول الشيخ الصَّباغ: - هناك ناسٌ يشغلون عن زوجاتهم بكسب المال، فترى الواحد منهم يكدح طوال النهار وطرفا من الليل، ولا يعود إلى داره إلا مكدود الجسم، مهدود القوى، قد استنفذ طاقته حتى لم يعد لديه استعداد لحديث ولا مؤانسة.. فيخلد إلى الفراش منهارا مضعضعا.. وقد يأتى فيجد أهله فى نوم

---

(٩٠)- أى لابسة ثياب البيت، الذى تطبخ فيه وتعمل فيه، فهو ثياب المهنة، تاركة الزينة، والملابس الحسنة.
قال ابن فارس فى المعجم: «الباء والزال واللام كلمة واحدة وهو ترك صيانة الشىء» وتبذل فلان. ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة، وفى خبر الاستسقاء: «خرج رسول الله ﷺ متواضعا متبذلا متخشعاً متضرعاً..» والبذلة: ما يلبس من الثياب، ويمتهن ولا يصان.
بتصرف من المعجم الكبير مادة (بذل).

(٩١)- أى فى النساء، ويفسره رواية الدارقطنى: «فى نساء الدنيا» وزاد ابن خزيمة: «يصوم النهار ويقوم الليل».

(٩٢)- رواه البخارى (١٩٦٨)،(٦١٣٩)، عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه، ورواه الترمذى ٣ / ٢٩٠. والبيهقى ٤ / ٢٧٦.

عميق بعد أن طال عليها الانتظار.

قد يكسب من وراء هذا السلوك المالَ.. ولكنه يعرض نفسه لخسران الحياة الزوجية. وهناك ناس يُشغلون عن زوجاتهم بمعاشرة الأصدقاء، وحضور الحفلات والسهرات، والاشتراك في الرحلات، فترى الواحدَ منهم بعيداً عن بيته وآله في معظم الأوقات.. وإن لَم يذهب من الدار جاء هؤلاء الأصدقاء إليه وكان مكلفاً بقراهم وخدمتهم، وهو بطبيعة الحال سيدعو زوجته إلى إعداد ما سيقدم إلى ضيوفه من أنواع الطعام والشراب.

إن هذا الإنسان قد يكسب ودَّ عدد من الأصدقاء، وقد يكسب سمعة إجتماعية جيدة ولكنه يعرض نفسه إلى خسران السعادة البيتية.

وهناك ناسٌ يُشغلون عن زوجاتهم بأمور محمودة كما شُغل أبو الدرداء عن زوجته فتراهم في ذكر وعبادة، ونصح للناس ودعوة، وقراءة وكتابة.

إن هؤلاء فقدوا القدرة على الموازنة بين الحقوق المتعددة، وفقدان القدرة على هذه الموازنة يورث خللاً واضطراباً في الحياة الداخلية للفرد منهم، في حياته مع زوجته وأولاده، إن الأهل والذرية من أحق الناس بالعناية وبأن توجه الدعوة إليهم، إن الواحد من هؤلاء الذين فقدوا القدرة على تلك الموازنة لا يلبث أن يستيقظ من غفلة، فإذا هو في واد، وزوجته وأولاده في وادٍ آخر، إن هؤلاء الذين يُشغلون عن أهليهم يجنون بعد حين الصاب والعلقم، يتجرعون غصص العناء والشقاء، والحياة اليوم معقدة الجوانب، مترعة بأسباب التأثير»[٩٣] أهـ.

ومن هدى النبي ﷺ إعطاء الزوجة حقها في العفاف والإحصان، ومن كان متزوجاً وتبتل وعزف عن زوجته فقد أضرَّ بها ضرراً لا يقره الإسلام، وليس هذا

---

(٩٣)- بتصرف من «نظرات في الأسرة المسلمة» لفضيلة الشيخ الدكتور/ محمد الصباغ - وهو كتاب ماتع مفيد.

من التقوى. والحديث الآتى يوضح لنا ذلك فعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: «دخلتْ علىَّ خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية، وكانت عند عثمان بن مظعون، قالت: فرأى رسول الله ﷺ بذاذة هيئتها، فقال لى: - يا عائشة ما أبذ هيئة خويلة!»، قالت: فقلت: «يا رسول الله امرأة لها زوج يصوم النهار، ويقوم الليل، فهى كمن لا زوج لها، فتركتْ نفسها، وأضاعتها»، قالت: فبعث رسول الله إلى عثمان بن مظعون، فجاءه، فقال: «يا عثمان أرغبةٌ عن سنتى؟!» قال: فقالت: فقال: «لا والله يا رسول الله، ولكن سُنَّتَك اطلبُ»، قال: «فانى أنام، وأصلى، وأصوم، وافطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، فصم وافطر، وصل ونم»(٩٤).

وقال أيضا ﷺ لعبد الله بن عمرو: «فصم وافطر، وقم ونم، فإن لعينيك عليك حظا، وإن لنفسك وأهلك عليك حظا...»(٩٥).

فحرىٌّ بالمسلم أن يراعى هذا الجانب ويعطيه حقه.

ولنذكر هذه القصة العجيبة التى تبين لنا فطنة القاضى المسلم الذى رأى أنه لا فرق بين التشدد فى العبادة الذى يضر بالزوجة وبين الضرائر، فأوجب لها حقا.

ورد أن كعب بن سُوْر كان جالساً عند أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فجاءت امرأةٌ فقالتْ: - «يا أمير المؤمنين، ما رأيت رجلاً -قط- أفضل من زوجى، والله إنه ليبيت ليله قائماً، ويظل نهارَهَ صائماً، فاستغفر لها وأثنى عليها، واستحيت المرأة وقامت راجعة، فقال كعب: يا أمير المؤمنين، هلاَّ أعديت المرأة على زوجها، فقال: وما ذاك؟ فقال: إنها جاءت تشكوه، إذا كانت هذه حاله فى

(٩٤)- أخرجه الإمام احمد واللفظ له ٦ / ٢٧٨، وابو داود (١٣٦٩) وفيه عنقبة ابن إسحاق، لكن يشهد له أحاديث صحاح منها ما ذكرناه آنفا عن أبى جحيفة، وحديث أبى موسى الاشعرى وزاد فى الآخرة قال: «فاتتهم المرأة بغير ذلك كأنها عروس فقيل لها:(مم)، قالت أصابنا ما أصاب الناس» أخرجه ابن حبان (١٢٨٧- موارد).

(٩٥)- رواه البخارى (١٩٧٧)، ومسلم (١١٥٩).

العبادة متى يفرغ لها؟ فبعث عمر إلى زوجها، فجاء فقال لكعب: اقض بينهما، فانك فهمت من أمرها ما لم افهم، قال: فإنى أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة، هى رابعتهن، فاقض له بثلاثة أيام ولياليهن يتعبد فيهن، ولها يوم وليلة» فقال عمر: - «والله ما رأيك الأول بأعجب إليَّ من الآخر، اذهب فأنت قاض على أهل البصرة، نعم القاضى أنت»[٩٦].

ثمة حقوق أخرى للزوجة على زوجها لم نذكرها لا رغبة عنها، وإنما لدواعى الإيجاز، وسنضعها فى نقاط وهى:

٦- أن يغار الزوج على زوجته الغيرة المحمودة، لا الغيرة التى تثير الشكوك، وتظن الظنون الموصلة إلى خراب البيوت وذلك بدون سبب.

٧- أن لا يتحدث الزوج بما بينه وبين زوجته من الخلوة وقضاء الوطر. فان فعل فقد خان الأمانة وجعل من نفسه شيطانا لقى شيطانة.

٨- أن يعدل الزوج بين زوجاته إذا كان متزوجا بأكثر من واحدة.

٩- وأن لا يطرق أهله ليلا.

١٠- وأن يتزين لها، هذه هى أهم حقوق الزوجة على زوجها.

ثانياً: حقوق الزوج على الزوجة.

الأصل الذى بنيت عليه حقوق الزوج على زوجته هو قوله تعالى: - ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض بما أنفقوا من أموالهم﴾ (النساء: ٣٤).

وقوله ﷺ فى الحديث الذى رواه عنه عمرو بن الأحوص رضى الله عنه: - «ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم

---

(٩٦)- ذكرها عبد الرزاق فى «المصنف» ٧ / ١٢٥٨٧ كتاب الطلاق، باب حق المرأة على زوجها، وفى كم تشتاق، وابن سعد فى «الطبقات» ٧ / ٥٢، والحافظ فى «الإصابة» ٥ / ٦٤٦، وابن قدامة فى المغنى ٧ / ٣٠، وقال: «هذه قضية اشتهرت فلم تنكر فكانت إجماعاً» اهـ.

فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون. . .»[٩٧].

وأول هذه الحقوق.

١- القوامة.

لقد أعطى الإسلامُ الرجل حق القوامة باعتباره الأقدر بفطرته للقيام بمسئولياتها بحكم طبيعته، وتكوينه العقلى والعضلى، فالرجل -بلا شك- أقوى على الكفاح ومواجهة مشاق الحياة.

والقوامة مسئولية كبرى لا تنقطع أبدا، وذلك لأن الحاجة ماسة إليها لتدبير المعاش، وتوفير الحماية والأمن لان ذلك من مسئوليات القوامة وتباعتها وكمال الرجولة بكل عناصرها.

مصداقا لقول الله تعالى:- ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا**﴾ (النساء: ٣٤)، فالقوامة أمر مطلوب ولا تحس المرأة بالأمن والاستقرار والطمأنينة إلا فى ظل رجل يستقيم كيانها فى حماه، لان المرأة مهما وصلت وحققت من رغبات فان حاجتها إلى حماية الرجل وقوامته أمر فطرى لا يجحد، ولذلك جعل الله تعالى للرجل حق القوامة على زوجته فيجب عليها أن تخضع له، وتهابه ولاتنازعه فى القوامة وتعلم أن ذلك لا يقلل من شأنها ولا يقدح فى شخصيتها.

معنى القوامة.

ومعنى القوامة فى قوله تعالى:- ﴿**الرجال قوامون على النساء**﴾ هى رياسة الرجل الأسرة فى البيت، كفاء مسئولياته المختلفة تجاه الأسرة، وكفاء تكوينه الطبيعى،

فقوامة الرجال معناها انهم: كثيرو القيام برعايتهن والحفاظ على مصالحهن.

---

(٩٧)- رواه الترمذى (١١٦٣) وصححه، وابن ماجة (١٨٥١)، وفى سنده سليمان بن عمرو بن الاحوص. لم يوثق غير بن حبان، وباقى رجاله ثقات، وللحديث شواهد فى الصحيحين، منها حديث جبر الطويل فى حجة الوداع آخرجه مسلم وغيره.

وقد جعل الإسلام رياسة الرجل فى البيت شورية لا استبدادية تقوم على المحبة والمودة وتبادل الرأى، ويتعاون فيها الزوج مع الزوجة، ويرفق بها، ويكون العمل ما يتم عن طريق المشورة الصادقة، والقوامة الواجبة العادلة.

يقول الشيخ محمد عبده: «المراد بالقيام هنا هو الرياسة التى يتصرف فيها المرءوس بإرادته واختياره وليس معناها أن يكون المرءوس مقهورا مسلوب الإرادة لا يعمل عملا إلا ما يوجهه إليه رئيسه، فإن كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن إرشاده والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده إليه أى ملاحظته فى أعماله وتربيته، ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقته ولو لنحو زيارة أولى القربى إلا فى الأوقات والأحوال التى يأذن بها الرجل ويرضى»[٩٨].

وشأن القوامين أنهم يصلحون ويعدلون، لا أنهم يستبدون ويتسلطون، فنطاق القوامة محصور إذن فى مصلحة البيت، والاستعانة على أمر الله، وحقوق الزوج، أما ما وراء ذلك فليس للرجل حق التدخل فيه كمصلحة الزوجة المالية، فلا يتدخل الزوج فيها بغير رضاها، وليس عليها طاعته إلا فى حدود ما احله الله، فان أمرها بمعصية فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وما لم تُخِلَّ المرأة بحق الله تعالى، أو بحق الزوج فليس له عليها سبيل إلا سبيل التكريم والاحترام[٩٩].

إن المرأة أسيرة عند زوجها وذلك بمنطوق الحديث الشريف، فهو سيدها كما أخبر بذلك أصدق الخلق ﷺ فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «كل نفس من بنى آدم سيد، فالرجل سيد أهله، والمرأة سيدة بيتها»[١٠٠]، وكانت أم الدرداء رضى الله عنها إذا حدثت عن زوجها أبى الدرداء رضى الله عنه تقول: «حدثنى سيدى».

وهذه السيادة لا تتضمن معنى الإستبداد والتحكم الباطل -كما يفهمه البعض.

---

(٩٨)- تفسير المنار٥/ ٥٦

(٩٩)- عودة الحجاب٢/ ١٣١ وانظر الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص١٥٦

(١٠٠)- رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة عن أبى هريرة ص١٧٧.

لماذا اختير الرجل للقوامة دون المرأة.

يرجع هذا إلى طبيعة تكوين كل منهما وفق وظائفه الطبيعية الفطرية، فالمرأة وظيفتها أن تكون أماً لأولادها وسكنا لزوجها، وهاتان الوظيفتان تتطلبان منها أن تكون أسيرة شهوة عاطفية فهى تحكم مشاعرها وأحاسيسها العاطفية فى كثير من الأمور، كما أنه بحكم أمومتها تعتريها حالات مرضية أثناء الحمل والحيض والولادة وسن اليأس الذى يسبب لها عدم استقرار نفسى ومزاجى، وكل هذا يعرقل وظيفة القيادة أو الرئاسة التى اختص بها الرجل، فكما اختص المرأة بالحمل والولادة والإرضاع، اختص الرجل بالقوامة والإنفاق، واختصاص المرأة بالحمل والولادة والإرضاع والتربية لا يمس كرامتها، فالله كرمها بهذه الوظيفة إذ جعلها مسئولة عن الإنسان الذى استخلفه فى الأرض وكرّمه على جميع مخلوقاته، بينما كلف الرجل بموجب هذا الإختصاص بالتعامل مع الحيوان والنبات والجماد، وتخصيصه للرجل بالقوامة لا يعنى إطلاقاً أنه أكثر ذكاءاً منها أو أن عقله أفضل من عقلها، وليس كما يقول العقاد فى حديثه عن المرأة: إن الرجل على مر التاريخ قد تفوق على المرأة حتى فى الأعمال التى من اختصاصها، والتى تتناسب مع فطرتها، كطهو الطعام، وتفصيل الثياب، وفنون التجميل... الخ... لعدم تساوى المرأة للرجل فى الخصائص العقلية، صحيح أن الرجل تفوق على المرأة فى جميع المجالات، وهذه حقيقة يجب الإقرار بها حتى نكون موضوعيين فى أحكامنا، كما أنه حقا قد يتفوق عليها فى الخصائص الجسدية، فأنا اختلف معه فى قوله: عدم تساويها للرجل فى الخصائص العقلية. لأنها مساوية للرجل فى هذه الناحية بدليل مساواة الشريعة الإسلامية المرأة والرجل فى التكليف وفى الحدود والعقوبات، فلو كانت أقل من الرجل فى المقدرة العقلية لما ساوى بينها وبينه فى التكليف فى الحدود والعقوبات.

والمرأة حينما تطالب بمساواتها بالرجل فى الأعمال تظلم نفسها؛ لأنها تحمل

نفسها فوق طاقتها، فالإسلام قد خصها بوظيفتى الأمومة والزوجية، ولذا أمرها بالقرار فى بيتها رحمة بها وألزم الرجل بنفقتها.

إلا أننا نجد أن هناك من يخطط لتمرد المرأة على القوامة وإيهامها بأن ذلك فيه إهانة لها وأن عليها أن تستقل اقتصاديا عن طريق احترافها للعمل حتى لا يحق للرجل أن يكون قيماً عليها بحكم قيامه بالنفقة عليها.

إن مصدر هذه الدعوة كارل مركس وصاحبه فريد ريك انجلز، وحقيقة ما دعوا إليه: الشيوعية الجنسية وإبطال قانون الزواج بين اثنين.

والشيوعية الجنسية- هى أن تكون جميع النساء حقا مشاعاً لجميع الرجال فى المجتمع، فيكون الإنسان كبقية الحيوانات فى قطعان تبحث عن الطعام، وتحقق غريزتها الجنسية بأى طريق متاح مع أى أنثى، فكل الذكور لكل الإناث والولد ابن المجتمع كله!!!! وبهذا لا يكون للبكارة والشرف والعفاف والفضيلة والغيرة وجود فى معاجم الأخلاق. وللأسف الشديد! نجد من دعاة التقدم فى بلاد المسلمين المهاجمين للقيم الإسلامية وكل ما يتصل بتشريعات الأسرة ينعقون بهذه النظرية! ويدينون فى سلوكهم وفى عقولهم بها، ويسعون جاهدين لتحقيق هذا المجتمع الإباحى الذى بشر به ماركس وانجلز ومن تبعهما، وهذا ملموس واضح بيِّنٌ فى قصصهم ومسلسلاتهم ومسرحيَّاتهم وأفلامهم، فهم يهاجمون نظام الميراث الإسلامى وقوامة الرجل على المرأة، ويُعَرِّفُون الزواج بأنه شراء الرجل للمرأة بعقد الزواج... الخ سمومهم(١٠١).

---

(١٠١)- انظر فى ذلك: أحكام الأسرة د/محمد البلتاجى وله -حفظه الله- جزء خاص عن (علاقة الرجل بالمرأة بين المساواة والقوامة). وانظر أيضا فى هذا الباب فقه الملكية فى العالم للدكتور على عبد الواحد وافى ص٢٤ وما بعدها. ونظام الأسرة بين الإقتصاد والدين د/ثروت الأسيوطى وغير ذلك من الكتب التى اهتمت بهذا الشأن. وقد حقر د/البلتاجى من كتابات لويس عوض الذى يذيع ويدعو لنظرية الشيوعية الجنسية فى كتابه (المحاورات الجديدة، وفى المحاورة الرابعة التى سماها (فردوس القطط والكلاب) من ٥٨/ ٧٢ والقارئ اللبيب لا يخفى عليه أغراضه ومراميه وسمومه، وتاريخه شاهد على ذلك.

ودعاة هذه النظرية المكفـرة بالله ما نراهم إلا كالبـبغاوات يرددون ما يـسـمعون دون أن يفقهوا حقيقة ما يهدف إليه أولئك الدعاة!! أصحاب هذه النظرية.

فالرجل يكون قيما على زوجه حـتى ولو كانت عالمة أو باحثة مادامت ارتضت به زوجاً لهـا، وبصفته قـواما على المرأة فله حقـوقه عليهـا أن تؤديها له. وهناك حكمة صـينية تقـول: «البيت الذى تزاول فـيه الدجاجـة عمل الديك يصـير إلى خراب» وفى عالم الحيوان المسئـول عن رياسة الأسرة هو الذكر، فلابد فى الأسرة من رئيس؟.

فمن يكون هو ؟ ... المرأة ؟ ... أم ... الرجل ؟...

ولا تصلح المرأة لتولى الإمـارة ولا لتولى القضـاء، كما ورد فى البـخارى أن النبى ﷺ قال: - «لن يفلح قـومُ ولَّوْ أمرهم امرأة»[(١٠٢)] وحسبك أن النـبوة كانت فى الرجال، ولم يبـعث الله امرأة بالرسالة قط. ولا يقـتضى ذلك التفـضيل فى الأفراد، إذ أن تفضيل جنس على جنس لا يقتـضى تفضيل أفراد على أفراد، ولذا فلا يمتنع أن يوجد أفرادٌ من النسـاء أفضل بكـثيرٍ من كثيرٍ من الرجال، بالنظر إلى مآثرهن وفضائلهن وأثرهن الحسن فى الأمة، وهذا أمر مشاهد..

٢- الطاعة: جاءت أحاديثُ كـثيرة تبين هذا الحق وتؤكده، وتبـين ما للزوجة عند ربها إذا هى أطاعت زوجـها، فعن حصيـن بن محصن قال: حدثـنى عمتى قالت: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «أذاتُ زوج أنت؟» قـالت نعم؛ قال: «فأين أنت منه؟» قالت ما آلوه؛ إلا ما عـجزت عنه، قال: «فكيف أنت له، فإنه جنتك ونارك»[(١٠٣)].

(١٠٢)- رواه البخارى ورقمه (٤٤٢٥) و(٧٠٩٩) عن أبى بكر رضى الله عنه.

(١٠٣)- رواه النسـائى بإسناد جيد فى عشرة النساء ص ١٠٦-١٠٩، وابن أبى شيبه فى المصنف ٤ / ٣٠٤، والإمام احمد ٤ / ٣٤١، ٦ / ٤١٩، والبيهقـى ٧ / ٢٩١، والحاكم ٢ / ١٨٩ وصححه ووافقه الذهبى وقـال الحافظ.المنذرى فى التـرغيب والـترهيب ٣ / ٧٤ «رواه احـمد والنسـائى بإسناد ين جيدين».

والمعنى: هل أنت قريبةٌ من مودَّته ملبية لدعوته أم متباعدة عنه كـافرة لعشرته وأنعامه، فاحذري فـإنه سبب لدخولك الجنة إذا رضي عنك، أو دخولك النار إذا سخط[١٠٤].

ولعظم حق الـزوج أضاف النبي ﷺ طاعة الزوج إلى أركـــان الإســلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:- «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهـرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجهـا؛ قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت»[١٠٥].

وطاعة الزوج لا تكون إلا في حـدود الشرع. فلا يأمـرها بما نهى الله عنه من المعاصي الصغائر أو الكبائر، ولا يترك أمر من الأوامر التي أمر الله بها، فان فعل فلا طاعة له عـليها فيهـا. كان يأمرها بالتبـرج والسفور أو الظهور عـارية أو شبه عارية أمـام أقربائه وإخوانه وأصـدقائه، أو مصافـحة الأجانب، الخ... فـيجب عليها أن تمتنع ولا تطيعه، لقوله ﷺ:- «لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»[١٠٦].

٣- أن تقر في بيته، ولا تخرج إلا بإذنه.

والأصل فيه قول الله سبحانه:- ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ (الأحزاب: ٣٣).

فهذا أمـر من الله لنساء النبي ﷺ ونساء الأمـة تبع لهن في ذلك؛ بأن يلزمن بيوتهن صيانة لهن، وحفظا لحق أزواجهن ولا يخرجن إلا لحاجة.

---

(١٠٤)- انظر فيض القدير للعلامة المناوي٣/ ٦٠.

(١٠٥)- رواه ابن حبان في صحيحه (٤١٦٣) كـتاب النكاح باب ذكر إيجاب الجنه للمرأة إذا أطاعت زوجها مع إقامة الفرائض لله عز وجل ورواه احمد رقم (١٦٦١) عن عبد الرحمن بن عوف.

(١٠٦)- رواه البخـاري (٤٣٤٠)، (٧١٤٥)، (٧٢٥٧) ومسلم برقم (١٨٤٠) وأبو داود (٢٦٢٥) والنـسائي (٢ / ١٨٧) واحمد ١ / ٩٤ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

لكن هل من حق الزوج أن يمنع زوجته من الخروج من البيت؟

اعتبرت الشريعة الإسلامية منزل الزوجية هو المكان الطبيعى لقرار المرأة فيه، وقيامها على شئونه ورعايتها له، لكن ليس معنى هذا أن للزوج أن يحبسها فى البيت حبساً مطلقاً لا تغادره إلا إلى القبر. كما يظن ويفعل بعض الجهلاء. فليس هذا حقا، وليس من أخلاق السلف الصالح من المسلمين مع زوجاتهم.

نعم معنى طاعة المرأة للزوج أن لا تخرج من بيتها إلا بإذنه ورضاه عن المكان الذى ستذهب إليه، ولكن إلى جانب ذلك فعلى الزوج أن لا يمنع زوجته من الخروج المشروع[١٠٧]، حيث لا ينبغى له مثلا منعها من زيارة والديها وعيادتهما لان فى ذلك قطيعة لهما، وحملا لزوجته على مخالفته.

لكن للزوج أن يمنع من زيارة ومخالطة من لا يوثق فى أخلاقهن، حتى ولو كن قريبات، بل وله أن يمنعها من زيارة أبيها أو أمها إذا كان أحدهما فاجرا يدفعها إلى الفساد ويزينه لها، ويخشى عليها منه.

وله أيضا أن يمنعها من زيارة الأقرباء الذين ليسوا ذوى رحم محرم، مثل ابن العم وابن العمة وابن الخال وابن الخالة، ولا يجوز لها أن تستقبل أحداً منهم فى بيتها فى غياب زوجها، أو تختلى بأحد منهم، أو أن تلتقى به على نحوٍ ما دون إذن الزوج، فإن فعلت شيئا من ذلك فهى آثمة إثماً كبيراً، وإن لم تقارف جريمة الزنا أو ما يتصل بها[١٠٨].

٤- أن لاَّ تأذن لأحدٍ أن يدخل بيته إلا بإذنه.

لقوله ﷺ:- «وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكن أحداً تكرهون».

---

(١٠٧)- الخروج المشروع كخروجها إلى المسجد لأداء الصلوات، إذا خرجت متحجبة الحجاب الشرعى وليس فى طريقها إلى المسجد فتنة تؤذيها فى دينها ومن الخروج المشروع أيضا خروجها لطلب العلم وزيارتها لأبيها وأمها أو محارمها مادامت ملتزمة بالحجاب الشرعى الذى عرفه الفقهاء لا الحجاب الذى يلبسه كثيرات من المسلمات اليوم، والذى ليس فيه من معنى الحجاب إلا اسمه.

(١٠٨)- انظر، أحكام الأسرة د/ بلتاجى١/ ٢٧٠.

وقوله:- «ألا وإن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فحقكم عليهن: أن لا يوطئن فُرُشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون».

قال الإمام النووي:- «المختار إن معناه أن لا يأذن لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منزلكم، سواء كان المأذون له رجلاً أجنبياً أو امرأة أو أحداً من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك، فلا تأذن الزوجة لرجل ولا امرأة ولا محرم ولا غيره إلا إذا علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه»أهـ.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:- «لا تأذن المرأة في بيت زوجها وهو شاهد إلا بإذنه»[١٠٩].

قال الحافظ ابن حجر:- «وهذا القيد في قوله: «وهو شاهد» لا مفهوم له، بل خرج الغالب، وإلا فغيبة الزوج لا تقتضي الإباحة للمرأة أن تأذن لمن يدخل بيته، بل يتأكد حينئذٍ عليها المنع لثبوت الأحاديث الواردة في النهي عن الدخول على المغيبات، أي من غاب عنها زوجها».

وقال النووي:- «في هذا إشارة إلى أنه لا يُفتاتُ على الزوج بالإذن في بيته إلا بإذنه، وهو محمول على مالا تعلم رضا الزوج به، أمَّا لو علمت رضا الزوج بذلك، فلا حرج عليها، كمن جرت عادته بإدخال الضيفان موضعاً معداً لهم، سواء كان حاضراً أم غائباً، فلا يفتقر إدخالهم إلى إذن خاصٍ لذلك»[١١٠].

والإذن في إدخال البيت نوعان:-

الإذن الأول: إذن العرف: يعني جرى به العرف، مثل دخول امرأة الجيران والقريبات والصاحبات والزميلات وما أشبه ذلك، هذا جرى العرف به، وان الزوج يأذن به، فلها أن تدخل هؤلاء إلا إذا منع وقال: لا تدخل عليك فلانة، فهنا يجب المنع، ويجب أن لا تدخل.

(١٠٩)- رواه مسلم في صحيحه (١٠٢٦).

(١١٠)- فتح الباري جـ ٩ / ٢٩٦ ملخص.

والإذن الثانى: إذن لفظى: بأن يقول لها: أدخلى من شئتِ، ولا حرج عليك إلا من رأيتِ منه مضرَّة ؛ فلا تُدْخِليه، فيتقيد الأمر بإذنه.

وفى هذا دليل على أن الزوج يتحكم فى بيته أن يمنع حتى أم الزوجة إذا شاء أن يمنعها، وحتى أختها وخالتها وعمتها، ولكنه لا يمنعها من هؤلاء إلا إذا كان هناك ضرر عليه وعلى بيته ؛ لأن بعض النساء والعياذ بالله لا يكون فيها خير، تكون ضررا على ابنتها وزوجها، تأتى إلى ابنتها وتحقنها من العداوة والبغضاء بينها وبين الزوج، حتى تكره زوجها، ومثل هذه الأم لا ينبغى أن تُتْرك مع ابنتها لأنها تفسدها على زوجها، فهى كالسحرة الذين يتعلمون ما يفرقون به بين المرء وزوجه(١١١).

٥- أن تطيعه إذا دعاها للفراش:-

فلا يجوز للمرأة أن تمتنع عن زوجها إذا دعاها للاستمتاع بها مادام أنه ينفق عليها ويؤدى لها حقوقها، وإن لم يكن لديها ميل إليه، إلا لعذر مانع، كحيض أو نفاس أو أن يأتيها فى دبرها فلها أن تمتنع، ويجوز له أن يستمتع فى حيضها ونفاسها بكل شىء عدا النكاح -كما كان يفعل النبى ﷺ، ومن الأحاديث التى ترهب المرأة فى الامتناع عن زوجها مع القدرة عليه، ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:- «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجىء، فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح»، وفى رواية:- «والذى نفسى بيده، ما من رجل يدعوا امرأته إلى فراشه، فتأبى عليه، إلا كان الذى فى السماء(١١٢)، ساخطاً عليها حتى يرضى عنها».

---

(١١١)-شرح رياض الصالحين ٥ / ١٧٠ للشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

(١١٢)- وقوله ﷺ (فى السماء) إثبات لصفة العلو لله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى ﴿**أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض**﴾ وهذا الذى نعتقده وندين الله به أنه سبحانه فوق كل شىء وهو القاهر فوق عباده وأنه سبحانه على العرش استوى استواء يليق به سبحانه وليس المراد بقوله (فى السماء) أى ملكه فى السماء بل هذا تحريف للكلم عن مواضعه وهو من صفات اليهود والنصارى ونعوذ بالله من الخذلان. وقد كتب الحافظ الذهبى كتابا قيماً فى علو الله عز وجل سماه (العلو للعلى الغفار) اختصره الشيخ المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألبانى وللشيخ أسامة القصاص -الذى نرجوا له الشهادة كتاب «إثبات علو الله على خلقه»، وهو كتاب ماتع مفيد.

وفى رواية أخرى: قال:- «إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح»، وفى رواية:- «حتى ترجع»[١١٣].

والفراش هنا: كما يقول الحافظ عن ابن أبى جمرة «كناية عن الجماع، ويقويه قوله ﷺ:- «الولد للفراش»، أى لمن يطأ فى الفراش، والكناية عن الأشياء التى يستحيى منها كثيرة فى القرآن والسنة. أهـ

ومن هذا الحديث يتبيّن لنا: أن سخط الزوج يوجب سخط الرب ما لم يأمرها بمعصية فلم تفعلها فيسخط عليها.

وقال ﷺ:- «والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها، ولو سألها نفسها وهى على قتب[١١٤]، لم تمنعه نفسها»[١١٥].

وهذا الحق ليس للرجل -فقط- إنما هو حق مشترك بينهما فكما أنه لا يجوز للمرأة أن تمنع نفسها عن زوجها ليستمتع بها فيما أحله الله له، كذلك لا يجوز للرجل أن يتعمد هجر زوجته، فهو مأمور بأداء حقها، على قدر طاقته، وجاء فى السنة أنه لا يجوز للرجل أن يَشْتَغِل بالنوافل أو يعجز عن أداء حقوق زوجته كما فى قصة عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما- مع زوجته.

٦- أن لا تصوم نفلا وهو شاهد إلا بإذنه.

وذلك للحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:- «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه»[١١٦].

فإن كان الزوج مقيما غير مسافر، لا يجوز لامرأته أن تصوم تطوعا إلا بإذنه، فقد يريد منها ما يتعارض مع صيامها من خدمة وعمل واستمتاع. وذلك لأن له

---

(١١٣)- رواه البخارى (٣٢٣٧)، (٥١٩٣) ومسلم (١٤٣٦) وأبو داود والرواية الأولى له (٢١٤١) والإمام احمد (٢ / ٢٥٥، ٣٤٨، ٣٨٦، ٤٣٩، ٤٦٨، ٤٨٠، ٥١٩، ٥٣٨).

(١١٤)- القتب : الرجل الصغير على قدر سنام البعير وجمعه أقتاب «المعجم الوسيط» مادة قتب.

(١١٥)- رواه الإمام احمد ٤ / ٣٨١، وابن ماجة ١ / ٥٧٠، والبيهقى ٧ / ٢٩٢ وانظر السلسلة الصحيحة (١٢٠٣).

(١١٦)- رواه البخارى (٥١٩٥) وغيره.

أن يستمتع بها في أي وقت شاء، فإن أذن لها صامت فقد جاءت امرأة صفوان بن المعطل تشكو صفوان إلى رسول الله ﷺ في أمور منها انه: «يفطرها إذا صامت» فسأله النبي ﷺ عن ذلك، فكان مما قال: . . .وأما قولها: «يفطرني إذا صمت، فإنها تنطلق فتصوم، وأنا رجل شاب، فلا اصبر»، وحينها قال رسول الله ﷺ لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها»[١١٧].

ومعنى قوله ﷺ وزوجها شاهد -أي حاضر-، والنهي هنا لصيام التطوع كالاثنين والخميس والثلاثة أيام من كل شهر، وغير ذلك من النوافل المطلقة والمقيدة، أما إذا كان غائبا فلها أن تصوم ما شاءت.

فإن صامت وهو غائب ثم قدم أثناء الصوم فله أن يأمرها بالإفطار وإفساد الصوم من غير كراهة.

هذا كله في الكلام عن صيام التطوع، **لكن ما الحكم إذا صامت المرأة ما عليها من القضاء وهو حاضر** مقيم فهل له أن يمنعها إذا لم تستأذن منه؟

نقول:- إن كان في الوقت متسع، وبقي من السَّنَةِ مدة أكثر مما يجب عليها، فلا يحل لها أن تصوم إلا بإذن زوجها إذا كان شاهدا، وإن كان لا يسع إلا مقدار ما عليها من الصوم؛ فإنه لا يشترط إذن الزوج، إن كان حاضرا.

وهل مثل ذلك الصلاة - من تطوع وقيام.

يقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:- «والظاهر أن الصلاة ليست كالصوم، فلها أن تصلي ولو كان زوجها حاضراً، إلا أن يمنعها فيقول: أنا محتاج إلى استمتاع، لا تصلين الضحى مثلاً، لا تتهجدين الليلة.

على أنه لا يجوز للزوج أن يحرم زوجته الخير، إلا إذا كان هناك حاجة بأن غلبت عليه الشهوة، ولا يتمكن من الصبر، وإلا فعليه أن يكون عونا لها على

---

(١١٧)- أخرجه الإمام احمد ٤ / ٨٠، وأبو داود (٢٤٥٩)، والحاكم ١ / ٤٣٦ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقال الالباني وهو كما قال، (الارواء ٧ / ٦٥).

طاعة الله، وعلى فعل الخير؛ لأنه يكون مأجوراً بذلك، كما أنها مأجورة أيضا على الخير»[١١٨].

وأيّده القاري في المرقاة، قال:- «وإنما لم يلحق بالصوم في ذلك صلاة التطوع لقصر زمنها، وفي معنى الصوم الاعتكاف لاسيما على القول بان الاعتكاف لا يصح بدون الصوم»[١١٩].

٧- أن تقوم بخدمته.

ومن حق الزوج أن تقوم زوجته بمصالح دارها وتدبير شئون منزلها، وذلك بتربية أولاده وتهيئة طعامه وملابسه ونحو ذلك، وهذا مقصد من مقاصد الزواج السامية، ولا يجوز لامرأة أن تترفع وتأنف عن خدمة زوجها مع قدرتها على ذلك.

فقد صحّ عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- قالت:- «تزوجني الزبير، وماله في الأرض من مال ولا شيء غير فرسه وناضحه، فكنت أعلف فرسه»، وزاد مسلم- وأسوسه وأدق النوى لناضحه واستقي الماء، واحرز عزبه، وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ، حتى أرسل إليّ أبو بكر بخادم يكفيني سياسة الفرس، فكأنما اعتقني، فجئت يوما والنوى على رأسي، فدعاني رسول الله ﷺ فقال:- أخ أخ يستنيخ ناقته ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى، فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشد علي من ركوبك معه ﷺ[١٢٠].

وهذه أطهر النساء، وبنت أسعد الخلق، فاطمة بنت رسول الله ﷺ أتت النبي ﷺ تشكوا إليه ما تلقى في يدها من الرحى -وكان قد بلغها أنه جاءه رقيق- فلم

(١١٨)- شرح رياض الصالحين ٥ / ١٦٩-١٧٠ .

(١١٩)- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢ / ٥٣٣ .

(١٢٠)- رواه البخاري (٥٢٢٤) ومسلم (٢١٨٢) ومسند الإمام أحمد ٦ / ٣٤٧، ٣٥٢ ...

تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة، قال على رضى الله عنه فجاء النبى ﷺ وقد اخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال «على مكانكما»، فجاء فقعد بينى وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطنى، فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتما؟، إذا أخذتما مضاجعكما -أو أويتما إلى فراشكما- فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»، قال على: «فما تركتها بعدُ، قيل: ولا ليلة صِفِّين؟ قال: ولا ليلة صفِّين(١٢١).

واختلف الفقهاء فى عمل المرأة فى البيت هل واجب عليها أم تطوع منها إذا قامت به؟

أوجبت طائفة من السلف والخلف خدمتها لزوجه فى مصالح البيت، وقال عليها أن تخدم زوجها فى كل شىء ومنعت وجوب خدمته عليها فى شىء، وقالوا: لان عقد النكاح إنما اقتضى الاستمتاع لا الاستخدام وبذل المنافع، وقالوا: والأحاديث المذكورة إنما تدل على التطوع ومكارم الأخلاق.

وذهب بعضهم إلى أن عليها الخدمة الباطنة وليس عليها الخدمة الظاهرة، ويعنون بالخدمة الباطنة: «داخل البيت».

وذهب الإمام مالك فى قول له: أن عليها خدمته وليس خدمة أهله أو ضيوفه.

والذى أراه وأذهب إليه: أن خدمتها لزوجها وحسن تبعلها من المعاشرة بالمعروف، وأنها واجبة عليها.

وحقق ذلك العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله- فقال:-

«وأيضا: فإن العقود المطلقة إنما تُنَزَّلُ على العرف، والعرف خدمة المرأة، وقيامها بمصالح البيت الداخلة وقولهم: إن خدمة فاطمة وأسماء كان تبرعاً وإحساناً، يردهُ أن فاطمة كانت تشتكى ما تلقى من الخدمة، فلم يقل ﷺ لعلى:

(١٢١)- رواه البخارى فى مواضع منها (٥٣٦١)، ومسلم (٢١٨٢) وراجع الإصابة ٨ / ٥٨ .

لا خدمة عليها وإنما هي عليك، وهو ﷺ لا يُحابي في الحكم أحداً، ولمَّا رأى أسماء والعلف على رأسها، والزبير معه، لم يقل له: لا خدمة عليها، وأن هذا ظلم لها، بل أقرَّهُ على استخدامها، وأقرَّ سائر أصحابه على استخدام أزواجهم مع علمه بأن منهن الكارهَة والراضية، هذا أمر لا ريب فيه.

ولا يصح التفريق بين شريفة ودنيئة، وفقيرة وغنية، فهذه أشرف نساء العالمين، كانت تخدم زوجها، وجاءته ﷺ تشكو إليه الخدمة، فلم يُشكِها، وقد سمى النبي ﷺ في الحديث الصحيح المرأة عانية، فقال:- «اتقوا الله في النساء، فإنهن عوان عندكم»، والعاني: الأسير، ومرتبة الأسير: خدمة من هو تحت يده، ولا ريب أن النكاح نوع من الرق، كما قال بعض السلف النكاح رق، فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته، ولا يخفى على المنصف الراجحُ من المذهبين، والأقوى من الدليلين(١٢٢) أهـ.

غير أن ذلك لا يعنى ألا يقوم الزوج بمساعدة زوجته أو قيام ببعض ما يستطيعه في بعض الأحيان إذا احتاجت زوجته لذلك لأن هذا من المعاشرة بالمعروف، وهذا إمام الأئمة، وأفضل الخلق، وصاحب المقام المحمود يوم القيامة ﷺ لم يأنف من أن يقوم ببعض الأعمال التي يساعد بها زوجاته، أخبرت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- لما سئلت: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في البيت؟ قالت:- «كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة»(١٢٣).

ومن المعاشرة بالمعروف أن يراعى الزوج ظروف زوجته البدنية والنفسية فلا يحملها مالاتطيق. والحمد لله رب العالمين.

---

(١٢٢)- زاد المعاد ٥ / ١٨٨-١٨٩ ويلزم الرجوع إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في المجموع ٣٤ / ٩٠، ٣٢ / ٢٦١، وتأييد الشيخ الألباني له في آداب الزفاف من ٢٨٨-٢٨٨ . ط المكتبة الإسلامية / عمان.

(١٢٣)- رواه البخاري (٦٧٦)، (٥٣٦٣)، (٦٠٣٩).

٨- أن تحفظه فى ماله وعرضها وأولاده.

أما حفظهـا لماله فلقوله ﷺ :- «خير نساءٍ ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولدٍ في صغره، وأرعاه على زوج فى ذات يده» (متفق عليه).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:- «قيل يا رسول الله: أى النساء خير؟» قال: «التى تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره»(١٢٤).

فلا يجوز للمرأة أن تتصرف فى مال زوجها فيما لا يرضاه ولا يريده، ومن دواعى حفظها لماله: أن لا تثقل عليه فى النفقة بما لا داعى له، أو كان فيه إسراف وتبذير.

وأما حفظها عرضها: فبأن تحذر وتتجنب ما يُدَنّس عرضها بحسب ذلك الإخلال، وأشده تلك التى تدخل على زوجها ولداً من غيره بالفاحشة -نسأل الله السلامة- وفى هذا جاء الوعيد الشديد والتهديد الأكيد حيث قال رسول الله ﷺ أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شيء، ولن يدخلها الله الجنة...»(١٢٥).

وأما حفظها فى أولاده: فهى تتعهدهم بالتربية الحسنة، والتنشئة الطيبة، وأن تُعَوِّدَهم محاسنَ الأخلاق، وجميل الصفات. وأن خدمتهم على قدر طاقتها، فلا تعوزه لخادمة تخدمهم وهى قادرة مستطيعة لذلك.

٩- أن تشكر له فضله ولا تجحده.

يجب على المرأة أن تُقَدِّم لزوجها الشكر الجميل على كل فضل يقدمه لها، وهذا إن كان فى حق كل إنسان، فهو أول فى حق الزوج، وقد توعد ﷺ النساء اللاتى ينكرن جميل أزواجهن ويجحدن فضلهن، بأنهن واردات النار ففى

---

(١٢٤)- حسن إسناده العلامة المحدث الألبانى فى «تحقيق المشكاة» ٢ / ٢٧٦.

(١٢٥)- فقه الزواج ص١٢٤ والحديث أخرجه أبو داود (٢٢٦٣) والنسائى ٦ / ١٧٩ وصححه ابن حبان فى صحيحه (١٣٣٥-موارد).

الصحيحين عن ابن عباس -رضى الله عنهما- انه لما خسفت الشمس خطب النبى ﷺ فى الناس، فكان مما قال:- «...ورأيت النار، لم أر كاليوم منظرا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء» قالوا لم يا رسول الله؟ قال: «بكفرهن»، قيل: يكفرن بالله؟!، قال: «يكفرن العشير؛ ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنت إلى إحداهنَّ الدهر، ثم رأت منك شيئاً؛ قالت ما رأيت منك خيرا قط»(١٢٦).

١٠- أن لا تفشى له سراً.

ومن حقِّه أن لا تذيع أسراره ولا تفشى ما يدور بينهما من دقائق الأمور والمعاشرة والجماع. فان فعلت كشفت ستر الله بينهما، وكانت كالشيطانة، ولا يحل له أيضا - أن يفشى سرها، فهذا حق مشترك بينهما وفى ذلك وردت أحاديث ترهب من ذلك، منها ما روته أسماء بنت يزيد - رضى الله عنها - أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود، فقال:- «لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟!» فأرم القوم -أى سكتوا ولم يجيبوا-، فقلت: «إى والله يا رسول الله ! انهن ليفعلن، وإنهم ليفعلون»، قال: «فلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فى طريق فغشيها والناس ينظرون»(١٢٧).

ومن صفات النساء اللاتى يردن النار كما سبق ما ورد فى رواية المسند بسند حسن، قال رسول الله ﷺ:- «وأكثر من رأيتُ فيها النساء اللاتى إن أُتمِنَّ أفشين، وان سُئلن بخلن، وان أُعطين لم يشكرن».

هذه هى مجمل حقوق الزوج على زوجته، إن حفظت الزوجة هذه الحقوق رأدتها كانت سبب لرضا زوجها عنها. ورضا ربها من رضا زوجها. وسخط الله من سخط الزوج، كما سبق وأن بينَّا، والمرأة التى تموت وزوجها راضٍ عنها،

---

(١٢٦)- رواه البخارى (٢٩)، (٥١٩٧) ومسلم (٨٨٤).

(١٢٧)- أخرجه الإمام فى المسند ٦ / ٤٥٦، وله شواهد فى المسند أيضاً ٢/ ٥٤١، وعند أبى داود (٢١٧٤) وانظر «آداب الزفاف» للمحدث الألبانى ص١٤٤، وانظر «آداب الزفاف» للمحدث الشيخ الألبانى ص١٤٤.

تدخل جنة ربها.

عن أم سلمة -رضى لله عنها- قـالت: قال رسول الله ﷺ **أيما امرأة ماتت** وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»[١٢٨].

ثالثاً: الحقوق المشتركة بين الزوجين.

وهى الحقوق الثابتة للزوجين معاً، وعليهما -أيضا- معا، وهى.

١- حسن العشرة: وهو أن كل واحد منهما يحسن معاشرة الأخر، فيخلص له سرَّه وعلانيته، ويحاول قدر طاقته أن يُدْخِل السرور على نفسه، وأن يزيل عنه ما عسى أن يطرأ عليه من أكدار الحياة وآلامها، قال تعالى:- ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

ويجب على كل منهما أن يسعى إلى ما يرضى الأخر من حسن المخاطبة، واحترام الرأى، والتسامح، والتعاون قال سبحانه:- ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ (النساء: ١٩).

وحسن العشرة معنى ينبعث من قلب أحدهما إلى قلب الأخر فيملأ الحياة الزوجية استقرارا وسعادة.

٢- حل الاستمتاع: يباح لكل من الزوجين أن يستمتع بالأخر على الوجه الشرعى، مادام قد توفرت شروط صحة النكاح وأركانه، وانتفت الموانع من إحرام وغيره.

والاستمتاع هو أحد مقاصد النكاح، والمرأة سكن لزوجها، وهو أيضا سكن لها، قال سبحانه:- ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزوجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ (الروم: ٢١).

٣- حرمة المصاهرة بين الزوجين: فيحرم على الرجل أن ينكح أم زوجته، ولو لم يكن قد دخل بها، كما يحرم عليه أن يتزوج بابنتها إن كان قد دخل بها،

---

(١٢٨)- رواه الترمذى برقم (١١٦١) وقال: حسن غريب.

ويحرم عليه أن يجمع بينها وبين أختها أو عمتها أو خالتها أو بنت أخيها أو بنت أختها، كما يحرم على الزوجة أن تُنكح -بعد طلاقها من زوجها- أبا الزوج وإن علا، وابن الزوج وإن نزل.

٤- ثبوت التوارث بين الزوجين: إذا تم عقد الزواج وكان صحيحا وكانت الزوجية قائمة حقيقة أو حكما ثم مات أحد الزوجين قبل صاحبه، ثبت حق التوارث بينهما إلا لمانع شرعي، فإذا ماتت الزوجة أخذ الزوج النصف من تركتها، إن لم يكن لها ولد منه أو من غيره، فان كان لها ولد منه أو من غيره، أخذ ربع تركتها، وإذا مات الزوج ولم يترك ولدا من زوجته أو من غيرها أخذت الزوجة ربع تركته، ولها ثمن التركة إن كان له ولد منها أو من غيرها. كما هو وارد في (الآية: ١٢) من سورة «النساء»، يعرف المانع بأنه يلزم من وجوده عدم الحكم بالرغم من وجود أسبابه وتوافر شروطه.

والمقصود هنا بالمانع الشرعي (موانع الإرث)، واعلم أن موانع الإرث ثلاثة:- الرق، والقتل، واختلاف الدين.

أما الرق: فلأن الرقيق لا يرث ولا يورث ولا يحجب.

وأما القتل: فالمانع منه ما أوجب قصاصاً أو دية أو كفارة، وما عدا ذلك لا يمنع، وذكر ابن القيم -رحمه الله- في إعلام الموقعين ٣/ ٥٢١ أن النبي ﷺ ورّث أحد الزوجين من صاحبه إذا قتله خطأ، ولكن من ماله دون ديته قال وبه نأخذ، وهو مذهب مالك، وانظر التمهيد والمغني والمجموع. وفي المسألة تفصيل كبير.

وأما المانع الثالث اختلاف الدين: وهو أن لا يجتمع الوارث والموروث في ملة واحدة، فلا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم إلا بالولاء، وكذا اليهودي والنصراني لا يرث أحدهما الآخر، ولا يتوارث أهل ملتين.

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن اختلاف الدارين يمنع الإرث وهذا ليس

بصحيح، وليس عليه دليل ثابت.

قال الرحبى:-

ويمنع الشخص من الميراث واحدة من علل ثلاث
رق وقتل واختلاف دين فافهم فليس الشك كاليقين

وقال ابن عبد القوى فى منظومته الدالية:-

بحق الإله الحق ما رمت ابتدى وأهدى صلاة النبى محمد
وكل نبى للأنام وصحبهم ومن يهداهم فى الأعاصير يهتدى
وأشرع فى علم المواريث موجزاً وأسأل توفيقاً واتمام مقصدى
فإياك والمال الحرام مورثاً تبوء بخسران مبين وتكمد
فتشقى به جمعا وتصلى به لظى وغيرك يهناه ويسعد فى غد
وأدِّ زكاة المال حيا مطيبا ولا تركنن للشامتين وحُسَّدِ
وبادر بإخراج المظالم طائعاً وفتِّش على عصر الصبا وتفقد
فيالك أشقى الناس من متكلف لغيرك جمَّاعاً إذا لم تزود
وما الناس إلا ميت ومؤخر فعلم الذى قد مات نصف الترشد
فبادر إلى علم المواريث إنه لأول علم دارس ومفقد
وسارع إلى تجهز ميت فدْيْنُهُ فبذل وصاياه فقسم المزيد
وأسباب ميراث الأنام ثلاثة ولاء وتزويج وأنسابهم قد
والغ موالاة الفتى وعتاده وصحبة بخيل وإسلام ذى يد
ويمنعه رق وقتل مضمن عزاك اختلاف الدِّين ياذا التنقد

٥- **ثبوت النسب:** إذا رزق الله الزوجين بالذرية، كان من حقهما أن تنسب الأولاد إليهما، ومن حق الأبناء أن ينتسبوا إلى والديهم، كما انه حق للزوجين، فهو للأبناء على آبائهم أيضا.

هذه بعض الحقوق بين الزوجين، والحقوق المشتركة بينهما، ذكرتُها على وجه

الإجمال، وليس الغرض حصرها جميعا مع بيان ما فيها من أحكام تفصيلية واختلافات فقهية تطول، لكن المراد بيان جنسها وأصولها.

جمعت هذه الحقوق كلماتٌ عظام من كلام خير الناس -محمد ﷺ فى خطبة الوداع حيث قال ﷺ:-

أما بعد...

«أيها الناس؛ فإن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً. لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فقد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح؛ فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً».

وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فرجهن بكلمات الله. فاعقلوا أيها الناس قولى.

فإنى قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضروا أبداً أمراً بينا. كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فإن أدى كل واحد من الزوجين ما عليه من حقوق للآخر، كانت الأسرة هادئة آمنة مطمئنة، ليست فى مهب الريح، ولا تزعزعها العواصف، وما المجتمع إلا أُسر، فإن صلحت الأسرة، صلح المجتمع، وكان مجتمعا آمنا، وأخرج لنا جيلاً صالحاً، يصلح بصلاحه المجتمع.

دعائم الأسرة المسلمة

بتعرف كل من الزوجين على حقوق الآخر تعيش الأسرة فى سعادة وأمن. وقبل ذلك كله حسن تربية الفتيات وتعليمهن كيف يتعاملن مع أزواجهن.

والحقيقة أن السعادة لن توجد بالكامل إلا إذا تلقت الفتاة فى بيت أبيها حسن معاملة زوجها، وشاهدت بعينيها أسس الاحترام المتبادل بين أبيها وامها. **هذا أولاً**.

وثانياً- أن يتلقى الزوج المبادئ الأولية لحسن معاملة الزوج لزوجته، على يد والده عندما يشاهده يحسن معاملة زوجته يخفف عنها إن تعبت أو تألمت، ويشاركها فى أعمال بيتها ورعاية أبنائها إن ثقلت عليها الأعباء أو كثرت عليها المطالب.

ثالثاً- أن يلتزم كل من الزوجين بتعاليم الإسلام تجاه الآخر وأن يقتدى الرجل بهدى النبى ﷺ فى بيته مع أهله، وأن تتَّبِع الزوجةُ منهج أمهات المؤمنين فى معاملة الرسول ﷺ.

ومن الأشياء التى لا تُبلى ولا يمكن أن تُنْسَى على مر الأيام، تلك الوصية الغالية التى قدمتها امرأة عوف بن محلم الشيبانى إلى ابنتها عندما زُفَّتْ إلى ملك كندة، وقد سقناها لك على ما فيها من البلاغة والإيجاز، فما أحوج الأمهات إلى مثل هذه الوصايا قبل البنات.

إن هذه الوصية تعتبر بحق دستورا للأسرة لو سارت عليها كل فتاة... إنها لم تترك صغيرة ولا كبيرة فى الحياة الزوجية إلا وأشارت إليه.

لقد أمرتها بطاعة زوجها والاستماع له. وقد حث النبى ﷺ على هذه الطاعة بقوله:- «إذا صلَّت المرأةُ خمسها، وصامتْ شهرها، وحصَّنتْ فرجها، وأطاعتْ زوجها، قيل لها: ادخلى الجنة من أىِّ أبواب الجنة شئت»(١٢٩).

ولو كان السجود ينبغى لأحد من المخلوقين لكان أحق أن يسجد له الزوج، والحديث يبين ذلك:-

عن أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ لا يصلح لبشر، ولو صلح لبشر أن يَسْجُدَ لبشر، لأمرت المرأة أن تسجُدَ لزوجِها من عظم حقه عليها»(١٣٠)، وأيما

(١٢٩)- رواه ابن حبان فى صحيحه (١٢٩٦-موارد) عن أبى هريرة -رضى الله عنه- واحمد فى المسند ٣ / ١٢٨ برقم (١٦٦١) عن عبد الرحمن بن عوف -رضى الله عنه- وقال العلامة احمد شاكر: «حديث حسن أو صحيح له طرق» انظر آداب الزفاف ص٢٨٦.

(١٣٠)- أخرجه الإمام احمد ٣ / ١٥٨، وقال الحافظ المنذرى فى الترغيب ٣ / ٧٥: رواه احمد بإسناد جيد، رواته ثقات مشهورون، والبزار بنحوه راجع الارواء ٧ / ٥٥ .

امرأة عصت زوجها ولم تطعه فى غير معصية ردت صلاتها، وحبط عملها؛ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اثنان لا تجاوز صلاتهما رءوسهما: عبد ابق من مواليه حتى يرجع إليهم، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع»[١٣١].

وفى كل وصية من الوصايا التى أمرت ابنتها بها جاءت أحاديث عن النبى ﷺ تحث عليها والتمسك بها.

وقد سبق أن ذكرنا طرفا صالحا منها..

ولقد كانت فاطمة الزهراء -رضى الله عنها- مثال الزوجة الصالحة المطيعة الصابرة، عملت فى بيتها حتى كلَّتْ يداها، وكان زوجها يلاحظها وهى تقوم بأشق الأعمال وأرهق الأمور.. ولم يستطع أن يحضر لها خادمةً تشاركها فى أعباء البيت. ولم يقل أحد أنها شكت أو تألمت..

ولم يحدثنا التاريخ أنها تذمَّرتْ، أو حدَّثتْ أباها بما تعانيه فى بيت زوجها.

نعم: إنها ذهبت إلى أبيها تطلب منه أن يعطيها إحدى السبايا، ولكن كان بإيحاء من زوجها علىٍّ رضى الله عنه لشفقته وحنوه عليها -وحتى بعد أن ذهبت إلى الرسول ﷺ لم تستطع أن تلقى أمامه بشكايتها- فعادت من حيث أتت.

وكانت أماً فاضلة. ربَّتْ فأحسنت التربية، وقامت النهار، وسهرت الليل حتى قدَّمتْ للإنسانية خيرة شباب أهل الجنة الحسن والحسين -رضى الله عنهما.

فما أجدر المؤمنات المسلمات فى كل عصر ومصر أن يسرن سيرتها، ويسلكن مسالكها فى حسن التبعل لزوجها وفى المحافظة على أبنائها[١٣٢].

---

(١٣١)- أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ / ١٧٣، والطبرانى فى الصغير ١ / ١٧٢، وقال فى مجمع الزوائد ٤ / ٣١٣ «رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط»، ورجاله ثقات، وحسَّن إسناده الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» رقم (٢٨٨).

(١٣٢)- من كلمات للدكتور / عبد الرحمن عميرة فى كتابه: «رجال ونساء انزل الله فيهم قرآنا» ٩ / ١١٠ بتصرف كبير...

إن المرأة المسلمة حين تطيع زوجهـا تكون فى طاعة الله، وهى بذلك مأجورة، ولا سيما عندما تكون الطاعة فيما لا توافق عليه، بل إن الطاعة لتتجلى فى طاعة فيـما تكره، اكثـر مما تتجلى فى طاعتـه فيما تحب، إن طاعـته فى قبـول الجواهر النفيسة ليست كطاعته فى تنفـيذ أمر لا تريده، وكمال الطاعة يتحقق فى أن تؤدى الأمر بكل سرور ورضى، أما إذا أدَّته متبرمة متأففة يعلو وجهها العبوسُ وإمارات الكراهية والضيق، فان هذه الطاعة كعدمها، إن إظهارها الرضا والسرور، وإشعار نفسها وزوجها بالقناعة مما يخفف عليها تنفيذ ما تكره(١٣٣).

والزوج أولى الناس بزوجته، ومكانته بالنسبة إليها عـالية مقدسة لا يبلغها أحد من أقاربها أبداً.

قال شيخ الإسلام فى تقديم حق الزوج على والدى الزوجة.

قوله تعالى:- ﴿**فالصالحات قانتات، حافظات للغيب بما حفظ الله**﴾ يقتضى وجوب طاعتهـا لزوجها مطلقاً: من خدمة، وسفر مـعه، وتمكين له، وغير ذلك كما دلَّت سنة رسول الله ﷺ فى حديث «الجبل الأحمر»، وفى «السجود» وغير ذلك؟ كما تجب طاعة الأبوين؛ فـان كل طاعة كانت للوالدين انتقلت الى الزوج؛ ولم يبق للأبوين عليها طاعة: تلك وجبت بالأرحام، وهذه وجبت بالعهود(١٣٤).

(١٣٣)- نظرات فى الأسرة المسلمة ص٩٦.

(١٣٤)- مجـموع الفتاوى ٣٢/ ٢٦١ ويعنى رحـمه الله بحديث الجـبل الأحمر ما ورد عن عـائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:- «لو امرت احداً أن يسجد لاحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها، ولو أن رجلاً أمر امرأته أن تنقل من جبل احمر إلى جبل اسود، أو من جبل أسود إلى جبل احمر لكان نولها أن تفعل» والحديث أخرجه الإمـام أحمد فى المسند ٦/ ٧٦، وابن مـاجة (١٨٥٢)، وابن أبى شيبة ٤/ ٣٠٦ وضعفه الألبـانى فى الإرواء (١٩٩٨) وأما حديث السجود فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:- «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» رواه الترمـذى (١١٥٩)، وصححه الألبـانى فى صحيح الجامع، وفى الإرواء (١٩٩٨)، وعن عـبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:- «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تـسجد لزوجها، والذى نفس محمـد بيده، لا تؤدى المرأة حق ربها، حتى تؤدى حق زوجها كله، حتى لو سـألها نفسها وهى عـلى قتب لم تمنعه» فى الإرواء رواه أحمـد ٤/ ٣٨١، وابن ماجة (١٨٥٣)، وابن حبان (موارد ١٢٩٠) وانظر السلسلة الصحيحة رقم (١٢٠٣).

حال المرأة والأسرة فى واقع المسلمين.

كتب كثير من الكتّاب المسلمين فى أدبياتهم، وخطبهم كثيراً عن مكانة المرأة فى الإسلام، وكذلك مكانة الأسرة فى الإسلام وحقوق المرأة، والأسرة فى الإسلام، والمقارنة بين وضع المرأة فى الجاهلية وتكريم الإسلام لها.. الخ...

دون أن يذكر كثير منهم حال المرأة والأسرة فى واقع المسلمين، وأصبح لنا اليوم من التحول ببعض الحديث عما أعطى الإسلام للمرأة من حقوق وواجبات إلى مراجعة واختبار صور التدين بالنسبة للمرأة، ومدى تمتعها بهذه الحقوق والواجبات، ولنطرح على أنفسنا هذا السؤال الكبير الصريح:

هل أعطينا المرأة فعلاً ما أعطاها الإسلام؟ وهل تتميز الأسرة المسلمة بتربيتها وعطائها ومودتها ورحمتها عن غيرها فى عالم اليوم، بحيث تثير الاقتداء، أم أن الأشكالية قد تكون فى افتراق بالعناوين وانطباق بالمضامين؟!.

ولسنا فى حاجة إلى الإجابة على هذا السؤال وأشباهه، لان الواقع الملموس لحال المرأة وحال الأسرة هو أصدق مجيب وابلغ مقرر.

إن الأمور إذا استمرت فى الانحدار عما هى عليه فإنها تنذر بسوء العاقبة، والعياذ بالله.. فعلى الرغم من التقدم التقنى والارتقاء المدعى بوسائل التربية والمعرفة، فإن ذلك مايزال يترافق بانهيارات وتراجعات وتصدعات فى البناء الأسرى، وارتفاع نسبة الطلاق، والعزوف عن الزواج، إلى بدائل من العلاقات الاجتماعية غير المشروعة.

ومن هنا يتبين خطورة النقل الثقافى والاغتراف الأعشى من حضارة (الآخر)، أو من أمراضها، ويتأكد من جديد خطورة التهاون بالقيم الإسلامية فى البناء الحضارى.

والحق: أنه لابد لنا من العودة إلى دراسة شجاعة وجريئة لواقع الأسرة المسلمة، والاعتراف بالخلل الذى لحق بها، وعدم التستر على أمراضها، لأن ذلك

سبيل العلا، كما أنه لابد من دراسة ما يخالف آدابها وقيمها، والأحكام التى وضعها الشرع لهذه المخالفات فى الآداب والأحكام التى تتسرب إلينا، ومعالجتها بما يتفق مع كتاب الله وسنة النبى ﷺ الذين لن نضل باتباعهما أبداً، وهما مصدر عزنا كما كانا مصدر عز أسلافنا.

ثم إنه لا ينبغى لنا التستر على هذه الأمراض التى تصيب الأسرة والمجتمع، القادمة باسم الحرية والانفتاح، التى تنذر بسوء العاقبة، سواء من الذين يحاولون اقتفاء أثار الحضارة المعاصرة، ويعتبرون عدم تقليد الغرب هو سبب المشكلة والتخلف، أو من الذين يتوهمون أنهم فى عافية ولا يبصرون النار الكامنة تحت الرماد، ويدركون أن العناوين غير المضامين، والصورة غير الحقيقية[١٣٥].

وسوف نعرض فى دراستنا هذه فى «الفصل الرابع» منها بعضا من هذه الأمراض الوافدة إلى أسرنا ومجتمعنا ثم نعرض أحكام الشرع فيها وما رغَّب إليه الإسلام من جوانب أدبية وتربوية، ومن أدوية نافعة ناجحة -من الكتاب والسنة- والله أسأل أن يهدينا إلى الصراط المستقيم، وأن يجنبنا ظاهر الإثم وباطنه. إنه سميع عليم.

حال المرأة والأسرة فى الغرب

إن الأسرة فى الحضارة الغربية تكاد تكون انتهت تقريبا، وتحللت من كل القيود والضوابط الخلقية، والروابط الاجتماعية، والعلاقات الأسرية والزوجية على حد سواء، حتى لقد وصلت إلى مستويات ترقى عنها وتأنف منها بعض فصائل الحيوانات غريزيا إلى درجة يمكن معها أن ينال سجل الفضائح الجنسية أكبر الرءوس وأعلى المناصب، حتى بات الاعتراف بالزنى والخيانات الزوجية، والتبجح بذلك فى التلفاز وأجهزة الإعلام، على مرأى ومسمع من الناس، أمراً طبيعيا أو أكثر من طبيعى، وأصبحت لتجارة الجنس ومقاولات الدعارة مؤسسات عالمية،

(١٣٥)- من تقديم أ/ عمر عبيد حسنة لكتابه الأمة «التفكك الأسرى...» ص٣٣-٣٤، بتصرف.

تجاوزت البالغين والمراهقين والشاذين من الجنسين بسبب ما ألحقت من إصابات مرضية رهيبه، أصبحت من الجوائح التى تهدد البشرية لتدخل عالم الاعتداء على الأطفال الذين لا يحملون هذه الإصابات، حماية من الأمراض.

أما قضية ملايين المرضى وملايين الشواذ، الذين أثمرتهم مجتمعات الإباحة والقيم الديمقراطية الغربية فى المجال الاجتماعى باسم الحرية الشخصية؛ فحدِّث ولا حرج[١٣٦].

وقد يكون من المفيد أن نعرض ولو سريعا لبعض الأرقام ذات الدلالة على مظاهر التفكك التى تعيشها الأسرة فى الغرب، لأن الكثير من أبناء جلدتنا المفتونين بالحضارة الغربية لا يبصرون غيرها.

نشرت مجلة V.S.D الفرنسية فى أحد أعدادها ملفاً حول المعاشرة الزوجية، وذكرت فيه حقائق مرعبة، نقتطف منها ما يلى:-

نوع جديد من العلاقات بدأ يهدد حياتنا، إنه زواج المخادنة، وتتلخص فلسفته فى أنه بإمكاننا أن نحب، أما أن نعيش الاثنان حياة زوجية فلا... إن عدد الفارين من الزواج والمطلقين فى ارتفاع مستمر، أكثر من ١٣ مليون حالة سنة ١٩٨١م، فماذا الآن؟! كذلك الأسرة ذات العائل الواحد ارتفعت، فبلغت ٧٢٣٠٠٠ (ثلاثا وعشرين ألفاً وسبعمائة ألف) عام ١٩٧٥م وأكثر من مليون عام ١٩٨١م.

ونعطى الدراسة الإحصاءات التالية: ١٥٥٠٠٠ زواج غير شرعى، ٦٣٠٠٠ طفل غير شرعى فى عام ١٩٧٥م.. فى عام ١٩٨١م بلغت نسبة الزواج غير الشرعى ٤٠٠٠٠٠ (أربعمائة ألف)، والأطفال غير الشرعيين (١٠٠٠٠٠) (مائة ألف)، وان ٦٠% من الشباب الفرنسى يجهلون كل شىء عن آبائهم[١٣٧].

(١٣٦)- المرجع السابق ص٢٤.

(١٣٧)- المرجع السابق ص٢٦-٢٧، بتصرف.

إذا كانت هذه الدراسة فى عام ١٩٨١م والنسب كما رأيت فما بالك فى العام الثانى من الألفية الثالثة الميلادية والنسب تتزايد وأظنها قد بلغت أضعاف ما كتب من الأرقام. . .

لقد إنعدمت القيم فى المجتمع الغربى الذى يتجرع سموم الانحلال الخلقى، فصاروا لا يعرفون المعروف، ولا ينكرون المنكر، وأخشى ما أخشاه أن كثيراً من المسلمين انسلخوا من القيم والفضائل الإسلامية، وبدأوا يقلدون الغرب أكثر فأكثر، حتى إنك لتدخل بعض بيوت المسلمين فتظن أنك قد دخلت بيتا فى فرنسا أو أمريكا خطأ فتتذكر ثانيا أنك لم تسافر إلى هذه البلاد، فأصبح التقليد حقاً، يشبه الزى الزى، والمظهر المظهر، والسلوك السلوك حتى يشبه القلب القلب، فتراه عربيا ليس فيه من العربية والإسلام إلا لسانه وجنسيته، بل إن بعض هؤلاء ليتبرأ من عربيته ظنا منه أن هذا هو التقدم والحضارة. .

يقول شاعرهم:-

أحب الإنكليز وأصطفيهم ... لمرض الإخاء من الأنام

جلوا فى الملك ظلمة كل ظلم ... بعدلٍ ضاء كالبدر التمام

خرج بعض الرجال الإنجليز إلى رحلة عمل فأوصى بعض أصدقائه بالمكوث فى بيته ومعاشرة زوجته حتى يعود وطالت مدة غيبته والجيران يعلمون أنه مسافر فى عمل له، فكتبوا إليه أن فلاناً صديقك قابع فى بيتك يعاشر أهلك، فلم يعر الزوج اهتماماً؛ لأنه هو الذى وصَّاهُ بذلك، وعاد فى الليل من رحلته، إلى بيته فوجد صديقه مع امرأته، فلم يشأ أن يحركهم، وأمره أن لا يغادر البيت فى مثل هذه الساعة ثم سأل زوجته هل ادخل صديقى عليك السرور أم لا؟

هذا ما أراده قاسم أمين، وأسياده من الغرب، وأذنابهم من الشرق، وهذا ما نادى به مرقص فهمى، والزهاوى، والشاعر الفاجر نزار قبانى، ولويس عوض، الذين يريدون تطبيق نظرية الشيوعية الجنسية بين أبناء وبنات

المسلمين. شعر:-

ألفاظهم عرب والفعل مختلف　　وكم حوى اللفظ من زور ومن كذب
إن العروبة ثوب يخدعون به　　وهم يرومون طعن الدين والعرب

يقول الزهاوى:-

مزِّقى يا ابنة العراق الحجابا　　وأسفرى فالحياة تبغى انقلاباً
مزِّقيه واحرقيه بلا ريث　　فقد كان حارساً كذَّاباً

ويقول قبانى قبحه الله:-

يجوز أن تضجعى أمامى　　عارية كالسيف فى الظلام
يجوز أن تهددى.. يجوز أن تعربدى.. يجوز أن تثورى.. أهـ.

استغفر الله.. استغفر الله.. وناقل الكفر ليس بكافر..

﴿ والله يريد أن يتوب عليكم، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ (النساء: ٢٧).

فقاسم أمين وأمثاله: غربى الثقافة، فرنسى الهوى، جاهلى النزعة، ولم يكن مصلحا إسلاميا، ولا رائدا من رواد الخير... وحال المرأة فى الغرب تستجير منه المرأة الغربية نفسها.

فهذه اشهر رموز الإغراء والإثارة الجنسية فى السينما الأمريكية والتى تدعى: «مارلين مونرو» كتبت قبل انتحارها وصية أودعتها صندوق الأمانات فى «مانهاتن بانك» فى نيويورك قالت فيها: «إننى امرأة أفضل البيت.. أفضل الحياة العائلية الشريفة على كل شىء.. إن سعادة المرأة الحقيقية فى الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية لهى رمز سعادة المرأة؛ بل الإنسانية.. إن العمل فى السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة.. إننى أنصح الفتيات بعدم العمل فى السينما والتمثيل. إنَّ نهايتهن إذا كن عاقلات كنهايتى...».

وأما المرأة فـى روسيا «الشـيوعـية»، فليـست أحسن حـالا من المرأة في أ. ، وأمريكا.

فقـد أثبتت الدراسات الطبيـة أن الاتحاد السوفـيتى. . أعلى نسبة إجـهاض فى العالم. .

وهذا ما توصل إليـه الطبيب الأمـريكى «وليام كناوس» فى دراسة مـقارنة بين الطب فى الاتحاد السوفيتى والطب فى الولايات المتحدة الأمريكية. .

ويذكره «كناوس» فى دراسته التى أخـرجها فى كتاب، أن نسبة الإجهاض فى الاتحاد الســوفيتى تفـوق نسبته فى الولايات المـتحدة أربع مرات. . كـما أن المرأة السوفيتيـة تجهض ست مرات فى حياتها، كمعـدل وسطى، وأحيانا يرتفع المعدل إلى أربع وعشرين مرة. .

وقد لاحظ «كناوس» أنَّ نسبة عـمليات الإجهاض لدى العائلات الروسية غير المسلمة يفوق بكثير نسبة عـمليات الإجهاض لدى العائلات المسلمة. . لذلك توقع أن تستـمر زيادة الخصوبة عنـد النساء المسلمات، نظراً لاعـتبار الإجهـاض ممنوعا إسلامياً، مما سيؤدى إلى «تغيير أكيد فى التركيبة السكانية للاتحاد السوفيتى».

ومن أخبار المرأة والمجتمع الذى لا يدين بدين ولا تحكمه شريعة.

سجلت جنوب أفريقيا، أعلى نسبة اغتصاب فى العالم -(هذه الإحصاءات من عشرين عاماً)- إذ كل ثلاث دقائق تغتصب امرأة!.

السـبب الرئيـسى كـمـا يراه علمـاء النفس: التـمـايز العنصـرى، وانتـشـار الكحوليات، والمخدرات داخل التجمعات الملونة. .

أما عـلماء الجـريمة فـيتسـاءلون: ماذا يمكن أن تنتظـر من أناس يعانون وطأة الحرمان السياسى؟. .

إنهم بذلك يفقدون أى إحساس بالقوة السياسية. .

والاغـتصـاب هو إحدى الطرق التى يتنفَّـسُون بها عن ذلك الغـضب الكامن

والكراهيـة والاستفـزاز الذى تمارسه السـلطة.. «عقـوبة الإعدام» كـحل وعلاج للمشكلة، بين مؤيد يؤكد على ضرورتها، ومعارض يرى أنها سوف لا تؤدى إلى تقليل حالات الاغتصاب بقدر ما تؤدى إلى حرص الجانى على قتل الضحية حتى لا يترك وراءه أى دليل يقود إلى القبض عليه..

نقول: مثل هذه المشكلات، لا وجود لها فى المجتمع الإسلامى، لأن الإسلام قضى على مسبباتها..

قال رسول الله ﷺ:- «لا فضل لعربى على أعـجمى، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى».

«نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر».

وقد بدأت الأصوات تتـعالى فى الغرب، وتؤسس الجمعيـات للمطالبة بالعودة إلى قيم العائلة والمجـتمع فى الغرب، فى الوقت الذى يقلد فيـه بعض المسلمين، الهالكين من الغرب.. فاللهم ارحمنا برحمتك التى وسعت كل شىء..

****

الفصل الثانى

المشكلات الأسرية

الأسباب.. الآثار.. الحلول.

سنعرض فى هذا الباب بعض المشكلات الأسرية، مبينين أسبابها، وما يترتب عليها من آثار، ثم نعرض بعض الحلول وذلك من خلال الكتاب والسنة، وما جادت به قريحة علمائنا الأفاضل ملتزمين فى ذلك كله الإيجاز وعدم التوسع.

أولاً:- مفهوم المشكلة وتنوعها، ومنهج الإسلام فى علاج المشكلات:-

المشكلة فى اللغة:- تعنى الالتباس والمشابهة، يقال: أشكل الأمر، أى التبس واشتبه بغيره فهو مُشكل، وأمور مشكلة أى ملتبسة، وأشكلت القضية: أى التبست واشتبهت بغيرها فهى مشكلة، وقضايا مشكلة أى ملتبسة وجمعها: مشكلات، وليس مشاكل.. «المعجم الوسيط» مادة: «شكل»...

وهى عند علماء الأصول: مالا يفهم حتى يدل عليه دليل من غيره..

وفى عرف الباحثين: الأمر المعقد الذى يؤدى إلى حيرة تحتاج إلى جهد غير مادى فى التفكير والتدبر عند بحث أسبابه واقتراح الحلول له.

وهذا المشكل قد يكون سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو خلقيا أو غير ذلك، وقد تتداخل المشكلات بعضها مع بعض؛ لان المؤثرات الاجتماعية كثيرة، واجتماع مؤثر مع غيره قد ينتج مشكلة، واجتماعه هو مع مؤثر أخر غير هذا قد ينتج مشكلة من نوع أخر.

والحل المقترح قد يكون لتخفيف حدة المشكلة، وقد يكون للقضاء عليها تماما[1].

ونحن معشر المسلمين لا يجوز لنا أن نأخذ حلول مشكلاتنا من الفكر الغربى، أو ممن تأثروا بالفكر الغربى، وبين أيدينا القرأن والسنة، فقد جاء فى أحد التقارير لأحد الدراسات الأمريكية للخدمات الأسرية.

«أصبح انهيار الأسرة.. والذى وصل الآن إلى درجة وبائية - المشكلة الاجتماعية الأولى، فكل عام يفصل الطلاق بين أكثر من مليون شخص. وأن المعدل الحالى هو سبعة أضعاف ما كان عليه قبل مائة سنة، وأصبح عدد الأطفال غير الشرعيين ثلاثة أضعاف ما كان سنة ١٩٣٨م، ويولد سنويا ربع مليون طفل

(١)- الأسرة تحت رعاية الإسلام ٦ / ٧ بتصرف.

غيـر شرعى فى الولايات المتحدة الأمريكيـة، أما مشكلـة جنوح الأحداث والتى ترتبط بمشكلة الطـلاق ارتباطا وثيـقـا بدورها ثلاث مرات عـمـا كانت عليـه فى إحصائيات سنة ١٩٤٠».

وتقول مجلة لايف:-

«ضربت نسبـة الطلاق فى الولايات المتحدة، رقمـاً قياسياً، فكلمـا دار عقرب الساعة ٩٠ ثانية، هوى بيت أمريكى، وفـى كل يوم من العام الماضى كان القضاء الأمريكى يمنح ألف حكم بالطلاق».

هذا بالنسـبة للحـالة الأسرية في المجـتمع الغـربى، فماذا بـالنسبة لـلحوادث الأخرى؟

أصدرت أخيراً «جارد ترتل ارمسترونج» كتيبا ينقد الواقع الأوربى يقول:-

هل تعلم أن أغلبية جرائم القتل لا يرتكبها مجـرمون محترفون؟ ولا علاقة لها باللصوصية؟

وهل تعلم أنه ورد فى تقرير لمكتب التحقيقات الفـيدرالية أن نسبة جرائم القتل فى نطاق الأسرة هى حـالات قتل الزوج لزوجـته؟ وأن ١٥% من جرائم الأسرة هى حالات قتل أبوين لأبنائهم؟..

ولك أن تسأل: **ما الذى جعل الزواج نكداً؟**

إن الإجابة مـتنوعة، ومعـقولة أيضـاً: «فلقد وجـد من الدراسة أن ٩٠% من حالات الطلاق كان أصحابها غارقون فى لديون إلى آذانهم، حـقيقة أخرى رئيسية هى النسـبة العـالية للزواج المبكر، ولعل السـبب فى ذلك أن ٤٠% من زيجات المراهقين كانت قسرية، ونتيجة لحدوث حمل قبل الزواج!».

نعم... حمل قبل الزواج وبهذه البساطة؟

إذن فلم تعد الفتاة الغربية تهتم بما يسمى بالفضيلة والشرف!!

إن مثل هذه المجتـمعات المريضة، لا تلد إلا بيوتاً مـريضة، وهل تظن أن مثل

هذه المجتمعات يصلح أن نأخذ منها الحلول لمشكلاتنا الأسرية والاجتماعية؟

إن فاقد الشيء لا يعطيه، ولو صلحت أفكارهم للحلول النافعة لنفعوا أنفسهم.

لقد قال القاضي «صمويل س ليبوتز» في كلمته أمام مجلس الشيوخ الأمريكي:-

لقد ذهبت الحياة الأسرية فى أمريكا مع الريح.

«لقد ابتعدنا عن الحياة الأسرية السوية، وفسد جونا الأخلاقى، واتبعنا فلسفة إباحية، إنها الحقيقة المفزعة أن يكون لدينا أعلى مستوى معيشى فى العالم، وأعلى معدل للجريمة وجنوح الأحداث والطلاق أيضا»[٢].

أليس هذا المجتمع الذى اتهم الإسلام بالرجعية والتخلف، ورغّب أهله فى اتباع نظرياتهم التى تدعو إلى إباحية الجنس وشيوعه بين المجتمع، والاعتراف بالجنس الثالث، ونكاحهم، وتقنين القوانين لهم.

فهل نأخذ الحلول لمشكلاتنا من «سيجمون دفرويد» وغيره من الشخصيات الغربية والتى تبين لنا فساد نظرياتهم، وهم أنفسهم قد عجزوا عن أن يقدموا الحلول النافعة لمجتمعاتهم؟.

«وشهد شاهد من أهلها»

إنهم أمام فشلهم وإفلاس حضارتهم يعترفون بعظمة الإسلام، وينادون بأن تنهج مجتمعاتهم منهج الإسلام فى حله للقضايا خاصة القضايا الأسرية؛ فهذه كاتبة أمريكية متخصصة فى دراسة مشكلات الشباب اسمها: «هيلسيان ستا سبرى» تكتب رسالة نشرتها إحدى الصحف التى تصدر فى إحدى البلاد العربية: تقول صاحبة الرسالة:-

«إن المجتمع العربى كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده

(٢)- انظر كتاب: «الاختلاط بين الجنسين فى نظر الإسلام» لمحمد عبد الحكيم خيال.

التى تقيد الفتـاة والشباب فى حدود المعقول، وهذا المجتـمع يختلف عن المجتمع الأوربى والأمريكى، فعندكم تقاليد موروثة، تحـتم تقييد المرأة وتحتم احترام الأب والأم، وتحتـم أكثر من ذلـك، عدم الإباحيـة الغربيـة التى تهـدد اليوم المجتـمع والأسرة فى أوربا وأمريكا، ولذلك فإن القيود التى يفـرضها المجتمع العربى على الفتاة الصغيـرة، وأقصد ما تحت سن العشرين، هذه القيود صـالحة ونافعة، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة. بل وارجعوا إلى عصـر الحجاب فهذا خير لكم من إباحـية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا.

إن الاختلاط والإباحـية والحرية الزائدة فى المجتـمع الأوربى هدد الأسر وزلزل القيم والأخلاق، فالفتاة تحت سن العشـرين فى المجتمع (الغربى الحديث) تخالط الشبان، وترقص (شاتشـاتشا) وتشرب الخمر والسجـاير وتتعاطى المخدرات باسم الإباحية والحرية والمدنية. .

نعم تتحداهم باسم الحرية والإباحيـة؛ تتزوج فى دقائق، وتطلق بعد ساعات، ولا يكلفهـا ذلك أكثر من توقـيع وعشرين قـرشاً، وعريس ليلة أو لبـضع ليال، وبعدها الطلاق، وربما الزواج والطلاق مرة أخرى[٣].

هكذا حـال المرأة والأسـرة والمجتـمع فى أوربا وأمـريكا. وقد عـجزوا عن أن يقدموا حلولاً تزيل هذه الأمراض لمجتمعـاتهم. . وقد تكلمنا فيما سبق عن واقع الأسرة فى المجتمع الغربى. .

فما هو منهج الإسلام فى علاج المشكلات؟

لا ينبغى أن تؤخذ كل النظريات الحـديثة بحذافيرها، بل يختـار منها ما يتلاءم مع مقررات الدين والأخلاق، ومـا يستهدف الغاية النبيلة لوجود الأمـة الإسلامية حاملة مشعل الهداية التى ينبغى أن تظهر على كل هداية.

(٣)- المرجع السـابق، ونظريات الغرب وحضارته فى ميزان الإسلام لماهر خليل ص١٠١.

فكثير من هذه النظريات مُغْرِضٌ لا يراد منه الخير، كما هو متقرر عندنا. خصوصاً ما يُورَّدُ منه إلى البلاد الشرقية والإسلامية، ولا يخفى علينا خطر تعليم البنات في المدارس الأجنبية دون رقابة عليهن، وما يقصد منشئها من إفساد عقيدة الإسلام عن طريق إفساد الأسرة(٤).

والدين ينهى عن التقليد الأعمى في السوء، قال سبحانه وتعالى: - ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾ (المائدة: ١٠٤).

وقال سبحانه: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

وقوله سبحانه: - ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (المائدة: ٥٠).

وقال ﷺ: - «لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ، حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه»، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: - «فمن»؟(٥)-(٦).

فوسائل العلاج الصحيحة لابُدَّ أن تكون منتقاة من الوحيين «الكتاب والسنة».

******

---

(٤)- يلزم الرجوع إلى «المدارس العالمية - الأجنبية - الاستعمارية» للشيخ العلامة: بكر بن عبد الله أبو زيد ط دار العاصمة، بيَّن فيه مخاطر هذه المدارس على أبناء المسلمين، وما تعلمه من تنصير المسلمين، وتغريب مجتمعاتهم، وقد ذكر الشيخُ بعض هذه المدارس التي تعمل في ديار المسلمين، وهو كتاب فريد ماتع، وكما لا يفوتني أن أشير إلى لزوم الرجوع إلى ما كتبه العالم الغيور د/ عبد الودود شلبي في كتابه: «أفيقوا أيها المسلمون...»

(٥)- رواه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه.

(٦)- الأسرة تحت رعاية الإسلام ٤ / ٤١٩ للشيخ عطية صقر.

• ثانياً: أسباب المشكلات الأسرية •

ولنذكر طرفا من الأسباب التى تؤدى إلى مشكلات فى جو الأسرة ومحيطها مما يترتب على هذه المشكلات مخالفات فى الأحكام والآداب.

ومن أهم أسباب هذه المشكلات:-

١)- عدم حسن الاختيار فى الزواج.

يحرص الإسلام على أن يكون اختيار الزوجة قائم على القيم الثابتة، وعدم الاغترار بالقيم الزائلة، فلا تُتزوَّجُ المرأة لجمالها، وهى فاقدة الدين، ولا لمالها، وليس لها خلق، ولا محيط وليس لها طيب منبت، إنما يكون اعتماد الاختيار على الدين ثم يأتى بعد ذلك الجمال والمال والحسب مساعد غير أساس له بعد توافر عنصر الدين والخلق، لأن عنصر الدين هو الذى يحمى الأسرة من الضياع أو من بوادر النشوذ والإعراض، وله دوره الفعَّال على ما قد يعترض الأسرة من مشكلات تهدد أمنها واستقرارها، فضلاً عن أنه يهيئ الجو الصالح لتنشئة جيل صالح يقود الأمة إلى تفوقها على أعدائها.

وحسن الاختيار لا يكون فى حق المرأة فقط،! إنما يكون فى حق الزوج والزوجة معاً. فلابد أن يتخير كل منهما صاحبه وقد سبق وأن ذكرنا ذلك بشىء من البسط...

٢)- إجبار الفتاة على الزواج بمن لا ترغبه.

لا يجوز لولى أمر الفتاة أن يجبرها على أن تتزوج بمن لا ترغبه إما لخَلْقه أو خُلقه، ولها الحرية فى ذلك، على انه ينصحها ويرشدها، إذ لو أجبرت الفتاة على النكاح ممن لا ترغبه، فكيف تدوم العشرة بينهما، وكيف تثمر السعادة، وليس مودة ولا رحمة ولا سكن، ومن هنا تأتى المشكلات الأسرية فكل من الزوجين لا يهضم صاحبه، ولا يقبل له عذراً.

وهذا حق من حقوق المرأة، بل مظهر من مظاهر تكريم الإسلام لها، فقد بين أن من حق المرأة أن تعترض على زوجها إذا زوجها وليها دون رضاها. فعن أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- قالت:- «سألت رسول الله ﷺ عن الجارية ينكحها أهلها، أتستأمر أم لا؟» فقال لها رسول الله ﷺ:- «نعم تُستأمر» فقالت:- «فقلت له: إنها تستحى، فقال رسول الله ﷺ:- «فذلك إذنها إذا هى سكتت» وفى لفظ: «أستأمروا النساء فى أبضاعهن» قيل: «فإن البكر تستحى أن تكلم؟» قال: «سكتوها إذنها» وعن خنساء بنت خدام الأنصارية -رضى الله عنها- «أن أباها زوجها وهى ثيب، فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ:- «فردَّ نكاحها»[(٧)] وقد ورد أن بِكْراً جاءت إلى النبى ﷺ فقالت:- «إن أبى زوَّجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته»، فجعل الرسول ﷺ الأمر إليها إن شاءت أقرت الزواج، وأن شاءت أبطلته، فقالت:- «فانى قد أجزت ما فعل أبى، ولكنى أردت أن تعلم النساءُ أن ليس للآباء من الأمر شيء»[(٨)].

وقد بينا أحكام زواج البنت والثيب فيما سبق بشيء من البسط.

٣- عدم اعتبار الكفاءة بين الزوجين.

والكفاءة: هى المساواة والمماثلة، والمقصود بقولنا: «الكفاءة فى الزواج»، المماثلة بين الزوجين، دفعا للعار فى أمور مخصوصة، مفصلة فى كتب الأحكام.

وبعض الفقهاء كالإمام مالك، ذهب إلى أن الكفاءة معتبرة فى الاستقامة والصلاح، ولا اعتبار فى النسب، ولا لشيء أخر، ونقل هذا عن ابن عمر وابن مسعود -رضى الله عنهما- وهو قول عمر بن عبد العزيز.

---

(٧)- أخرجه البخارى (٥١٣٨)، والنسائى ٦ / ٨٦، وأبو داود (٢١٠١)، وابن ماجة (١٨٧٣)، واحمد ٦ / ٣٢٨، والدارمى ٢ / ١٣٩، والبيهقى ٧ / ١٩٩.

(٨)- الحديث أخرجه الإمام احمد فى مسنده (١ / ٢٧٣)، عن ابن عباس -رضى اله عنهما- وأبو داود (٢٠٩٦)، وابن ماجة (١٨٧٥) وصححه ابن القيم فى الزاد ٥ / ٩٦، وفى تهذيب السنن ٦/ ١٢٠.

قال ابن رشد -من فقهاء المالكية:- «ولم يختلف المذهب أن البكر إذا زوجها الأب من شارب الخمر، وبالجملة من فاسق، إن لها أن تمنع نفسها من النكاح، وينظر الحاكم فى ذلك، فيفرق بينهما، وكذلك إذا زوجها ممن ماله حرام، أو ممن هو كثير الحلف بالطلاق»(٩).

ودليلهم قوله سبحانه:- ﴿ الطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات ﴾ (النور:٢٦)، وغير ذلك من الآيات.

فليتق الله أناس هان عليهم دينهم، فلا يبالون بتزويج بناتهم الصالحات ممن هم عن الدين معرضون، وللصلاة مضيعون، وبالمنكر آمرون، وعن المعروف ناهون، إيثاراً لأعراض الدنيا ومتاعها الزائل.

وليعلموا أنهم بين يدى الله موقوفون، وعن فتنتهم بناتهم مسئولون (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) (١٠).

فإن نكح الرجل الفاسق امرأة صالحة أهانها، وأضاع حقوقها، وهدد بيتها بالخراب.

وأيضا إن تزوجت المرأة الفاسدة من رجل صالح لم تحفظه فى ماله ولا عرضه ولا ولده. فصارت الأسرة فى ضياع فإما يمسكها على هون ومذلة، وهذا لا خير فيه، وإما أن يطلقها غير آسف على طلاقها ولا نادم، مبحث فى «الكفاءه».

٤- إهمال الحقوق الزوجية.

بيَّنا فيما سبق الحقوق بأنواعها الثلاثة، حق الزوجة، وحق الزوج، والحقوق المشتركة بينهما. وقلنا أن البيت المسلم إذا استوفت فيه هذه الحقوق بروح المودة والمحبة والسكينة والرحمة، انبعثت منه السعادة، وأن الزوجة إذا رأت من زوجها رحمته إياها والحنو عليها، والمودة له؛ فتحت له قلبها وملأت به جفونها، وكذلك

---

(٩)- بداية المجتهد ٢ / ١٦، وانظر: «الشرح الكبير» ٢ / ٣٤٥، م المجموع ١٥ / ٣٢٦.

(١٠)- عودة الحجاب ٢ / ٢٤٦.

القول فى الرجل.

أما إذا أهمل كل منهما حق صاحبه واعتبر وجوده معه كعدمه فكبِّرْ على البيت أربع تكبيرات ونفُض يدك منه فإنه يوشك أن تتساقط لبناته لبنة لبنة فينهار على رأسيهما.

وهذا جد الأمة وترجمان القرآن ابن عباس -رضى الله عنهما يقول:- «إنى لأتزيَّن لامرأتى كما تتزيَّن لى، وما أحب أن استنظف كل حقى الذى لى عليها - أى آخذه كله- فتستوجب حقها الذى لها علىَّ؛ لأن الله تعالى قال:- ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ (البقرة:٢٢٨)، أى زينة من غير مأثم»، وعنه أيضا: «أى لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذى عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن».

٥- العقاب والشدة فى كل صغيرة وكبيرة وعدم العفو عن الهفوات.

يجب على الزوج أن يغض الطرف عن بعض الهفوات الصادرة من زوجته وأن لا يشدد العقوبة فى كل صغيرة، وعليه أن ينزل كل خطأ منزلته، فلا يهوله، ولا يكبر الصغيرة، أو يجعل من الحبة قبة.

وعلى الزوجة أيضا أن لا تضجر من خلق الزوج، ولا تتأفف منه، فعليهما معاً أن يحتمل كل منهما صاحبه فلكل جواد كبوة، ولكل امرئ هفوة، ولكل إنسان زلة، وأحق الناس بالاحتمال من كان كثير الاحتكاك بمن يعاشر.

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط؟!

وما أجمل قول أبى الدرداء رضى الله عنه لزوجته:- «إذا رأيتنى غضبتُ فرضِّنى، وإذا رأيتُك غضبى رضَّيْتُكِ، وإلا لم نصطحب».

وأراد شعيب بن حرب أن يتزوج امرأة، فقال لها:- «إنى سيء الخلق» فقالت:- «أسوأ منك خلقا من أحوجك أن تكون سيء الخلق»، فقال:- «إذا أنت امرأتى».

على أن هذا ليس معناه أن يترك الزوج «الراعى» بعض المواقف التى تستحق الوعظ، والتأنيب والعقاب، وإلا انقلب إلى تهاون وضاعت قوامته.. وكل خطأ على قدره.

٦- تخلى المرأة عن رسالتها السامية.

من خصائص المرأة التى انفردت بها: رسالتها الأولى فى الحياة، والتى خلقت لها، هى أن تكون أما، وربة بيت، وهى لن، تنهض بهذه الرسالة على احسن وجه إلا إذا تفرغت لها، ولن يشغلها عنها أمر آخر.

إن معنى تخليها عن رسالتها هو: هجرتها خارج عشها ومقرها، وعملها خارج هذا العش والمقر الذى هيأه الله لها، معتقدة أن هذا العمل ضرورى لإثبات ذاتها، لتقول للمجتمع ها أنذا موجودة، فلا تغفلوا عنى.

إنها لو مكثت فى بيتها ثم أخرجت لنا جيلا فيه الطبيب والمهندس، والمعلم، والجندى، والقائد لأثبتت ذاتها ووجودها، ولاستحقت أن يفتخر الجيل بها، وأن تتوج كلمات الشكر والثناء فى الحياة الدنيا، ثم هى يوم القيامة عند ربها من المكرمين..

على أننا لا نُحَرِّمُ عمل المرأة خارج بيتها فى كل الأحوال. بل هناك أعمال فى مجالات خاصة يحتاجُها المجتمع فيها بشروط يجب أن لا تفقدها المرأة عند خروجها سوف نأتى على بعض منها فى فصل قادم - إن شاء الله تعالى.

إن إهمال المرأة لرسالتها وتركها لبيتها يترتب عليه اضطراب فى حياة الأسرة، وتقويض لأهم مقوماتها ودعائمها، وإضعاف لروح الترابط العائلى.

وهذا ما يريده أعداء الإسلام من المرأة، وقد خدعوها بالمناداة بالمساواة، وحقها فى المشاركة مع الرجل فى حقل العمل، والقيام بأعمال لا تتفق مع طبيعتها الأنثوية، الأمر الذى نشأت عنه ظاهرة الحيرة والتمزق التى تواجه الأسرة المسلمة اليوم، والمرأة لعدم وعيها ولأميتها لهذا المخطط الدنىء الذى يعمل على هدم

المجتمع بأسره.

٧- غياب الرجل عن البيت.

يظن كثير من الرجال أن مهمته فى البيت هى الإنفاق المادى على البيت وبذلك يكون قد أدى واجبه الذى عليه، وليس معنى القوامة الإنفاق والتخلى عن المسئولية الأدبية. إنما هى المسئولية بمعناها الشامل، ولكى يقوم الرجل بهذه المسئولية كما ينبغى أن يكون حاضراً بين أفراد الأسرة ويشعر الجميع بقربه منهم وأنه معهم يشاركهم فى جميع مجالات حياتهم، مع صغيرهم وكبيرهم.

والأب إن فعل ذلك حمى أسرته من أسباب التفرق والتقاطع، ونشأ الأبناء نشأة سوية ولكنه إن قصر فى القيام بواجباته المنوطة به، أو ظن أن مهمته هى الإنفاق المادى فحسب، وأهمل بيته وشئون أسرته لأمور تجارية أو تنزهات أو رحلات أو حتى الدعوة إلى الله والعبادة، فهو بذلك يعرض أسرته للضياع، لأنها فقدت القائد الذى يوجهها، وما على الأبناء فى انحرافهم من شىء، وسوف يُوقَفُ أمام الله تعالى يحاسبه على ما ضيع من حقوق لبيته.

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ:- «إن الله سائلٌ كلَّ راعٍ عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيَّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»[(١١)].

وقد يكون تقصير الرجل فى القيام بواجباته وغيابه كثيراً عن بيته مندوحة للزوجة فى أن تثأر لنفسها من تصرفات زوجها، فتخرج كثيراً من بيتها، وتختلط مع الجارات والقريبات فى لقاءات قد تسهم فى تدمير العلاقات الزوجية، وزيادة حدة المشكلات الأسرية.

إن مسئولية الرجل فى الأسرة كمسئولية ربان السفينة، عليه أن يقودها نحو شاطئ الأمان والسلامة ويجنبها الأخطار والأضرار، فإذا أهمل فى مسئوليته كان

---

(١١)- رواه ابن حبان فى صحيحه (١٥٦٢)، وأبو نعيم فى الحلية ٦ / ٢٨١، وصححه الحافظ فى الفتح ٣ / ١١٣- وانظر «الصحيحة» للشيخ المحدث الألبانى، رقم (١٦٣٦).

الغرق هو المصير المحتوم للسفينة..

وكذلك الأسرة إذا لم يكن الرجل يقظاً وعلى وعى بما يجب عليه نحو أسرته فإنها تغرق فى دوامة الخلل، ويكون مصيرها التفكك والفرقة(١٢).

٨- الوضع الاقتصادى للأسرة.

كثيراً ما يكون للوضع الاقتصادى للأسرة دور كبير فى تصدعها فى كلا الطرفين، الغنى والفقر، وإن كان الثانى هو الأكثر، ففى حالة الغنى نجد بعض الأغنياء ينشغلون بالمال عن أسرهم، بل بعضهم يستعمل المال فى قضاء شهوته المحرمة، ويترك ما أحل الله له، فيكون سبباً فى وقوع أهله فى الحرام والعياذ بالله.

وفى حالة الفقر الذى لا يستطيع معه الأب توفير احتياجات أسرته مع كبرها وقلة تعليمه وإيمانه، فيعجز عن الاستجابة لمتطلباتها فيقع فى الحرام للحصول على المال، أو يدفع بعض أفراد أسرته لمسالك السوء للحصول على مزيد من المال، فيكون النتاج تفكك تلك الأسرة.. ومن يقوم بزيارة لدور الأحداث سيجد هذه الصورة مكررة لعديد من أولياء أمور الأحداث داخل تلك الدور(١٣).

٩- تدخل الأقارب فى حياة الزوجين.

عادة ما يتدخل أهل الزوجة وأهل الزوج فى حياة الزوجة والزوج، وفى شئونها، وما يعرض لهما من مشكلات، وخاصة ما يحدث من بعض الأمهات مع بناتهن المتزوجات، فيسألنهن عن دقائق أخبارهن، ثم يضخمن المشكلات ويعطينها أكثر من مكانتها، وربما يؤدى هذا إلى انفصال أسرى أو عداء الزوج لأهل الزوجة، أو العكس، وهذا شئ مشاهدٌ وملموس.

وأرى أن السنة قد أرشدتنا إلى الحل الأمثل لهذه المشكلة فقال ﷺ: - «من

(١٢)- التفكك الأسرى ص٦٢.

(١٣)- المرجع السابق ص ٨٤ - ٨٥.

حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»[١٤] فلو أن الأهل نأوا عن التدخل بين الزوجين فيما يُعرض لهما من مشكلات، وطلب منهما أن يعملا سويا على حلها دون إقحامهم في تلك المشكلات، فهذه وسيلة طيبة للحفاظ على كيان الأسرة، هذا البنيان الذى هو دعامة من دعائم المجتمع.

١٠- التأثر بحضارة الغرب والأفكار الوافدة.

وهذا سبب قوى من أسباب المشكلات الأسرية، حيث أن بعض الأسر المسلمة فى غياب الوعى الدينى، تتأثر ببعض السموم الوافدة على العالم الإسلامى من الغرب الذى لا يهتم بخلق ولا يعمل على إرساء القيم الأخلاقية فى المجتمع، ومن هذه السموم:-

المناداة بالحرية والتى تعنى: خروج المرأة ودخولها دون قوامة الرجل عليها، وأن تفعل ما تشاء مع من تشاء.

وبمعنى أخر: إطلاق العنان للمرأة، وأن تتحرك بحرية لا حدود لها، وبالتالى قد لا يعرف الزوج الشيء الكثير عنها، ولا تعرف هى الشيء الكثير عن الأسرة، ومن هنا تتسع الشُقّة، ولا تتقارب الأفهام، مما يدفع الزوج إلى الحد من تلك الحرية فتبدأ من هنا المشكلات الزوجية..

١١- الأمية الدينية عند الوالدين.

يجب على الوالدين أن يحيطا بجوانب الدين أو بأكثر جوانبه التربوية التى تعينهم على تنشئة أولادهم تنشئة طيبة، فيعلمونهم جوانب الخير، والحث على فعله على قدر الاستطاعة، وجوانب الشر والترهيب من فعله وبيان جوانب العقاب المترتب على فعله، وعليهما أن يعلموهم احترام القيم والتقاليد الاجتماعية والتمسك بالفضائل، والمعايير الاجتماعية السائدة، وهذا كله كما أسلفنا يتطلب من الوالدين أن يتعلما الأمور الدينية حتى ينشئوا أبناءهم على المبادئ الدينية،

---

(١٤)- الحديث حسن لغيره؛ أخرجه الترمذى (٢٣١٧)، وابن ماجة (٣٩٧٦)، وابن ماجة (٣٩٧٦)، وابن حبان (٢٢٩)، عن أبى هريرة -رضى الله عنه.

والمعتقدات السليمة، ويتمون لديهم الضمير الإنسانى عن طريق العبادات، والتمسك بالفضائل الدينية.

أما إذا أهمل الأبوين التوعية الدينية، ولم يتعلما ما يجب أن يُعلِّمَاهُ لأبنائهم كان الجهل عند الكبار والصغار، وانعدمت القيم والفضائل، وحق الله عليهم، وحقوق الآخرين. ومن هنا يبدأ الانجراف، وتهدم الأسرة.

وهناك أسباب أخرى غير ما ذكرنا... أعرضنا عنها وذلك للإيجاز وعدم البسط.

ثالثاً- آثار المشكلات الأسرية.

ذكرنا فيما سلف بعض الأسباب التى أدت إلى المشكلات الأسرية، وبعض هذه الأسباب داخلى، وبعضها وافد خارجى، ومادمنا قد تحدثنا عن الأسباب كان لزاما علينا أن نتحدث عن أهم آثار المشكلات الأسرية:-

١- آثار المشكلات على الأفراد.

أول ضحايا التفكك الأسرى هم أفراد تلك الأسرة المتفككة، فالزوج والزوجة يواجهان مشكلات كثيرة تترتب على تفكك أسرتها، فيصابان بالإحباط وخيبة الأمل، وهبوط فى عوامل التوافق والصحة النفسية، وقد ينتج عن ذلك الإصابة بأحد الأمراض النفسية، كالقلق المرضى، أو الاكتئاب، أو الهستريا أو الوساوس أو المخاوف المرضية الخ.. وقد ينتج عن ذلك عدم القدرة على تكوين أسرة مرة أخرى، فينعزل الزوج أو الزوجة عن الحياة الاجتماعية، ويعيش حياة منطوية على الذات، سلبية التعامل، لا تشارك الآخرين نشاطات الحياة المختلفة. وهذه ولا شك نتائج تعطل أعضاء من أفراد المجتمع، كان يتوقع منهم القيام بأدوار إيجابية فى نهضة المجتمع، ورعاية صغاره بصورة إيجابية بناءة.

والآثار الأكثر خطورة هى تلك المترتبة على أولاد الأسرة المتفككة، وخصوصا إن كانوا صغار السن.. فأول المشكلات التى تواجههم فقدان المأوى الذى كان

يجمع شمل الأسرة، وهنا سوف يحدث التشتت حيث يعيش الأولاد أو بعضهم مع أحد الوالدين، والبعض الآخر مع الوالد الآخر، وغالبا ما يتزوج الأب بزوجة أخرى، والأم بزوج آخر، والنتيجة فى الغالب مشكلات مع زوجة الأب وأولادها وزوج الأم وأولاده، مما قد يدفع أولاد الأسرة المتفككة إلى هجر ذلك المنزل إلى أماكن أخرى قد لا تكون مناسبة للعيش فى حياة مستقرة، كما يحدث فى مساكن العزاب من الشباب. . وإذا كانت بنتاً فإنه ليس هناك مجال لمغادرة المنزل، فقد يقع عليها حيف فى المعاملة ولا تستطيع رفعه، فتصاب ببعض الأمراض النفسية نتيجة سوء المعاملة التى تتعرض لها فى حياتها اليومية، وفى بعض الحالات تكون مثل هذه الفتاة عرضة للانحراف فى سلوكها بحثا عن مخرج من المشكلة التى تعيشها، فتكون مثل من استجار من الرمضاء بالنار.

٢- آثار المشكلات على علاقات الزوجين بالآخرين.

ينتج عن المشكلات الأسرية اضطرابات وتحلل فى علاقات الزوجين بالآخرين، خصوصاً الأقارب، فإن كانت هناك علاقة قرابة بين أسرتى الزوجين فإنه غالباً وللأسف تتأثر سلبيا بما يحدث للزوجين، فتحدث القطيعة بين الأسرتين، بل ويصبح هناك نوع من الشحناء والعداوة بين أفراد تلك الأسرتين، بحيث لا يطيق فرد رؤية فرد آخر من الأسرة الأخرى فى أى مناسبة أو لقاء عام، وهذا سلوك خطر يفت فى عضد الأمة المسلمة التى حث رسول الله ﷺ أفرادها على التعاضد والمحبة والتراحم؛ فقال:- «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[١٥]، كما أن الأمر ينتقل لأسرة أخرى مستقرة، فإذا كانت هناك عائلتان بينهما علاقة زواج بيْن عدد من أفرادها الذكور والإناث فإنه عند حدوث تفكك لأسرة واحدة، فقد يلجأ بعض الآباء أو الأمهات إلى نقل أثر هذا التفكك إلى

(١٥)- رواه البخارى (١١-٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، كلاهما عن النعمان بن بشير -رضى الله عنهما.

أسرة أخرى، من باب الانتقام أو للضغط على العائلة الأخرى بجميع أفرادها، وتحميلهم مشكلات فرد واحد منهم، وقد تكون النتيجة تفكك أسرة ثانية أو أكثر، فيزداد الطين بلة.

٣- آثار المشكلات على نشر الانحراف.

تؤدى المشكلات الأسرية فى بعض الأحيان إلى تهيئة الظروف لانحراف أفراد الأسرة، خصوصاً الأولاد من البنين والبنات، فعندما تتفكك الأسرة، ويتشتت شملها، ينتج عن ذلك شعور لدى أفرادها بعدم الأمان الاجتماعى، وضعف القدرة لدى الفرد على مواجهة المشكلات، وتُحوله للبحث عن إيسر الطرق وأسرعها لتحقيق المراد، دون النظر لشرعية الوسيلة المستخدمة فى الوصول للهدف، فيصبح المذهب الميكافيلى هو الموجه لسلوك الفرد. وفى هذا تغييب للضمير[١٦]، والالتزام بالمعايير والنظم الاجتماعية السائدة التى توجه سلوك الأفراد نحو الطرق المقبولة لتحقيق الأهداف بصورة مشروعة. والشاهد على ذلك أهم الأحداث من الذكور والإناث فى «دور الملاحظة» الذين ينحرفون ويقعون فى سلوك إجرامى نتيجة لتفكك أسرهم[١٧].

---

(١٦)- المقصود بالضمير: القوة الخفية النابعة من نفس الإنسان التى توضح له طريق الخير، وتدفعه إلى سلوكه، وتُبيِّنُ له سبيلَ الشر، وتحذره منه، ويشعر الإنسان براحة فى طاعة هذه القوة وبتانيب عند عصيانها. وانظر: (المعجم الوسيط) مادة «ضمر»، ويذهب (جاك جاك رسو) و(عمانويل كانت) إلى أن الإنسان يولد مزودا به، فهو قوة فطرية، بينما يرى (مونتينى) و(جون لوك) و(ديدرو) وغيرهم انه قوة مكتسبة، وهذا لا يهمنا كثيراً. لأن أصحاب هذه المدارس يرون أن الضمير يصلح أن يكون مصدرا ومنبعاً للأخلاق، ونحن كمسلمين نؤمن بأن الضمير لا يصلح ان يكون مصدراً للأخلاق، ولا مقياساً نقيس به أمورها؛ ذلك لأن الضمير أحكامه غير ثابتة، بل تختلف أيضا، من جهة أخرى بحسب الزمن، فأحكام الضمير لإنسان القرن العشرين تختلف كثيرا عن أحكام ضمير من عاش فى العصور الوسطى أو القديمة. وتختلف أيضا، من جهة أخرى بحسب المكان والهيئة. فالضمير فى أوربا غيره فى أواسط أفريقيا، غيره فى الدول الإسلامية. ونلاحظ أن كلمة (الضمير): بهذا المفهوم الأخلاقى لم ترد فى القرآن الكريم، ولا وجود لهل فى معاجم لغة العرب، كما يذكر ذلك د/عبد الحليم محمود فى كتابه: «الإسلام والعقل» ص٦٣. وانظر: «أخلاقنا» لأستاذنا الدكتور/ محمد ربيع جوهرى. ص٢١.

(١٧)- التفكك الأسرى ص ٨٦ - ٩٠.

رابعاً- الحلول والعلاج.

لقد عجزت الفلسفة والفكر المستورد عن تقديم المنهج الصحيح للأسرة المسلمة، وفشلت في رسم الصورة المثلى لسلوك الإنسان، لقد قال (أفلاطون) ت ٣٤٧ ق.م بالحيز الأقصى؛ بيد أنه في جمهوريته قضى على نظام الأسرة، ورأى قتل المرضى والضعفاء! وجاء (أرسطو) ت ٣٢٢ ق.م بالوسط الأخلاقي، هو بين الصدق والكذب! وهل هناك وسط بين الصدق والكذب؟! وبعد أرسطو (ابيقور) ت ٢٧١ ق.م زعيم المدرسة الرواقية، وكلتا المدرستين مادية بحتة، لا تعترف بحياة أخرى يلقى فيها كل من الأخيار والأشرار جزاء وفاقا.

وإذا جئنا إلى فلاسفة النصارى في القرون الوسطى لم نجد عندهم شيء يستحق أن ينفق فيه وقت أو يبذل فيه جهد.

وحتى الفلاسفة المسلمين قد تأثروا بهم يقول ابن الطفيل ت ٥٣١ عن «الفارابي»: -

«إنه أيأس الخلق جميعا من رحمة الله تعالى، وصيَّر الفاضل والشرير في رتبة واحدة؛ إذْ جعل مصير الكل إلى العدم، وهذه زلة لا تقال، وعثرة ليس بعدها جبر»(١٨).

وكتب «ابن سينا» لخاصة البشر. وهكذا: مذاهب لا حصر لها: حدسيون، وتجريبيون، ومثاليون، وعقليون، وواقعيون، وخياليون، الخ.. ونراهم لم يقدموا للبشرية ما يصلح أسرهم ومجتمعاتهم، وما يصلح الفرد وينظم له شئونه، وكل فكر من أفكار هذه المذاهب والمدارس سرعان ما يثبت فشله، ثم كأنه سراب.

ألا فالحق -والحق أقول- أنه لا صلاح للأمة المسلمة؛ بل للبشرية إلا بالعودة، إلى الينابيع الصافية التي لن تكدر أبداً. إلى الإسلام، وكتابه الخالد، الذي لم ولن تناله يد التحريف بزيادة أو نقصان.

---

(١٨)- انظر: التفكير الفلسفي في الإسلام د/ عبد الحليم محمود ص ٣٦٩ .

﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ (هود: ١)، وقد كان النبى ﷺ الأسوة الصالحة، وما بعث إلا ليتمم صالح الأخلاق، كما قال صلوات الله وسلامهُ عليه فى الحديث الصحيح.

إذن فلنلجأ إلى الكتاب والسنة، وأقوال السلف، ولنتلمس من الدستور، الخالد وذلك لخصائص هذا الدستور والتى لم نرها فى المناهج الوضعية الأرضية.

وأول هـذه الحـلـول.

١- تقوية الإيمان.

وهذا العـامل مـن أهم العـوامل فى حل المشكلات الأســرية، فلو أن الزوج والزوجة ألـمَّا بما يجب عليـهما تجاه ربهمـا، ويترتب على ذلك من الثواب الذى أعده الله للمطيع، والعقـاب الذى أعده للعاصى، وعلما حقوق كل منـهما نحو الأخر، وحقوق الآخـرين عليهما، وراقبا الـله فى السر والعلن، وقويت عندهم محاسـبة النفس، ومقام الإحسان لمد أيديـهما إلى فعل الخير فى أسـرتهما، وهذا الجانب لو وجد ما خرجت المشاكلات الأسرية خارج البيت إلا قليلاً.

٢- التوعية الدينية للأبوين.

أن يقوم الأب والأم بتـعليم نفسيهـما بما يتيسـر لهما من وسائل التـعليم حتى يستطيـعا تربية الأولاد وتنشـئتهم وتقوية إيـمانهم، ولن يصلح الأبناء إلا إذا رأوا والديهمـا قدوة لهمـا، ولن تكون هذه القدوة إلا بالتعليم، وأعنى بـالتعليم هنا: التـعليم الدينى الذى يحتـاج إليه المسلم فـى حياته الـيوميـة وما تـنتج كثيـر من المشكلات الأسرية إلا بسبب الأمـية الدينية كما أسلفنا ولا تغـرنك كثرة المؤهلات العلميـة التى يحصل عليهـا الإنسان ثم هو لا يعلم من شئـون دينه شيئاً. فـهذا وأمثـاله: - ﴿ يعلمـون ظاهراً من الحيـاة الدنيـا، وهم عن الآخـرة هم غـافلون ﴾ (الروم: ٧).

٣- حسن الاختيار لكلا الزوجين.

أرشدنا الإسلام الحنيف إلي حسن اختيار الزوج ووضع لنا مواصفات له، وكذلك رغَّب إلى الأولياء حسن اختياره. وعدم ردّه إن جاء خاطبا وكان صالحا، حتى وأن كان فقيراً، فالرجل المسلم الصالح العالم كفء لكل مسلمة -كما حقق ذلك علماؤنا- ولا يُوافق على الزوج فى تزويجه لموليته لجماله أو ماله أو منصبه الذى يتبوؤه، قال سبحانه:- ﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ (البقرة: ٢٢١)، كما أرشد الإسلام إلى اختيار الزوجة ووضع لها صفات تعرف بها المرأة الصالحة، فمن ظفر بها فكأنه ظفر بمتاع الحياة الدنيا، وعاش عيشة سعيدة هنيئة، ثم هى تعينه على ذكر الله إن كان ذاكر، وتذكره إن كان ناسيا، ويجمع الله بينهما فى الآخرة فى مستقر رحمته:- ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ (الزخرف: ٦٧)، فلا يتزوج المرأة لحسبها أو نسبها أو مالها أوجمالها، فكل هذا ظل زائل، ومتاع فانٍ، إنما يتزوجها لدينها الذى ينفعها ويمتد نفعه فى الدنيا بتربية جيل مسلم، وفى الآخرة يجنى ثماره فى الجنة، فإن وفق الزوج فى اختيار الزوجة، وكذا إن وفقت الزوجة فى اختيار الزوج استطاعا أن يزيلا مشكلاتهما الأسرية بدون تدخل أحد من أقاربهما.. وهذا كله من حسن الاختيار من كليهما...

٤- حسن الأسوة.

أن يظهر الوالدان بالأخلاق الكريمة التى يدعوان إليها الأولاد، وهذا لا يكون فى الظاهر وباطنهما يخالف ظاهرهما، بل يجب على الوالدين أن يصلحا الباطن فينعكس إصلاحه على الجوارح فى الظاهر، فيقتدى بهما الأولاد.

قد ينفع الأدبُ الأولادَ فى صغر ... وليس ينفعهم من بعده أدب
إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ... ولا تلين ولو لينته الخشب

والنبى ﷺ هو المثل الأعلى لكل مسلم، والأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة.

والقدوة من أنجح وسائل العلاج.

إن الله سبحانه وتعالى لما أراد إنزال المنهج الأخلاقى فى القرآن يُسمع ويُقرأ أراد أيضا أن يكون سلوك النبى ﷺ تطبيقاً لهذا المنهج يحس وشاهدا!!

وصدقت أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- فى إجابتها لما سئلت:- «يا أم المؤمنين، أنبئينى عن خلق رسول الله ﷺ» قالت:- «ألست تقرأ القرآن؟» قال: بلى، قالت:- «فإن خلق نبى الله ﷺ كان القرآن»(١٩) ولن نسترسل فى جوانب القدرة بالنبى ﷺ فهذا له بحث أخر، إنما الذى نريد أن نؤكده: أم القدوة من أدق وسائل الإصلاح والعلاج وتربية الأخلاق، وأن الرسول ﷺ هو قدوة المسلم: قدوته فى بيته، وفى تربيته لأبنائه.

قدوته فى إصلاح شئونه، ومعاملاته مع أقربائه. قدوته فى عمله، وفى مجال ارتزاقه.

قدوته فى مجتمعه، وفى تعامله مع غيره.

قدوته فى كل ما يأتى، وفى كل ما يدع.

وبهذا ينصلح حال المسلمين.

٥- اختيار الصديق.

للصداقة أثرها البالغ فى تكوين الخلق، فإذا كان الصديق صالحا تقيًا، كان له دوره فى ظهور الخلق الفاضل المحمود، وإذا كان الصديق منحرفاً عن منهج الله، كان له أثره فى وجود الخلق السيء المذموم.

قال ﷺ:- «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»(٢٠).

وفى صحيح مسلم: قال عليه الصلاة والسلام:- «إنما مثل الجليس الصالح،

---

(١٩)- أخرجه مسلم (٧٤٦)، وقال النووى: «فإن خلق نبى الله ﷺ كان القرآن - معناه: العمل به والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته،أهـ.

(٢٠)- رواه أبو داود فى الأدب (٤٨٣٣)، والترمذى فى الزهد: «حديث حسن غريب» ورواه احمد فى المسند ٢ / ٣٠٣ - ٣٣٤ كلهم عن أبى هريرة -رضى الله عنه.

والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير؛ إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة»(٢١).

والمرء إذا صاحب الصالح أعانه على حسن الخلق، والتمسك بالقيم الاجتماعية، وإن رأى منه بادرة من بوادر المعصية أصلحه، ولاشك أنه سيكون له تأثير عليه وعلى أسرته. والعكس أيضا فى فساد الصديق..

ومما يروى عن على رضى الله عنه.

فلا تصاحب أخا الجهل	وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى	حكيما حين أخاه
يقاس المرء بالمرء	إذا ما المرء ماشاه
وللشيء من الشيء	مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب	دليل حين يلقاه

ومما ينسب له أيضا رضى الله عنه.

لا تصحب الكسلان فى حالاته	كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى الجليل إلى البليد سريعة	والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

ومن وسائل العلاج أيضا:

٦- المؤسسات الدينية.

ويقصد بها كل المؤسسات الدينية المتاحة فى المجتمع، كالمسجد، والعلماء، ودون التعليم خاصة الدينى.

وأما دور المسجد: فلا يخفى على كل مسلم ما يقوم به المسجد من إصلاح للنفس، وتهذيب، فالمسلم يتردد عليه خمس مرات فى اليوم والليلة.

---

(٢١)- رواه مسلم فى كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين (٢٦٢٧) عن أبى موسى الاشعرى.

يمكن أن يقدم فى الدروس بيان لحقوق الزوجين فى الإسلام، وكيف عالج الإسلام نماذج من المشكلات الأسرية فى القرآن الكريم، وفى سنة الرسول ﷺ وفى حياة الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من صالحى الأمة.

والمسجد روح قبل كل شيء، ومتى وجدت هذه الروح فى الجامعات والمعاهد والمدارس فى العالم الإسلامى، فهى قادرة بحول الله وقوته على أداء دورها فى محاربة الانحراف الخلقى، والتربوى، وغيرهما من الانحرافات الأخرى.

وقد اجمل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وظائف المسجد فى عهد رسول الله ﷺ بقوله:- «وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هى المساجد. فان النبى ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والتعليم والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم»[٢٢]. اهـ.

والمسجد مرفق الأمة الأول، وبيتها الأكبر، فمهما اهتممنا بمرافقنا، وارتقينا ببيوتنا، فلن تقوم للأمة قائمة صالحة إلا إذا كان بيتنا الأول (المسجد) فى بؤرة اهتمامنا، لا بزخرفته وتزيينه، ولا برفع صوت مكبراته وزيادة الإنارة فيه ولكن قبل ذلك بتأكيد أهميته فى نفوس الأجيال وإعماره بالصلاة، ودعم صلة الجماهير به، وإمداده بالخطيب والإمام المؤهَّل، الذى ينفع الناس بعلمه، ويهديهم بحسن قوله وفعله، ورفع القيود عن المسجد حتى يحسن التوجيه والإعداد، وتنشيط الخير

---

(٢٢)- وإذا كانت رسالة المسجد كما علمت، فاعلم انه قد كتبت بعض الصحف المصرية كجريدة آفاق عربية، وغيرها، نبأ عدم بناء مساجد بجمهورية مصر العربية إلا بعد استيفاء عشرة شروط، وهذه الشروط العشرة تمنع وتحد بشكل عمل وحقيقى من بناء المساجد، ويضيق على القائمين بأمرها سبل البناء، وتحقيق السنة، وهذا أمر غير مسبوق فى تاريخ مصر ونحن كما نرى أن المسجد وسيلة من وسائل الوقاية والعلاج، ننادى المسئولين ونذكرهم بتقوى الله، ونحذرهم من غضبه وعقابه وانتقامه، هدانا الله وإياهم إلى أقوم طريق، ورزقنا وإياهم الإنابة، والعمل الصالح، وأن تكون من جند الله المخلصين.

ولهذه الشروط العشرة التى تمنع وتحد من بناء المساجد؛ انظر مجلة التوحيد، العدد الثانى عشر، السنة الثلاثون ص٢٧.

وبثّه فى أرجاء المجتمع المسلم.

والمسجد هو أول مدرسة فى الإسلام تبنى الأجيال، وتصنع الأبطال، وتعدُّهُمْ خير الإعداد وعن طريقه يقوم كيان الأمة الروحى، كما أنه الأساس لدعم وجودها المادى قال تعالى: - ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨).

والمسلم من سماته الطهارة الحسية والمعنوية، فهو مطالب فى صلاته أن يكون طاهر الثوب واليدين والمكان، كما أن الله يحبه طاهراً على كل حال وفى كل شئ، ومن خلال المسجد والصلاة نتعلم النظافة بكل أنواعها.

وفى المسجد يتدارس المسلمون كتاب الله، ويتلونه ويؤدون الشعائر الدينية بإقامة الصلاة وذكر الله عز وجل، وتبصير المترددين على المسجد فى شئون الدين والدنيا، وصبغتهم بالصبغة الإسلامية، لتكون لهم سلوكاً فى حياتهم، فرسالة المسجد على هذا تعليمية، تخلص الإنسان من عار الجهل، وتخلع عليه لباس الفضيلة، وتنقيه من الرزيلة، ومن هنا ندرك معنى قوله تعالى: - ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ (العنكبوت: ٤٥).

والمسلم الذى يتشرف بأداء الصلاة فى المسجد، تطهره من الأنانية وحب الذات، وهذا له أثره فى حياة المجتمع حين يتخلص من هاتين الرذيلتين، وقد مدح الله عمار بيوته فى كتابه الكريم بقوله: - ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور: ٣٦/ ٣٧).

وللمسجد رسالته، وله دوره الذى يصل المسلم بربه، ودوره الإجتماعى عن الذى يحققه له حياة عزيزة كريمة، ويصله بكل الحب والود بينى جنسه، بل وبالحياة من حوله.

وفى ضوء هذه المعنى، فإننا ندعوا إلى أن يعود المسجد إلى ما كان عليه فى عهد الإسلام الأول، كما يجب الدعوة إلى إعادة الإعتبار لدور المسجد التربوى فى الإسلام حتى يعود لشبابنا حيويته، ونبعده عن التيارات التى لايقرها الإسلام.

إن أعظم تحصين للشباب من كل الأفكار الهدامة، والإنحراف فى السلوك هو أن نفسح المجال للشباب فى استغلال وقت الفراغ فى أعمال تتفق مع مواهبهم من خلال المسجد الجامع الذى ندعوا إليه.

إن مسجد رسول الله ﷺ الذى كان فى غاية البساطة، فراشه الرمال والحصباء، وسقفه الجريد، وأعمدته جذوع النخل، هذا البناء المتواضع هو الذى ربى قادة الأمم، ومؤدِّبى الجبابرة، وهازمى كسرى وقيصر.

إن مكانة المسجد فى المجتمع الإسلامى تجعله مصدر التوجيه الروحى والمادى، فهو ساحة للعبادة، ومدرسة للعلم، وندوة للأدب، ولقد استطاع رسول الله ﷺ من خلال مسجده الشريف أن يربى النفوس على الأخلاق الفاضلة، فكان لهم النصر على نفوسهم وعلى أعدائهم.

ولقد كان المسجد فى صدور الإسلام هو المكان الذى يتخرج فيه العلماء والمفكرون والفقهاء والقادة والمصلحون.

فمن القراء: من أمثال: يحيى بن الحارث الزمارى، وحمزة بن حبيب الزيات، وأبو عبد الرحمن المغربى، وخلف بن هشام البزار وغيرهم.

ومن المحدثين: من أمثال: الفراء، وابن جريج، والسدى، ومقاتل، وابن اسحاق، وابن جرير الطبرى.

ومن اللغويين: من أمثال: أبى عمر بن العلاء، والخليل بن أحمد، وسيبويه، والأصمعى، وأبى عبيدة، والمبرد، والكسائى والفراء، والمفضل وغيرهم.

وغيرهم من الأطباء والمهندسين والرياضيين والمبدعين والكيماويين، والسياسيين والمصلحين، والمؤرخين والجغرافيين والقياديين... ممن لو أخذنا فى حصرهم ما

انتهينا إلا بعد مجلدات كثيرة.

وبهذا يتبين لنا دور المسجد فى إصلاح المجتمع، وعلاج مشكلاتنا. (راجع المسجد ريادة وعبادة للأستاذ لاشين أبو شنب فهو مهم جداً، ورسالة المسجد لفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق -رحمه الله- ومجلة الرسالة العدد السادس ص ٨٩.

ومما يتصل بالمؤسسات الدينية ما تقوم به بعض البرامج الدينية عبر الإذاعة والتلفاز وعرضها بعض المشكلات وقضايا الأسرة، وتقديم الحلول الإسلامية لها، وذلك بلقاء المشايخ وكبار العلماء.

أو اتصال الأفراد بهم عبر الهاتف واستماعهم إلى قضاياهم أو لقاءاتهم المباشرة بهم وتقديم العلاج والحلول لهم. كل هذا له أثر كبير فى حل العديد من المشكلات الأسرية قبل تفاقمها وتسببها فى الهدم الأسرى.

ولا يخفى علينا دور الأزهر الشريف ومؤسساته العلمية، كلجنة الفتوى، ومجمع البحوث الإسلامية، فى إصلاح الفرد والمجتمع، وإن كنا نطلب المزيد، ونسأل الله العلى العظيم أن يبعثه من رقدته، وأن يشد من أزره، كما كنا نسمع عن دوره فى الماضى...

****

الفصل الثالث
الهجوم على المرأة والأسرة المسلمة

تصدت الأسرة المسلمة لضربات عنيفة، وقذائف قوية من أعداء الإسلام الغربيين، والغرابيين.

وساهمت مجالات الإعلام مساهمة فعّالة - لا تحسد عليها فى الهجوم على الأسرة المسلمة، وأرادت وهى تنشر وتذيع السموم أن تطبع المجتمع الإسلامى بالطابع الغربى، وبأن يسير المجتمع بأفراده سير الغرب، وأن يتبعوا سننه، تلك لعمرى هو التقليد الأعمى الذى يريده منا ذيول الغرب، وناعقى سمومه.. ﴿ودُّوا لو تكفرون كما كفرتم فتكونون سواءً﴾.

ركزت الفلسفات المادية، ومناهج العلوم الاجتماعية، والدعوة المركسية، ومذاهب التحلل والإباحية الغربية، المبثوثة من خلال القصة والمسرحية والرواية السينمائية، والتى تستمد مفاهيمها من أراء فرويد وماركس وسارتر وغيره على هدم الأسرة بصفة عامة، وحين تطرح هذه المفاهيم فى أفق الفكر الإسلامى فإنما تكون بمثابة أخطر التحديات التى تواجه المجتمع الإسلامى.

ومنذ سنوات طويلة تجد محاولة هدم الأسرة الإسلامية عمل ضخم منظم لا يكشف عن هدفه، ويتخفى وراء عبارات براقة لامعة، كتحرير المرأة، وحرية الجنس، وعمل المرأة، وخلق البدائل المختلفة كصديق الأسرة، وسهرات أندية الليل، وإيجاد البديل عن الزواج الطبيعى، وحبوب منع الحمل وغيرها من وسائل تستهدف ضرب الأسرة فى الصميم. وقد كان لهذه العوامل أثره فى دخول الأسرة المسلمة به مرحلة حرجة فى محاولة لإزالة قداستها، وتعرية وجودها وتصويرها بصورة فردية حتى تستهين نفوس الرجال والنساء بها.

محاذير وأخطاء تتعرض لها الأسرة المسلمة.

والواقع أن الأسرة بوصفها حصن المجتمع كله تتعرض لمحاذير واخطاء كثيرة من أبرزها:

(أولاً):- محاولة تجاهل الأسرة كأساس للبناء الاجتماعي كله في الكتلة الشرقية حتى لا تكون فاصلا بين الدين والدولة، وحتى لا ينال التعلق بها والارتباط بعواطفها من تعلق الفرد بالجماعة الكبرى وولائه لها، ولا ريب أن هذا الاتجاه من شأنه أن يزلزل كيان المجتمع كله ويعرضه للزلل ولا يحمي وجود الجماعة الكبرى.

(ثانياً):- خطأ النظرية التى تحاول أن تقول بأن وظيفة الأسرة قاصرة على مجرد إشباع الاحتياجات الجنسية والعاطفية للزوجين، ذلك ان مهمة الأسرة تستهدف فى الأساس إنشاء وتربية واحتضان النشء ورعايته، وإيصال القيم والمثل التى تحفظ للمجتمع استمراره وتطوره.

(ثالثاً):- محاولة جعل استغلال المرأة اقتصاديا من عوامل تعتبر علاقتها بالرجل بالأسرة بما يصدها عن رعاية الطفل والبيت، وتعهدهما، والإلقاء بهم إلى الخدم ودور الحضانة، ولابد أن ذلك ستكون له آثاره العميقة فى المعاناة العاطفية لهؤلاء الأبناء نتيجة لنقص الحنان الفطرى الذى لا تقدمه إلا قلوب الأمهات.

(رابعاً):- خطر تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين الوالدين مما يوقع الأبناء فى حيرة نفسية تشتت عواطفهم وتبدد أمنهم النفسى الذى يستمدونه من مكانة (الأب) باعتباره المصدر الأساسى.

(خامساً):- قصور الأسرة الجديدة عن رعاية كبار السن من الأباء والأهل والفقراء والبعداء.

(سادساً):- صراع الأجيال داخل الأسرة مما يؤدى إلى اهتزاز القيم والمعايير السلوكية مما يفقدها دورها فى الضبط الاجتماعى، وتوجيه الفكر

والسلوك، مما يعرض الأسرة للتفكك.

هذه المحاذير ترجع إلى تلك المحاولات التى قامت بها مدرسة العلوم الاجتماعية والماركسية لمحاولة هدم الأسرة بالإضافة إلى الدعوات المثارة إلى تدبير العلاقات الغير شرعية بين الرجل والمرأة، وإعلاء شأن الجنس، والدعوة الصارخة إلى إخراج المرأة من بيتها واستغلالها اقتصاديا مما أدى إلى سقوط الغيرة من أجل الزوجة وسقوط العطف من أجل الآباء والأهل.

والدعوة إلى هدم نظام الأسرة هى أخطر التحديات التى تهدد المجتمع الإسلامى تهديدا شديدا، مما يتطلب العمل المتصل على حماية الأسرة المسلمة من تلك الأخطار الوافدة(١).

مؤتمرات المرأة.

ومن الهجوم على المرأة، ما يعقد فى دول الغرب والولايات المتحدة من مؤتمرات وندوات حول المرأة والأسرة وسن القوانين والقرارات والتوصيات لا

(١)- موسوعة مقدمات العلوم والمناهج للأستاذ الكبير أنور الجندى ٦/ ١٩٠. وانتقل الأستاذ أنور الجندى إلى جوار ربه أثناء تبيضى لهذا البحث وكنت قد عرضت على أحد طلاب الدراسات العليا فى جامعة الأزهر أن يكتب عن الأستاذ وفكره ومنهجه والأستاذ جدير بأن تكتب عنه رسائل ودراسات وهو من مواليد عام ١٩١٧م بديروط فى أسيوط وانتقل إلى رحمة الله فى ١٥ / ١١ / ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٩ / ١ / ٢٠٠٢ عن عمر يبلغ الخامسة والثمانين كان عضواً للمؤتمر الإعلامى الإسلامى العالمى وجمعية الأدب الإسلامى فى لكنو بالهند وعمل بالصحافة الإسلامية منذ خمسين عاما، واشترك فى تحرير عدد من الصحف الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم العربى والإسلامى، اشتغل بالدراسات الإسلامية، وخاصة فى مجال التغريب والغزو الثقافى، ونقد أبحاث التبشير والاستشراق، أصدر موسوعة (مقدمات العلوم والمناهج) فى عشرة مجلدات وملحقاتها، قال عنها سماحة الشيخ أبو الحسن الندوى لو تم هذا العمل، وصدر الكتاب بجميع أجزائه كانت موسوعة كبيرة فيما يتصل بالإسلام والمسلمين، ومكتبة قيمة فى العلوم والآداب الإسلامية

والحمد لله قد كملت الموسوعة وألحقها الأستاذ بخمس مجلدات مكملة لها.

وله مؤلفات عديدة فى التراجم والأدب العربى والإسلاميات، اشترك فى العديد من المؤتمرات الإسلامية فى جاكرتا، قطر، الإمارات، السودان، الجزائر، المغرب وحاضر فى جامعة العين بالإمارات، ورابطة العالم الإسلامى، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وشارك فى تصحيح دوائر المعارف (المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة) وكان عضوا فى نقابة الصحفيين، واتحاد الكتاب والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، رحمه الله وأجزل له المثوبة والأجر.

نقول لمزيد من الحرية أو الدفاع عن المرأة، ولكن لمزيد من الإباحية والتفكك الأسرى. ومن العجب العجاب الذى يجعل الحليم حيرانا، أن هناك مؤتمرات تعقد فى بلد عربى بتمويل غربى فى الغالب. ويحضرها من لا صلة لهم بأى تخصص من التخصصات التى تُعقد لها المؤتمرات، إنما جاء ليطلع على ما يجرى فى الساحة الشرقية من آراء وأفكار، ويرصدُ ما فى أذهان المتحدثين العرب والمسلمين من تيارات ونوايا ومخططات، ويتعرف على ما فى كل بلد من هذا العالم العربى والإسلامى الممزق من أشخاص يمكن التعامل معهم، والاعتماد عليهم وقت الحاجة[٢].

أهداف المؤتمرات الاستشراقية.

وليعلم أن من أهداف المؤتمرات الاستشراقية التى تعقد فى البلاد الغربية، أو العربية، ويساندهم فيها بعض المسلمين فاقدى الهوية، والغيرة على دينهم ما يأتى: -

أولاً:- إيجاد روابط وعلائق باسم الصداقة والتعاون.

ثانياً:- استمرار الجهود المبذولة لهدم الإسلام أو تطويره وجعله آلة من آلات الدعاية الاستعمارية لصيانة المصالح الأمريكية والغربية.

ثالثاً:- إن المؤتمرات وسيلة من وسائل الاتصال القريب المباشر بالمسئولين ويعجمون عودهم، ويدرسونهم عن قرب، ويختبرون مدى مناعتهم ومدى استعدادهم للتجاوب مع الأهداف الخفية للسياسة الاستعمارية، كما يختبرون مواطن القوة والضعف فى كل واحد منهم، لمعرفة أنجح الوسائل للاتصال بهم والتأثير عليهم.

رابعاً:- خدمة الأغراض الجاسوسية الأمريكية التى ترسم الخطط السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة[٣].

---

(٢)- انظر كتاب «أفكار جامحة» لأبى القاسم سعد الله ص ٢٦٠ .

(٣)- حصوننا مهددة من داخلها د / محمد محمد حسين ص ٣٠ – ٣١ ط ٥.

خامساً- هدم الأسرة المسلمة من القاعدة، وهى تغريب المرأة المسلمة، ومحو الفضيلة والشرف، والعفة والغيرة من عرف المجتمع المسلم. واستبدالها بنقائضها.

سادساً- ومن الأهداف التى ذكرها أ/ فهد السمارى: أنها تسعى إلى توسيع نطاق حركتها لاستمرار هذا النوع من الاستشراق، ونشر آرائه ووجهات نظره عالميا، والخطوة التالية التى تخطط لها هذه المؤسسات لكى تصل إلى هؤلاء الذى يتمكنون من متابعة الفكر الاستشراقى، ولكى تزيد من رقعة تأثيرها المباشر[4].

مؤتمرات وندوات تهاجم المرأة المسلمة، وتمكر بها.

من الموضوعات التى نالت اهتمام المستشرقين -منذ القديم- موضوع المرأة المسلمة؛ لانهم أدركوا أنهم متى ما استطاعوا التأثير فى المرأة المسلمة استطاعوا السيطرة على المجتمعات الإسلامية، ولعل كلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- «لا يخلبنكم نساء بنى الأصفر عن نسائكم» ليس فقط فى الجاذبية الجسدية، ولكن فى طرق المعيشة والتفكير.

١- المؤتمر الدولى للمرأة الأوربية سنة ١٩٣٤م.

وفى قسطنطينية فى الجزائر عقد المؤتمر الدولى للمرأة الأوربيَّة عام ١٩٣٤م، ولم تكن المرأة الجزائرية أو العربية حاضرة فى المؤتمر لكن موضوعها لم يغب عن معدى البرنامج، حيث اقترحت النساء الأوربيات أن يطلبن من الحكومة الفرنسية فى الجزائر أن ترفع سن الزواج للفتاة الجزائرية، وأن يتم تقنين الشريعة الإسلامية، وأن يهتم بتعليم المرأة الجزائرية، وقررت مندوبة السويد البقاء فى الجزائر مدة أطول، للدعوة إلى السفور، وتعليم المرأة[5].

---

(٤)- الاستشراق الأكاديمى فى (المسلمون) فى ١٤ / ذو الحجة سنة ١٤١٠ هـ.

(٥)- انظر «المغرب العربى بين الاستعمار والاستشراق» لمازن مطبقانى.

فمن الإهتمام بالمرأة المسلمة:- تأسيس (رابطة نساء الشرق الأوسط) فى الولايات المتحدة الأمريكية قبل أكثر من عشر سنوات، وهذه الرابطة تعقد ندواتها وحلقات البحث خلال المؤتمر السنوى لرابطة دراسات الشرق الأوسط، كما تصدر مجلة ربع سنوية حول قضايا المرأة المسلمة، وتشارك فى المؤتمرات العالمية حول المرأة.

ومن الندوات والمؤتمرات الغربية حول المرأة ما يأتى:-

٢- الورشة الإفتتاحية لبرامج ودراسات المرأة بجامعة بيرزيت بفلسطين.

قام بتنظيم هذه الورشة كل من قسم علم الاجتماع، وعلم الإنسان بجامعة كالتون بكندا، ومعهد دراسات المرأة، ومول هذه الدراسات مركز بحوث التنمية الدولية بكندا، وقد قدم دينز كانديوتى من مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن محاضرة بعنوان: «الحركة النسائية المعاصرة والدراسات الشرق أوسطية». والقى هيثر -من جامعة كارلتون- محاضرة بعنوان: «نقاط أساسية فى منهجية الحركة الأنثوية».

٣- ندوة النساء فى العالم العربى.

وقد عقدت هذه الندوة فى جامعة جورج تاون بواشنطون العاصمة فى ربيع عام ١٩٨٦م وقد صدر كتاب يتضمن المحاضرات والبحوث التى ألقيت فى الندوة. وأشرفت على إعداده ونشره البروفيسور جوديث تكر judith tucker والكتاب فى مجمله لا يخرج عن الأفكار الغربية عموما عن المرأة المسلمة بأنها:-

مضطهدة، وينبغى رفع هذا الاضطهاد، كما أن المرأة المسلمة لم تنل حقوقها، والحديث عن خروج المرأة وحقوق العمل وغير ذلك من الأمور.

٤- المؤتمر الدولى حول السكان والتنمية.

والذى عقد فى القاهرة فى سبتمبر ١٩٩٤م.

حضره عدد كبير من المشاركين من جميع أنحاء العالم، وكان المؤتمر يتضمن الموافقة على مسودة ميثاق دولى حول السكان والتنمية، والحقيقة أن السكان كان

الموضوع الأساسى للمؤتمر، حيث كان من أهم محاوره ما أطلق عليه «الحياة الإنتاجية للمرأة والرجل» وكان المؤتمر يدعوا صراحة إلى إعطاء الجميع الحق فى الممارسات الجنسية وفى الإجهاض.

وهذا المؤتمر يعد حلقة فى سلسلة حلقات متصلة ترمى إلى ابتداع أنماط أشكال جديدة من الحياة الإجتماعية والإقتصادية، تحطم الحواجز الأخلاقية، وتعارض القيم الدينية، وتنشر الإباحية باسم الحرية، وتشجع على التحلل باسم التحرر، وتستهدف بالدرجة الأولى الأسرة المسلمة.

ومن أهم القضايا التى عرضها المؤتمر وناقشها وأقرّها:-

أ - المساواة بين الرجل والمرأة، وجاء فى المؤتمر النصوص الصريحة التى تطالب بذلك، على شكل تعبيرات إنشائية فضفاضة.

ب - إقتران فكرة المساواة المطلوبة بالعلاقة بين الرجل والمرأة بغض النظر عن شرعية هذه العلاقة، فالمهم أن تكون المرأة ضميمة الرجل تحت أى مسمى.

جـ - الإجهاض وإباحته.

د - إباحة زواج المسلمة بغير المسلم.

هـ - الحرية الجنسية. ولا يجوز لأحد أن يضع قيداً أو شرطاً أو حاجزاً على حرية المرأة، فلها أن تصاحب من تشاء، وتعاشر من تشاء..

وقد قام كثير من الغيورين على دينهم بنقص وثيقة هذا المؤتمر الذى صنعته أيدى الغرب الكافرة المتنكرة لكل قيم فاضلة، وممن قام بالرد وتفنيد الوثيقة الدكتور الحسينى سليمان جاد.

ولا ننكر هنا جهود وردود العالم الغيور الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق -رحمه الله- فقد قام بالرد والإستنكار لهذه الوثيقة بصفته عالماً، وبصفته شيخا للأزهر الشريف. ليثبت هنا دور الأزهر فى تفنيد الأباطيل، ورد المكر على أهله.. وما أحوجنا دائما إلى يقظة الأزهر، وإبراز دوره فى جميع

شئون الحياة.. وليعيد لنا الماضى البعيد فيقول: ها أنذا؛ أرد كيد المعتدى!!!...

وكـذلك كان لبـعض الدول العربيـة موقف حـازم من المؤتمر، منهـا المملكة العربية السعودية، فلم ترسل أعضاء منهـا من الناحية الرسمية، لكن هناك حضور لبعض المؤسسات والهيئات الرسمية، وغيـر الرسمية التى أبدت مقاومة مباركة فى منع إقرار الوثيـقة، ومـازال حرب الغرب وهجـومه على الأسرة المـسلمة، وعلى الإسلام، مستـمرا بفرض قيمه وثوابتـه على العالم الإسلامى. (والله من ورائهم محيط).

٥- المؤتمر العالمى الرابع للمرأة.

وقد عقـد هذا المؤتمر فى بكين سبتمبـر ١٩٩٥م. بعد عام من المؤتمر الدولى «السكان والتنمية» الذى عقد فى القاهرة..

وكـان للمسلمـين حضـور واضح فى المؤتمر، ولا تخـرج هذه المؤتمرات عن التأثيرات للدول الغربية التى تحضر بأكبـر عدد من الوفود، كما يحضر من الغرب - بالإضافـة إلى الوفود الرسمـية - وفود الجـمعيـات غيـر الحكومية التـى يتبنى معظمها وجهات نظر الحكومات الغربية، وقد حرصت الجمعيات غير الحكومية.

(ngo) على تكثـيف نشـاطاتهـا قـبل انعـقاد المؤتمر بـوقت طويل، لتكون مواقفهـا متناسقة ومتحـدة فى المؤتمر. كما حرصت المؤسسات الماليـة الغربية مثل البنك الدولى على تشجيع الجمعيات النسـائية المتغربة فى العالم العربى الإسلامى على التشاور قبل انعقاد المؤتمر.

ومع ذلك كان الحـضور الإسلامى مبـاركا، وكان له دور فى عـرض موقف الإسلام من قضايا المرأة المختلفة[٦].

---

(٦)- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السادسة عشرة، العدد السادس والأربعون ص ٣٦١.

أسماء براقة فى حلبة الهجوم على الأسرة المسلمة:

لابد لنا أن نعيد النظر فى تقييم الرجال، فقد رفع الإعلام رجالاً عرفوا بعدائهم للإسلام وتسخير ووقف أقلامهم للهجوم والكر عليه، ووصفهم بأنهم رواد النهضة الحديثة، ووصفوا بعضهم، بأنه أستاذ الجيل، والمفكر الكبير، والفيلسوف العالم، وعميد الأدب العربى، وباعث النهضة الحديثة الخ هذه الألقاب اللامعة البراقة والتى لا يوصف بها غالبا إلا كل من شهر سيفه وعداته للإسلام.

فى نفس الوقت التى تقتل فيه الفضيلة ويمحى مصطلح الشرف من المعاجم اليومية، ويُضيَّقُ فيه على العلماء الصادقين فى جهادهم ودفاعهم عن التعاليم الإسلامية.

ونحن حينما ندعوا إلى إعادة النظر فى تقييم الرجال لا نتهم أحداً جزافاً، ولا نسحب الثقة من أحد، ولا نجرح أحداً، إنما نترك أقواله وأفعاله هى التى تحكم عليه، وتُقَيِّم خُلقه. وليس لنا إلا أن نسوق كلامه، وليتدبر القارئ اللبيب ما يتلفظ به أولئك القوم. حتى لا يخدع فيهم، وحتى يعرف عدوه الذى هو عدو دينه، حتى وإن رفعهم الإعلام ولمعهم وجعل منهم القادة والمفكرين..

يقول الدكتور محمد محمد حسين - رحمه الله:-

«إن كثيراً ممن نعتبرهم اليوم دعائم النهضة الحديثة، لم يصبحوا كذلك فى أوهام الناس إلا بسبب الدعايات المغرضة التى أرادت أن تضعهم فى هذه المنزلة، لتحقق بذلك أغراضها فى نشر مذاهبهم والتمكين لآرائهم، ولأن كثيرا من الآراء المنحرفة التى لم تكن تستطيع أن تجد طريقها إلى الفكر الإسلامى والى مجتمعاته، قد اصبح قبولها ممكنا بنسبتها إلى هذه الزعامات، والى هؤلاء الأئمة. الذين لا يتطرق إلى الناس شك فى إخلاصهم وعلمهم، والواقع أن كثيرا من هؤلاء الرجال قد أحيطوا بالأسباب التى تبنى لهم مجدا وذكرا بين الناس، ولم يكن

الغرض من ذلك خدمتهم، ولكن الغرض منه كان ولا يزال هو خدمة المذاهب والآراء التى نادوا بها، والتى وافقت أهداف الاستعمار ومصالحه» أهـ.

ويرهق كثير من الكتاب عقولهم فى تحديد هوية أولئك المتآمرين، وهذا لا مبرر له، إذ يكفينا انهم:

«كارهون لما أنزل الله»، فلا نبالى حينئذ أن يكونوا حقًّا صنائع اليهودية أو الصليبية أو الماسونية أو الشيوعية، لأن الكفر مهما تعددت ألوانه، فهو كفر، ينبغى محاربته أو استئصاله، ودين الشيطان لا يعرف الجنسية.

وهؤلاء الذين ما يزالون يتعامون عن رؤية الواقع الصارخ الذى يؤكد أن هناك مؤامرة وتدبيرا خفيا يستهدف القضاء على الإسلام - غافلون، مخدوعون بأصحاب القفازات الحريرية الذين هم:

«من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا».

إن من الغباء أن نعمى عن أعداء ديننا، بل ونتخذهم أولياء من دون المؤمنين، وهم فى ذات الوقت - لا يدخرون وسعاً فى تحطيم مقومات الأمة، وتنفيذ مخططات أعدائها[٧].

ولئن كان هؤلاء المهاجمون قد هاجموا الإسلام ورصدوا لهدمه النفس والنفيس، فإنه يجب أن يكون مصيرهم أيضا الهدم.. لأن القاعدة الصادقة تقول: «الجزاء من جنس العمل» فيجب على رواة التاريخ الصادقين أن يكشفوا عوارهم، وأن يفضحوا أمرهم، وان يرفعوا الستر عنهم، فليس لهم حرمة.

فإن قال أحد أتباعهم: إن فلاناً الذى عرف بعدوانه قد تاب وحج البيت، ورأيته يستمع إلى القرآن الكريم، كما ورد ذلك عن طه حسين وغيره، قلنا:

إن من شروط التوبة -خاصة ذنوبهم التى ارتكبوها جهرة- أن يتبرأوا من كل ما بدر منهم فى حق الإسلام، وان يندموا على ما بارزوا به الإسلام والمسلمين،

(٧)- الإسلام والحضارة الغربية ص٤٧، وانظر عودة الحجاب ١/ ٥.

وأن يكون ذلك كله على الملأ، كما كانت جرائمهم على الملأ.

وفى سؤال وُجه إلى الكاتب الكبير الأستاذ أنور الجندى فحواه: إن هناك من يقول أن طه حسين غير آراءه وأفكاره، أو تاب عن هذه المعتقدات مثل التشكيك فى القران والسنة و... قبل أن يموت.. فما مصداقية هذا الرأى؟

فأجاب الأديب والمفكر الإسلامى قائلا:

(هؤلاء المدافعون عن طه حسين الذين يقولون إنه كتب كتابه: «على هامش السيرة» وبه كفر ورجع عن كتاب: «الشعر الجاهلى» وكتب كتابه «الشيخان» وبه كفر عن كتاب «مستقبل الثقافة» ذلك كله خداع وباطل!!

فإن الدكتور لم يُغيرٌ آراءه مطلقاً، فقد كان هناك حارس وديدبان يحول بينه وبين ذلك!

هذا الحارس كان مقيماً فى بيته، يلفت نظره دائما إلى الخط المتفق عليه، ولكن الدكتور طه غيَّر أساليبه ووسائله فى سبيل أن يصل إلى قلب القارئ المسلم!! وبعد أن كانت أساليبه هى الهجوم على الإسلام، أصبحت تقوم على ترضى الإسلام داخليا.. ودس السم على مراحل خلال البحث، ولا يقل السم المدسوس فى كتاب «الشيخان» عن السم المدسوس فى «هامش السيرة» أو «الشعر الجاهلى» ولكن القوم لا يعلمون إخفاء الشبهات!).

ثم يبين الأديب الكبير والمفكر الإسلامى أسلوب طه حسين الماكر الخادع الذى لا يواجه صاحبه بالمعارضة والهجوم، لكنه يلين حيث يرى أن صاحبه واعٍ لسمومه، كما قال للسفير المسلم أحمد رمزى عن كتاب: «مستقبل الثقافة» «إننى متفق معك على أن الكتاب فيه أخطاء كثيرة!»* وكذلك موقفه مع اللواء الركن محمود شيت خطاب ثم يتساءل أ/ أنور الجندى عن الدليل على تراجع طه حسين عن آرائه؟.

* وهذا يجعلنى ارجح أن اكثر كتابات طه حسين كانت تُملى عليه من الغرب وما هو إلا بوق وناعق.

ويقول: أما القول بالتراجع فان هناك من الأدلة الكثيرة التى تكذب:

أولاً- إن أسلوب التراجع معروف، وهو أن يعلن الكاتب أنه كان يقول كذا.. ثم تبين له سوى ذلك..

وأن يوقف على الفور ماله من مؤلفات فى هذا الصدد، مثلما فعل الأشعرى فى تراجعه عن آرائه[٨].

ثانياً- أن يُعلن أنه اتخذ هذا الأسلوب كوسيلة للعمل.. ثم تبين له أنه لا ينتج، وأنه تحول عنه! مثلما فعل الدكتور محمد حسين هيكل، الذى غيرّ اتجاهه من الثقافة الغربية إلى التراث الإسلامى والثقافة الإسلامية. فهل تراجع طه حقًا عن رأى من آرائه وهو حى، وأعلن ذلك؟! إن هذا لم يحدث! ولا يكفى أن يتراجع طه حسين عن رأى أو آخر فى مسارة خاصة مع صديق، دون أن يعلن ذلك على الملأ.

بل إن هذا الأسلوب يدل على إصرار الدكتور على الرأى، وحرصه أن يذيعه فى الناس فيفسد به مزيداً من العقول والقلوب. وقد أشار كثيرون إلى وقائع له مع الدكتور أحمد الحوفى، والسيد محمد بهجت الأثرى، والأستاذ سعيد الأفغانى.... ولكن هل توقف طه حسين عن آرائه ؟ هل حدّث تلاميذه بشىء من هذا التراجع؟

إن ذلك الأمر ظل قاصراً على مسمع عدد قليل من أصدقائه[٩].

وحينما نعرض الوثائق التاريخية التى تنطق بإدانة أولئك المتمسلمين الذين رفعوا عقيدتهم بالصدً عن سبيل الله فان مقصودا الأول هو تحذير المسلمين من ضلالهم، أما القطع بخاتمة شخص معين، أو الحكم علية بجنة أو نار، فهذا لا يملكه إلا العزيز الغفار.

---

(٨)- انظر مثلاً له فى : «مقالات الإسلاميين» و«الإبانة» وفيها يتضح رجوعه عن مذهبه القديم.

(٩)- من حوار مع الأديب الكبير والمفكر الأستاذ أنور الجندى فى مجلة «المجلة العربية» وهذا آخر حوار أجرى معه قبيل وفاته -رحمه الله- عدد شوال سنة ١٤٢٢هـ.

ومن هنا يتضح لك الجواب عما رمانا به أحد «عباد الصليب»، وقد أخذته الحمية، وتدفقت من قلبه الغيرة على شخصيات تناولها البحث بالنقد، فكتب فى (الأهرام) تحت عنوان: «تشويه العظماء»:

(إن محاولة هؤلاء المتخلفين وهجماتهم لم تقتصر على أعلامنا الأحياء، بل امتدت لتشمل روادنا الراحلين، أى أن حقد المتخلفين لم يقف احتراما للموت، بل استطاع أن يتجاوز حواجزه حتى ينفث سمومه هناك حيث رحاب الله، وانهالت عليهم تهم الإلحاد والكفر والزندقة، وكان هؤلاء المتخلفين قد ورثوا بابوات روما فى العصور الوسطى المظلمة فى منح صكوك الغفران لمن يحبونهم، عمن يحقدون عليهم!! (قلت: أنت أدرى !!).

وقد آن الأوان ليعلم هؤلاء المتخلفون الجهلاء أن السلطة الوحيدة التى تملك حق اتهام الآخرين على وجه هذه الأرض هى السلطة القضائية وذلك بناءاً على قرائن وشواهد محددة إما أن يتخيل جاهل متخلف أن فى قدرته تحديد الذاهبين إلى الجنة، والساقطين فى الجحيم فإنه بهذا يتدخل فى إرادة الله سبحانه وتعالى) ١هـ

ولا نجد صوابا عليه إلا أن ننقل قوله:

(ولكى ندرك خطورة ما يجرى الآن، فلنا أن نتخيل حياتنا الثقافية بدون طابور رُوَّادنا العظام إبتداءاً برفاعة الطهطاوى، وجمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، وقاسم أمين، وهدى شعراوى، ولطفى السيد، وطه حسين . . . وسلامة موسى، ومحمد مندور، وإنتهاءاً بتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، وذكى نجيب محمود، ولويس عوض، وأمينة السعيد، وعبد الرحمن الشرقاوى، وحسين فوزى، ويوسف إدريس، وأحمد بهاء الدين، وغيرهم ممن حملوا شعلة الثقافة المستنيرة عبر ما يزيد عن قرن ونصف من الزمان) ١هـ.

ثم نتساءل: ما هو الذى يجمعك يا عابد الصلبان مع هؤلاء الرواد «العظام» سوى وحدة الهدف؟

إن وثائق الإدانة لهـؤلاء الرواد العظام (!) تتـزاحم أمـامى الآن، كل منهـ يستبق ليحتل ليقدم إدانة صاحبه، خذ مثلا هذه الوثيقة التى هى عبارة مظلمة نطق بها أحد رُوَّادك العظام، وهو المدعو (أحمد بهاء الدين) قال:

(لابد من مواجهة الدعـوات الإسلامية فى أيامنا مواجهة شجـاعة بعيداً عن اللف والدوران، وإن الإسلام كـغيره من الأديان يـتضمن قـيماً خلقـية يمكن أن تستمد كنوعٍ من وازع الضـمير، أما ما جاء فيه من أحكام وتشريـعات دنيوية فقد كانت من قـبيل ضرب المثل، ومن باب تنظيم حـياة نزلت فى مجـتمع بدائى إلى حد كبير، ومِنْ ثَمَّ فهى لا تلزم عصرنا ومجتمعنا)[١٠]، اهـ.

شخصيات فى الحلبة..

ومن هذه الشخصيات التى أثِرَ عنها السىء من القول فى الهجوم على الأسرة المسلمة..

١- رفاعة الطهطاوى: (١٨٠١ - ١٨٧٣م)

كان من أول المبتعـثين إلى فرنسا للاطلاع على علومها والاقـتباس من المدنية الأوربية، والترجمـة، وكان دوره فى البعثة التى أرسل معـها واعظ، ولما عاد إلى مصر نَشَرَ ما رآه فى فرنسا، وكان أمراً منكراً على البيئة المصرية وقتئذ وأخذ ينفُثُ سمومـه ودعواته (الوطنية القوميـة) وغيرها. . وهو بهذا ينفى الرابطة الإسـلامية ويحيى التاريخ الفرعونى ويتجلى موقـفه الأعظم من قضايا المرأة وخاصة:- تعدد الزوجات، واختلاط الجنسين، وتعليم الفتـاة، وكان قد ألف وهو فى فرنسا كتابه الشهير: «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز»، وجاء فيه:-«إن السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعيـا إلى الفساد» وذلك ليمهد بعد عـودته إلى مصر لدعوته!! الاقتداء بالفرنسـيين فى الاختلاط والفساد وإنشاء المسارح والمراقص.

وتراه يفتى بأن الرقص –خاصة على الطـريقة الأوربية– ليس من الفسق فى

---

(١٠)- عودة الحجاب١/٨، وانظر «الصحافة والأقلام المسموحة» ص٢١٤.

شىء. بل هو قمة التقدم والحضارة، وأن هذا الأمر ليس خادشاً للحياء، ثم دعا إلى خروج المرأة ومشاركتها للرجال فى أعمالهم.

وكأن رفاعة الطهطاوى قد وُلِدَ من جديد وخَلَع ثياب الأزهر حينما سافر إلى فرنسا، وطبَّق ما تعلمه فى فرنسا بعد عودته إلى القاهرة.. ونال رضا الخديوى فأمر بتوزيع كتابه ونشره وترجمته إلى اللغة التركية.

٢- مرقص فهمى المحامى.

أظهر هجومه على الإسلام محتميا بالنفوذ البريطانى الذى أمَّنه مقابل إظهار عدائه للإسلام وتعاليمه.

فألف كتابه: «المرأة فى المشرق» دعا فيه صراحة، وللمرة الأولى فى تاريخ المرأة المسلمة إلى تحقيقه أهداف خمسة محددة وهى:

أولاً: القضاء على الحجاب الإسلامى.

ثانياً: إباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب عنها.

ثالثاً: تقييد الطلاق، وإيجاب وقوعه أمام القاضى.

رابعاً: منع الزواج بأكثر من واحدة.

خامساً: إباحة زواج المسلمة من النصرانى.

وقد أحدث الكتاب ضجة عنيفة، ولم يلبث المسلمون حين صدموا به حتى انطلقت فى غمرات هذه الضجة

قذيفة أخرى تفجرت فى الوسط الإسلامى:

«الدوق داركير»: وقد اصدر «الدوق داركير» وهو رجل غربى، كتاباً باسم «المصريون»، حمل فيه على نساء مصر، وهاجم المصريين، وتعدى على الإسلام، ونال من الحجاب الإسلامى، وقرار المرأة المسلمة فى البيت، واقتصار وظيفتها على تربية النشء، ورعاية الزوج، وقد هاجم المثقفين، المصريين بصفة خاصة لسكوتهم، وعدم تمردهم على هذه الأوضاع[١١].

(١١)- عودة الحجاب ١/ ٢٩.

ومن العـجب أن قـام قـاسم أميـن بالرد على هذا الكافـر، وذلك في أول حياته، فقد دافع قاسم قبل دعوته الفـاجرة عن الحجاب، واستنكر السفور، حتى أسروه إلى صالون نازلي فصار مع التقدمـيين الأحرار «كما يزعمون وانقلب عدوا للإسلام والمرأة المسلمة».. فخرج على الناس بكتابه «تحرير المرأة» سنة (١٨٩٩م)، قرر فـيه ما ذكره «الدوق دازكـير» -ويدعوا إلى مـا دعى إليه الصليـبى «مرقص فهمى». إلا انه لم يتعرض لمسألة زواج المسلمة من غير مسلم..

٣- لطفى السيد.

كانوا يلقبونه بأستاذ الجيل، وهذا يدل على خسة فكرهم، ويخس بضاعتهم، وأعنى بالذين لقبونه بالأستاذية هم الاستعمار وأنصاره واتباعه وخدامه.

ومن مآثره السيئـة أنه كان يرعى الدعوة إلى «الحرية» بمفهومـها الغربى، نبذ الفضائل والقيم التى دعا إليها الإسلام.

ومن آثاره السيئة دعوته إلى خروج المرأة باسـم التحرير، واختلاط الفـتيات الطالبات بالطلاب فى الجامـعة سافرات الوجوه، وهو أحد الثـلاثة الذين ابتدعوا هذه البدعة، فعليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وللطفى السيـد غير مـا ذكرنا:- دعوته للعامـية رافعاً شعار «تمصيـر العربية بإحيـاء العامـية» وتمجيـده للكفره، وتنكره للتـاريخ الإسلامى، وتبعـيتـه للنفوذ الأجنبى البريطانى، والاستـسلام للفكر الغربى[١٢].

٤- لويس عوض.

هذا الصليبى الذى لا يميـز بين الطيب والخبيث، والذى لا يعرف المعروف، ولا ينكر المنكر يعـتبـر ان التكسب بالفاحـشة هو أول مظاهر «تحـرير المرأة»، فى

(١٢)- وانظر: «رجال اختلف فـيهم الرأى» للأستاذ الكبيـر/أنور الجندى ص٤/١١،وما كتبه فى مـوسوعة مقـدمات العلوم والمناهج ص٤ وص٦، وأحـمد لطفى السيـد للدكتـور/ حسين فـوزى ص٢٧٠ وما بعدها.

مصر، وأن رائدات التحرير هن من «البغايا» في عهد الاحتلال الفرنسي لمصر - وذلك في رأيه..

وتراه يدعوا إلى تطبيق نظرية الشيوعية الجنسية في كتابه: «المحاورات الجديدة»... وفي المحاورة الرابعة التي سماها (فردوس القطط والكلاب ص٥٨: ٧٢ - ومن عنده أدنى عقل يستنكر هذا.

(ومؤلفات لويس عوض شاهدة على ما قلناه).

وتاريخه الأسود غير مشرف، وهو شاهد على ذلك.

٥- قاسم أمين.

هذا الذي حمل اللواء، ورفع راية العداء، وتجرا بالصراخ والمناداة بأقوال الغرب، وتبجح بعدائه للإسلام، الداعية إلى السفور، الموالي للكافرين من المحتلين لديار الإسلام، فاتن الأجيال، معتنق فكر الغرب ومردده.

الذي تولى كبر المناداة بالسفور والاختلاط، ذلكم المغبون في حظه، أحد التلاميذ الثلاثة لـ «محمد عبده» الذين أفسدوا مظاهر الحياة في مصر.

ولا تتعجب أخي فإن قاسم أمين -ابن فرنسا- البار، حيث أتم تعليمه هناك، وانبهر بالحياة الهمجية التي رآها في باريس، وبيَّن في حديث له أن من أكبر أسباب تخلف المصريين عن ركب الحضارة، هو تأخرهم في الفنون الجميلة، كالتمثيل والتصوير والموسيقى.

وفي باريس يتعرف على صديقته الفرنسية «سلافا» التي قامت بدورها في تعرفه على المجتمعات الفرنسية، وتقوى العلاقة بينهما، ويتحول من قراءاته العربية، وثقافته الإسلامية إلى قراءاته لفلاسفة الغرب وشعرائهم، وانقلب قاسم رأسا على عقب. فقد كان في سيرته الأولى مدافعا عن الإسلام ومبينا أن الإسلام رفع من شأن المرأة ومبينا مكانة الحجاب، إلا أن رده كان فيه خنوع وذله، وذلك حينما كتب يردُّ على «داركير» في هجومه على الإسلام.

وسبحانه مَنْ قلوب العباد بين إصبعين من أصابعه، يقلبها كيف يشاء..

حتى أن «هدى شعراوى» قد ذكرت فى مذكراتها، أن قاسم أمين كان فى مبدأ حياته من الرجعيين، حتى أنه لما ردَّ على الدوق «دراكير» دافع عن الحجاب، واستنكر السفور، فظنت الأميرة «نازلى» - وكان مجلسها يجمع العلماء الفضلاء أمثال: محمد عبده وسعد زغلول، وعبد الكريم سلمان، وفارس نمر، ويعقوب صروف، والمويلحى وابنه - أنه يقصدها، فغضبت «نازلى» لذلك، ولكن سعد زغلول قدم صديقه إليها، ولما رأى شدة عقلها، ووثاقة فضلها، انقلب عن رأيه، وأخذ يطالب بتحرير المرأة».

واعتبر قاسم أن ما كان عليه أولاً هو الخطىء، فسعى إلى تصحيح خطئه واتفق مع «محمد عبده» و«سعد زغلول» على أن ينشر كتاباً يهدم فيه قوله الأول عن الحجاب والمرأة، يناصر فيه الصليبى «مرقص فهمى» ويؤيد ما كتبه «داركير» فكان كتابه الأثيم «تحرير المرأة» الذى كتبه سنة ١٨٩٩م، وكأنه أعاد طبع كتاب «المرأة فى الشرق» للصليبى الحاقد، ثم وضع اسمه عليه.

تناول قاسم أمين فى كتابه: «تحرير المرأة» الذى طبع سنة ١٨٩٩م أربع مسائل وهى: الحجاب، واشتغال المرأة بالشئون العامة، وتعدد الزوجات، والطلاق، مؤيدا فى كل مسألة ما يذهب إليه الغربيون. يقول مثلا عن الحجاب:- «إن حجاب المرأة بوضعه السائد ليس من الإسلام، وأن الدعوة إلى السفور، ليس فيها خروج على الدين أو مخالفة لقواعده».

ويؤيد قاسم أمين الأوربيين فى زعمهم: «إن الدين هو السبب الوحيد فى انحطاط المسلمين، وتأخرهم عن غيرهم»..

وقد أثار هذا الكتاب حفيظة الغيورين على الدين، وقاموا بواجب الدفاع عن الإسلام فبينوا عواره، وأظهروا مثاليه، وكشفوا حقيقته. وكان من بين الأعلام الذين ردوا عليه:

محمد فريد وجدى، ومحمد طلعت حرب فى كتابه: «تربية المرأة والحجاب» وهو من أفضل ما ألف فى الرد على قاسم أمين، وأعمقها أثراً، وله كتاب آخر فى الرد على أباطيل قاسم أمين هو: «فصل الخطاب فى المرأة والحجاب».

ومن بين الردود أيضا:- «السنة والكتاب فى حكم التربية والحجاب «لمحمد القاياتى» و«الجليس الأنيس فى التحذير عما فى تحرير المرأة من التلبيس» لمحمد أحمد حسنين البولاقى، و«خلاصة الأدب» لحسين الرفاعى، و«قولى فى المرأة» لمصطفى صبرى.

و«نظرات فى السفور والحجاب» لمصطفى الغلايينى. و«رسالة فى مشروعية الحجاب» لمصطفى نجا.

و«رسالة الفتى والفتاة» لعبد الرحمن الحمصى»[١٣].

ويذهب كثير من الكتاب الإسلاميين إلى أن الأفكار التى تضمنها الكتاب إنما هى أفكار الشيخ محمد عبده، بل ذهب بعضهم إلى أن الشيخ محمد عبده وضع فصولا كاملة فى الكتاب وهذه الفصول هى:

حجاب النساء من الجهة الدينية ص (٥٩ - ٧٢).

الزواج ص (١٢٣ - ١٣٢).

تعدد الزوجات ص (١٣٣ - ١٤٠).

الطلاق (١٥١ - ١٦٤).

والأرجح أنها من فكر الشيخ «محمد عبده» وإنشاء كاتبها، فالشيخ هو الذى وجه الأفكار، وأرشد إلى ما يحتاجه الكاتب من نصوص الكتاب والسنة، وكتب الفقه الإسلامى، وهو الذى أرشده بتوجيهاته أثناء الكتابة أو قراءة أصول الكتاب قبل طبعه - كما جاء فى مذكرات «أحمد لطفى السيد».

والمعروف عن الشيخ «محمد عبده» أنه كان يملى الأفكار، ويوجه إليها أكثر

(١٣)- قاسم أمين لماهر فهمى ص ١٦٤ - ١٦٥ .

مما يكتب، هكذا فعل مع قاسم أمين[١٤].

وبعد عام من ظهور كتاب: «تحرير المرأة» أصدر قاسم أمين كتاباً آخر له بعنوان: «المرأة الجديدة» وأثار هذا الكتاب ضجة شديدة كما أثار كتابه الأول. وفيه أسفر عن وجهه الحقيقى، وبيَّن عقيدته ومذهبه، وخلع عنه ثوب الحياء، وبدا فى هذا الكتاب اثر الحضارة الغربية واضحاً.

ويعنى قاسم أمين «بالمرأة الجديدة»: هذه المرأة الأوربية التى أراد من المصرية أن تقلدها وتجعلها مثلها الأعلى.

قال قاسم فى كتابه الأخير: «هذا التحول هو كل ما نقصده وغاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع، وأن تخطو هذه الخطوة على سلم الكمال، وأن تكون مثلها تحرراً، فالبنات فى سن العشرين يتركن عائلاتهن، ويسافرن من أمريكا إلى أبعد مكان فى الأرض وحدهم، ويقضين الشهور والأعوام متغيبات فى السياحة، متنقلات من بلد إلى بلد أخرى، ولم يخطر على بال أحد من أقاربهن أن وحدتهن تعرضهن إلى خطر ما، وكان من تحررها أن يكون لها أصحاب غير أصحاب الزوج، والرجل يرى أن زوجته لها أن تميل إلى ما يوافق ذوقها وعقلها وإحساسها، وأن تعيش بالطريقة التى تراها مستحسنة فى نظرها» أهـ.

ثم تراه يطالب المصريين المسلمين أن يتخلصوا من عاداتهم وأخلاقياتهم، وأن يقلعوا عن الفكرة التى وقرت فى أنفسهم من أن عاداتهم هى أحسن العادات، وأن ما سواها لا يستحق الالتفات.

---

(١٤)- بتصرف من «المؤامرة على المرأة المسلمة» د/ السيد أحمد فرج ص ٧٦-٧٧ وانظر: الأعمال الكاملة لمحمد عبده (٢ / ١٠٥-١٢٩) للدكتور محمد عمارة، والاتجاهات الوطنية (١ / ٣٠١) وانظر أيضا منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير د/ فهد بن سليمان الرومى ١ / ١٦٦ والعصرانيون لمحمد حامد الناصر.

وناقش قاسم أمين فى كتابه الأخير: بعض حجج المعارضين لسفور المرأة وتبرجها ومشاركتها الرجل فى الأعمال، مثل قولهم: «إن المرأة مخلوق ناقص العقل والتفكير، وأنها أضعف عزيمة من الرجل، وأقل قدرة منه على مقاومة الشهوات».

فيرد على ذلك بأن الحكم على استعداد المرأة لا يكون عادلاً ومنصفاً ومستوفياً لشرائط البحث العلمى المحايد إلا إذا منحنا المرأة الفرصة التى مُنحها الرجل لتثقيف عقله وتدعيم ملكاته خلال الأجيال الطويلة.

ويرفض قاسم أمين أن يُصدق ما يُـذاعُ من أثر حرارة الجو فى إثارة الشهوة، مما يتذرع به الداعون إلى الحجاب فى البلاد الشرقية الحارة، ما لم يقم على صحة هذا الزعم دليل علمى، وأن اختلافات الأجواء لا أثر له فى ذلك.

ويعتمد قاسم فى كتابه: على الدراسات النفسية الحديثة، وعلى وظائف الأعضاء فى التدليل على أن قوة البنية، وسلامة الأعصاب هما من أهم ما يعين الإنسان على ضبط نفسه، وأن ضعف البنية واعتلال الأعصاب هما من أهم الأسباب التى تجعل الإنسان آلة تلعب بها الشهوات والأهواء.

ثم يطبق هذه النتائج العلمية على نسائنا، فزعم أن نظام الحياة عندنا يبعث فى المرأة شدة الميل إلى الشهوات، لأن سجنها والتضييق عليها فى وسائل الرياضة يعرضها دائما لضعف الأعصاب.

ومتى ضعفت الأعصاب اختل التوازن فى القوى الأدبية. ثم يقول: إن زيادة الحجرْ على البنت كلما تقدمت فى السن، والتشدد فى نهيها عن مخالفة الرجل، يلفت ذهنها فى سن مبكرة إلى ما بين الجنسين من اختلاف.

هذا إلى أن الألفاظ والصور المحركة للشهوة، التى تستقر فى نفس الطفل والصبى من الأحاديث التافهة التى تتزامن إلى أذنه بغير تحفظ من أحاديث

الأمهات الجاهلات، تترك أثرها العميق فيه(١٥).

وقد شحن قاسم أمين كتابه الأخير بمهاجمة علماء الدين الذين هاجموه من قبل هجوماً عنيفاً واتهموه بالتفريخ وبإفساد تقاليد الإسلام عندما نشر كتابه الأول «تحرير المرأة».

لعلنا وقفنا وقفة طويلة - مع قاسم أمين فى كتابيه: «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» لأنه هو أول من تجرأ ونطق بما لم ينطق به الأوائل، وإن كان قبله كُتَّاب إلا أنهم كانوا يكتبون من وراء ستار، وهم على استحياء. أما قاسم أمين، فقد كشف عن وجهه الكلح، وأخرج لسانه يلهث به أمام المسلمين. والمسلم الصادق ينظر إليه ويستنكر منظره.

ولم يكتف قاسم أمين فى كتابيه بالهجوم على المرأة المسلمة، وعلى الشرع الحنيف إنما دعا إلى الانسلاخ من لغة القرآن الكريم ومحو العربية وإحلال العامية محلها.

وأعلن تصريحه عن الإعراب وتسكين أواخر الكلمات. وطرح أنه يجب علينا أن نعبر فى خطنا عن الحركات بحروف تدخل فى بنية الكلمة على طريقة الكتابة اللاتينية(١٦)، وهذه الدعوة قد تبناها أعداء الفصحى من أمثال:-

---

(١٥)- الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د/ محمد محمد حسين -رحمه الله- ١ / ٣٠٤ وفى نفس المدرسة التى تخرج فيها قاسم أمين، تخرجت فيها نوال السعداوى التى كتبت فيما بعد:- «أن التشريح الفسيولوجى قد اثبت أن المرأة تمتلك نفس الملكات التى عند الرجل فكيف تكون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، ومن التركة»، وهذا كلام فى غاية الانحطاط والتفاهة والرد لكلمات الله ولا يغيب عن أذهاننا ما كتبه حسين أحمد أمين من الاستنكار على الدين الذى يجعل شهادة أمينة السعيد على النصف من شهادة بواب عمارته والذى تحدى علماء الإسلام على أن يأتوا له بآية تنص على وجوب الحجاب؛ أليس لنا الحق فى أن نقول عنهم أنهم أرباب الحثالة و «مرتزقة» الفكر وأبناء العلمانية والشيوعية؟!...

(١٦)- ولتفنيد أباطيل «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» لقاسم أمين - انظر: الاتجاهات الأدبية ١ / ٢٩٣-٣١١- فقد عرض د/ محمد محمد حسن -رحمه الله- الكتابين عرضا موجزا وضح فيه منهج المؤلف ومدى تأثره بالغرب وخدمته لهم وقد أجاد وأفاد فجزاه الله خيرا.

أحمد لطفى السيد حيث كتب عدة مقالات فى الجريدة يدعو فيها إلى استعمال الألفاظ العامية وإدخالها حرم اللغة الفصحى.

وكذلك الخورى مارون غصن فى كتابه: (حياة اللغة وموتها: اللغة العامية) فى عام ١٩٢٦م، وعبد العزيز فهمى: حيث تقدم بمشروع إلى المجمع اللغوى المصرى فى عام ١٩٤٤ لاتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتاب العربية

والزهاوى: هذا العدو اللدود للإسلام حيث كتب مقالاً فى جريدة «المؤيد» سنة ١٩١٠م بعنوان: «لغة الكتابة ووجوب اتخاذها باللغة المحكية».

وسلامة موسى: الذى كتب كتابه: «البلاغة العصرية» ودعا فيه إلى اللغة العامية.

وكذلك طه حسين: فى «مستقبل الثقافة» وموقفه فى المجامع العربية، ودعوته إلى تطوير النحو فى قوله:-

«اللغة ملك لنا ولا حق لرجال الدين أن يفرضوا وصايتهم عليها».

وأحمد أمين: الذى قال: (مذهبى أن اللغة ملكنا، ولسنا ملكا للغة).

وسيد عقل: الذى كتب «يارة – شعر» سنة ١٩٦١.

وأنيس فريحة: فى كتابه «نحو عربية ميسرة» سنة ١٩٥٥.

ولويس عوض: فى ديوانه «بلو تولاند» نُشر سنة ١٩٤٧ ودعا فيه إلى كسر عمود الشعر وكسر اللغة.

وكذلك دعا أمين الخولى إلى إهمال اللغة الفصيحة واستخدام العامية كلغة للكتابة وقال: «إن اللغة الفصيحة تشبه اللاتينية»(١٧).

(١٧)- المناقشة شُبه هؤلاء المذكورين فى ثبت المحاربين للفصحى انظر: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج للأستاذ الكبير أنور الجندى المجلد الرابع عن اللغة والأدب والثقافة وذلك بتوسع مفيد.

• ومن الردود على قاسم أمين فى مجال الشعر.

هذه القطعة الذهبية لشاعر الإسلام «أحمد محرم»[١٨]، الذى أتحف بها المسلمين، وأغار بها على المنافقين وكأنى بشاعر الإسلام وهو يهجوهم – وروح القدس معه، يقول:-

أغـرَّكِ يا أسمـاءُ ما ظنَّ قاسمُ!؟
أقيمى وراء الخِدْر فالمرء واهمُ
تضيقين ذراعاً بالحجاب، وما به
سوى ما جنتْ تلك الرؤى والمزاعم
سلامٌ على الأخلاق فى الشرق كله
إذا ما استبيحت فى الخدور الكرائم
أقاسم لا تقذف بجيشك تبتغى
بقومك والإسلام ما اللهُ عالم
لنا من بناء الأولين بقيةٌ
تلوذ بها أعراضنا والمحارم
أسائل نفسى إذا دَلَفتَ تُريدها
أأنت من البانين أم أنت هادم؟
نبذتَ إلينا بالكتاب كأنما
صحائفه مما حَمَلْنَ ملاحمُ
ففى كل سطر منه حتفٌ مفاجئٌ
وفى كل حرف منه جيشٌ مهاجمُ

---

(١٨)- وُلِدَ «أحمد محرم» فى ١٢٩٤هـ–١٨٧٧م. وجاء مولده فى شهر «المحرم» فسمى «أحمد محرم» وهو من أصل تركى مات بمدينة دمنهور عام ١٣٦٤–١٩٤٥ «الأعلام» للزركلى ١/ ١٩٢.

لنا فى كتـاب الـله مجــــدٌ مـــؤثَّـلُ
ومُلْـكٌ علـى الحِدْثانِ والدهـر دائـم
إذا نحن شـــئنا زلـــزل الأرض نابُنا
ودامتْ لنا أقطـــارهـا والعـــواصمُ
أتأتى الثنايا الغــر والطُّرَرُ العــلى
بما عجزت عنه اللحــى والعمائـم؟
فلا ارتفــعتْ سفن الجــواء بصاعد
إذا حلقتْ فوق النسـور الحمــــائـم
عفا الله عن قومٍ تمادتْ ظـــنونهم
فلا النهج مأمون ولا الرأى حازم
ألا إن بــالإســـلام داءً مُخــــامراً
وإن كتــاب الله للـــواء حـــاســـم[١٩].

ومن الردود البليغة هذا الموقف الذى أثَّر فى نفس قاسم أمـين، وهزَّ كيانه، ما يروى من أن المؤرخ الإسلامى «رفيق العظم» زاره ذات مرة، فلما فتح له الباب قـال: «جـئـت هذه المرة من أجل التـحـــدث مع زوجـتك فى بعـض المســائل الاجتماعـية!»، فدُهش «قاسم»، كيف يطلب مـقابلة زوجته، ومحادثـتـها؟ فقال صديقه: «ألست تدعوا إلى ذلك ؟ إذن لماذا لا تقـبل التجربة مع نفسك؟» فاطرق «قاسم أمين» صامتا، فكلمته زوجة «قـاسم» من وراء ستار، وأفهمته أن قاسماً لم يدع إلى السفور، وإلا إلى الخلوة بأجنبى»[٢٠].

---

(١٩)- الاتجاهات الوطنية ١ / ٣٦٨، وانظر القصيدة كاملة فى ديوان محرم ٢ / ٦٣ — ٦٥ وقد ذكر الشيخ محمد أحمد إسماعيل المقدم فى عودة الحجاب ١ / ٦٠ نماذج من مواقف الشعراء فى الرد على قاسم أمين.

(٢٠)- قاسم أمين د / ماهر فهمى ص١٥٩.

هلاك «قاسم أمين».

هلك قاسم أمين بعد حياة ملئت بالهجوم على الإسلام وعلماء الإسلام، سوَّد فيها صحائفه، وكان هلاكه فى ليلة الثالث والعشرين من إبريل سنة ١٩٠٨م، وهو فى الثالثة والأربعين من عمره، وكان موته بالسكتة.

قام له أصحابه حفل تأبين، بإيحاء من الإنجليز، وأشادوا فى هذا الحفل بدعوته إلى السفور، فقابل رجال الحزب الوطنى هذه الحفلة بحفلة كبيرة دعوا فيها إلى الحجاب، وإبراز أصابع الإنجليز فى فتنة السفور.

وزعم الكاتب الصحفى «مصطفى أمين» أن «قاسم أمين» لم يمت موتاً طبيعياً، ولكنه انتحر، ذكر ذلك فى مقالة له نشرت فى جريدة المساء الصادرة فى (٤ / ٨ / ١٩٨٣م) بعنوان: «هل انتحر محرر المرأة بسبب المرأة».

انتقل «قاسم أمين» إلى الدار الآخرة ينتظر جزاء ما قدَّم - تشيعه اللعنات، ويذكرُه الناس دائما بسوء وما يذكر التبرج والسفور إلا ويُذْكر معه «قاسم أمين»، فكم من فتنة كانت دعوته سببا لها. فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة...

٦- الشيخ: «محمد عبده»: الأستاذ الإمام.

للشيخ «محمد عبده» - جوانب مضيئة فى حياته، لا ننكرها، وله فضل لا يُجَحد، غير أن له جوانب فى حياته مظلمة، وله مواقف، أثارت حوله الشبهات. ومن هذه المواقف: موقفه تجاه كتابَىْ قاسم أمين، وقد ذكرنا سالفا أن بعض الكتاب ذهب إلى أن كتاب تحرير المرأة من فكر الشيخ محمد عبده، وأنه كتب عدة فصول، ذكرناها، وغالى بعض الكتاب فذهب إلى أن الكتاب برمته من وضع الشيخ محمد عبده، وليس لقاسم أمين نصيب فيه إلا وضع اسمه عليه ونسبته إليه.. وقد فعل الشيخ محمد عبده ذلك تجنبا للحرج والعاصفة التى كانت ستهب عليه مباشرة ما اذا وضع اسمه عليه، وهو الشيخ الأزهرى، ذو المناصب

الدينية الكبرى ومنها منصب مفتى الديار المصرية.

ويرجح الأستاذ محمد عمارة أن كتاب -يعنى تحرير المرأة- عدة فصول قد كتبها الأستاذ الإمام وحده، وعدة فصول أخرى كتبها قاسم أمين ثم صاغ الأستاذ الإمام الكتاب صياغته النهائية، بحيث جاء أسلوبه على نمط واحد هو أقرب إلى أسلوب محمد عبده منه إلى أسلوب قاسم أمين[٢١].

ثم ذكر الأستاذ محمد عمارة مجموعة من الأدلة على ذلك قدم بين يديها عدداً من القرائن.

منها: موقف الأستاذ الإمام من الكتاب بعد صدوره فقد أيده ودافع عنه بطريقة غير مباشرة، وامتنع عن التعليق عليه أو المشاركة بشكل مباشر فى المعارك التى دارت من حوله وبالذات عندما أراد خصومه إحراجه وطلبوا منه أن يفتى -بحكم منصبه الرسمى- فى الموضوع.

وحينما أراد خصوم الشيخ إحراجه طبعوا سؤالاً موجهاً إليه هو: «هل رفع الحجاب عن المرأة واطلاقها فى سبيل حريتها بالطريقة التى يريدها صاحب كتاب المرأة الجديدة يسمح به الشرع الشريف أم لا؟ ووزعوا هذا السؤال على الجمهور فى صورة كتاب مفتوح إلى المفتى محمد عبده، ولكن الشيخ لزم الصمت ولم ينطق بكلمة دفاع واحدة.

مما يدل -مع أدلة أخرى- أن الشيخ كان يقف خلف هذه الدعوة الأثيمة.

وهذا الشيخ مصطفى صبرى -رحمه الله يكتب راداً على الشيخ محمد عبده، تحت عنوان: «الأستاذ الإمام وكتاب الله فى كفتى الميزان» فيقول: «وإنى أرى الرسالة المستنكرة -يعنى رسالة الفن القصصى فى القران الكريم- وما سبقها فى مصر من الأحداث والفتن المماثلة الماسة بدين الإسلام وعقائده المحفوظة إلى عصر الشيخ محمد عبده كلها ناشئة من الأسس التى ابتدعها هذا الشيخ الملقب

(٢١)- الاعمال الكاملة للإمام محمد عبده: جمع وتحقيق د/ محمد عمارة ١ / ٢٥٢ .

بالأستاذ الإمام.. فلا مناص إذن للقضاء على تيار الفتنة من مصدرها من أن تفصل الدعوى مع الإمام دون المؤتمين»[٢٢].

تقولون أستاذ إمام لدينا
فما أكذب الدعوى وما أقبح الأمرا
ومازال مشهوداً على الدين شرُّه
وإن زعم العميان أنَّ به خيراً.

وكان أحمد محرم -رحمه الله- محقا حينما قال:-

أرى علماء الدين لا يحفظونه
ولا يعرفون اليوم رتبته العليا
هم اتخذوا ما أدركوا من علومه
سبيلاً إلى ما يشتهون من الدنيا
فضاعوا وضاع الدين ما بين أمة
هموا شرعوا فيها الضلالة والغيًا
اذا ما المفسدُ إستفتا يريد تما دياً
أتوه بأعلام الهدى تحمل الفُتيا
أيُعجِب قوماً من أولى العلم أنهم
يسيرون بين الناس فى نوره عُميا
ألا هل أرى من جلَّةِ القوم شافيا
لشعب مريض لا يموت ولا يحيا؟!
محتهُ عوادى الدهر إلا بقيةً
من الدين والدنيا لمن يؤثر البقيا[٢٣]

---

(٢٢)- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين لشيخ الإسلام مصطفى صبرى (١/ ٣٤٦) وهو من آخر مؤلفات الشيخ. يقع فى أربع مجلدات كبيرة، يبلغ كل واحد منها نحو خمسمائة صفحة، وفيه خلاصة آراء الشيخ الفقهية والفلسفية والاجتماعية والسياسية.

(٢٣)- ديوان أحمد محرم ٢/ ٨٠.

٧- عبد القادر المغربي

هو عبد القادر بن مصطفى المغربي، ولد في اللاذقية في الرابع والعشرين من رمضان ١٢٨٤ هـ، وأنتقل مع والده في طرابلس الشام وتلقى العلم فيها على أبية، ولزما الشيخ/ حسين الجسر علامة طرابلس، وقد ترجم المغربي لنفسه في كتابه «جمال الدين الأفغاني» ذكريات وأحاديث، ذكر فيه الأطوار التي مرَّ بها في طلبه للعلم، وذكر أنَّ أخر هذه الأطوار هو اتصاله بالسيد الأفغاني، وعكوفه على «العروة الوثقى» ونسخه لها من ألفاها إلى يائها، ومقابلته للشيخ محمد عبده في مصر، وإعجابه به[٢٤].

عمل المغربي في الصحافة في مصر وكان له نشاط كبير فيها ومما نشره في المؤيد يومئذ مقال بعنوان «حجاب المرأة في الإسلام» وحمل عليه المحافظون من أجله[٢٥].

قام المغربي بحملة على الحجاب، ودعا إلى السفور والتبرج، وقد وصف من أحوال نساء أوربا وأمريكا ومخالطتهم للرجال ما يشعر باستحسانه له، وقد تمنى في مقالاته لنسائنا مثل ما لنساء أوربا وأمريكا، مما أثارا حفيظة الشيوخ، وكان ذلك في ما بين (سنتى ١٩٠٦ م -١٩١١م) وكانت هذه الفترة هي أعنف سنين حياته. حيث صبَّ عليه الشيوخ جام غضبهم من دعوته إلى الفجور.

وهو يرجو من قاسم أمين أن يتحفنا بكتاب في المرأة يكون ثالث القمرين، يعني كتابَيْ (تحرير المرأة، والمرأة الجديدة لقاسم أمين)، وشاهداً لصاحبه بالحسنين[٢٦]، وهذه بعض عناصر مقال للمغربي عن حجاب المرأة في الإسلام والذي بيَّن فيه أن الغرض من الحجاب في الإسلام هو صيانة كرامة النساء، وتوفير حرمة الأعراض. وإن الإسلام لم يُحدِّدْ له صورة خاصة وكيفية بعينها،

(٢٤)- وقد بسطنا القول في ترجمته في بحثنا: «حقيقة الأفغاني ومدرسته» يسَّر الله نشره.

(٢٥)- محاضرات عن عبد القادر المغربي لمحمد اسعد طلس ص١٨.

(٢٦)- المرجع السابق ص٥٣.

وإنما نهى عن التبرج وعن الخلوة بالأجنبي. ولكن المسلمين جروا في حجاب نسائهم على طرائق اختلفت باختلاف بيئاتهم وأقطارهم وعمرانهم وأمزجتهم وسائر المؤثرات التي تحيطهم.

وأورد أمثلة كثيرة على جواز السفور؛ منها: أن النبي ﷺ شهد وليمة عرس، وكانت العروس نفسها تخدم المدعوين. ومنها أن زوجة بن عمر كانت تنزل إلى المسجد فتصلي الفجر غلساً، ومنها: أن أبا بكر كان يجتمع بالنساء الأجنبيات ويحادثهن. وأن سفيان الثوري وأضرابه كانوا يزرون رابعة العدوية ويسمعون كلامها. وأن عائشة الباعونية (في القرن الحادي عشر من الهجرة) كانت تقرأ درساً عاماً في الجامع الأموي بدمشق، وكان يحضر درسها العلماء والصُلحاء وعامة الناس. وأن عمر بن الخطاب كان إذا رأى امرأة مُرخية قناعاً على وجهها كشف القناع ونظر إليها فإن وجدها جميلة أقرَّها، وإلا ألزمها بالسفور وترك القناع!!!.

وأنَّ عائشة بنت طلحا كانت مع جمالها لا تستر وجهها عن الرجال لعظم قدرها وكبر نفسها (أي أنها تشعر من نفسها بأنها أعظم من أن يُحدِّث نفسه بها فاسق). وأنَّ سكينة بنت الحسين كانت تجالس الجلة من قريش، ويجتمع إليها الشعراء، وتأذن للناس أذناً عاماً حتى تغص بهم الدار فتأمر لهم بالطعام ثم تسأل الشعراء و تنقض أعمالهم(٢٧).

ومن مؤلفات المغربي في السفور والحجاب.

١- كلمتان في السفور و الحجاب وقد طبع في المدة العصيبة من حياته. سنة ١٩١٠م.

٢- محاضرات عن محمد ﷺ والمرأة.

---

(٢٧)- وكل ما أورده المغربي من أمثلة يحتاج إلى مراجعة ومناقشة، وبعضهم مروى عن غير الثقات، وبعضهم مم لا تقوم به الحجة، وبعضه الأخر مم أنتزع من سياقه وحرف عن وجهه. (الاتجاهات الوطنية ١/ ٣٦٠).

ومن نافلة القول: أن آخر مـا كتبه المغربى رواية «الـنجم الآفل» وهى ترجمة لرواية (غادة الكاميليـا) للإسكندر دومـاس، ووضع الشيخ المغربى فيهـا أشعاراً وأدواراً غنائيـة حيث عـرضت على الجمـاهير فى المسـرح فى ٣/ ١٠/١٩٠٨م، ويبـدوا أن المغـربى لم يكن يرغب فى أن يعـرف الناس أنـه هو الذى ترجم هذه الرواية، وأنهُ هو الذى نظَّم أغـانيهـا، ووضع أدوارها الغنائيـة، فرفض طبـعهـا ونشـرها. ويبـدو أيضـا أنه كـان لا يـحب أن يُعـرف عنه أنه أهـتم بالروايات والمسرحيات لما فى ذلك من الغض من سمعته ومكانته الدينية[٢٨].

٨- طه حسين

هذا الرجل الذى لمعَّهُ الإعلام، ولقَّبه الغرب بـ «عـميد الأدب العربى» الذى كان يستحى أن يفـتتح خطبه ومحاضراته بالبسـملة و الثناء على الله حتى لا يتهم بالرجعـية و التخلف. ظناً منه أن النسـبة إلى الدين سُبَّةٌ، وأن الظهـور بالمحافظة علية معَّرة، يقول طه حسين..

(سيضحـك منى بعض الحاضرين إذا سمعنى أبدأ هذه المحاضـرة بحمد الله والصلاة على نبيه، لأن ذلك يخالف عادة العصر)[٢٩].

مصطفى النحاس: رئيس حزب الوفد

وفى يناير ١٩٥٠م (حـمل حسـين سرى) رئيس الديوان إلى الملـك «فاروق الأول» مشروع التشكيل الوزارى الذى سلمه إلـيه «مصطفى النحاس» رئيس حزب الوفد، أخـذ الملك فى مـراجعتـه، ولما بلغ اسم «طه حـسين» فزع المـلك وقال: (مستحيل، مستحيل أنتم لا تعرفون خطورة هذا الرجل).

وقـال أيضـا: (من المحـال أن أوافق على أن يكون وزيراً للمـعـارف بالذات مستحيل)، وتدخل «كريم ثابت» الصليبى وأقنع الملك بالعدول عن موقفه.

---

(٢٨)- محضرات عن عبد القادر المغربى لمحمد سعد طلس ص ٥٩.

(٢٩)- الاتجاهات الوطنية ١/ ٣١٢.

فمن هو ذلك الرجل الذى أشفق الطاغية «فاروق» من خطره؟ [٣٠]

إنه صنيع أعداء الإسلام، الناقث لسمومهم فى بلاد المسلمين وهذه شهادة أستاذه التلمودى المستشرق:

(ما سينيون، يقول: (إننى حين أقرأ بحثا لطه حسين أقول: هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا)[٣١].

وبما أثر عنه من أقواله الكفرية، ومواقفه الإبليسية.

- دعوته لطلاب كلية الآداب إلى أن يقتحموا القرآن فى جرأة، وأن ينقدوه كنقدهم لأى كتاب أدبى فيقول فيه:

هذا حسن وهذا (كذا)، تعالى الله عن زندقته علواً كبيراً[٣٢].

- من أقواله أيضا:-

(أن الإنسان يستطيع أن يكون مؤمنا وكافراً فى وقت واحد، مؤمنا بضميره وكافراً بعقله، فإن الضمير يسكن إلى الشىء ويطمئن إليه فيؤمن به، أما العقل فينقد ويبدل ويفكر أو يعيد النظر من جديد، فيهدم ويبنى، ويبنى ويهدم).

- ومن ذلك قوله:

(علينا أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم، لنكن لهم أنداداً، فنأخذ الحضارة خيرها وشرها، وحلوها ومرها، وما يُحبُّ منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب).

- وهو معجب بشخصية (أندريه جيد)، لتمرده على الدين والخلق والعرف الأدبى، ويجن ويتريم خطاه ويصور نفسه من خلال شخصيته.

---

(٣٠)- عورة الحجاب ١/ ١٧٧ .

(٣١)- ذكى مبارك للأستاذ / أنور الجندى ص١٣٢ .

(٣٢)- وانظر طه حسين الأستاذ/ أنور الجندى ص ٢٢٩، وقد جمع أ / محمد إسماعيل المقدّم بعض ضلالاته وأقواله الكفاية فى (عورة الحجاب) ١/ ١٧٨-١٨٣- والأستاذ / أنور الجندى فى موسوعة العلوم والمناهج فى أجزاء متفرقة.

وتذكر مجلة «النهضة الفكرية» الصادرة فى ٧/ ١١/ ١٩٣٢م:

(أن الدكتور «طه» قد تعمد فى إحدى كنائس فرنسا وانسلخ من الإسلام من سنين فى سبيل شهوة ذاتية).

لقد ساعد طه حسين على نشر التنصير ومد جذوره فى الجامعة، وإستقدم المشركين المعاندين لله ورسوله الطاعنين فى حقائق الإسلام لإلقاء المحضرات حول الإسلام فى الجامعة المصرية لتشكيك الطلاب فى القرآن والإسلام.

ويقول عن نفسه:

(إننى أفكر بالفرنسية، وأكتب بالعربية).

هذا طه حسين الذى ظل إلى آخر نفس فى حياته بوقاً للغرب، وواحد من عملائه، يروِّج لثقافته، ويعظمها فى قلوب ونفوس النبت من أبناء المسلمين.

ومن آثار طه حسين السيئة أنه نادى بالاختلاط بين الطلبة والطالبات فى الجامعة، وشجع عليه، وعمل على تنفيذه وحوَّل الجامعة المصرية إلى مجتمع متحلل خليع.

أصرَّ طه حسين على استبقاء كتب (برنارد شو) وغيره التى تهاجم الإسلام فى كلية الآداب بحجة أن الإسلام قوىٌّ ولن يتأثر بهذا الرأى أو ذاك.

سرت عند ذلك روح الغيرة الإسلامية عند الطلاب، فقاومت مؤامرات (طه حسين) على الإسلام، وحاصرته فى مكتبه بكلية الآداب، وكادتْ تفتك به لولا أن أنقذه بعض الخدم فهرب - واعتكف كمقدمة لخروجه من كلية الآداب وأحرق الشبابُ العربى فى الشام كُتُبَ (طه حسين) فى ميدان عام فى العاصمة دمشق، ووصفه العلماء بالإلحاد والزندقة.

وقام بعض تلامذته الذين أستيقظ فيهم الشعور بالكرامة والعزة الإسلامية وكشفوا حقيقته بفضح أهدافه، وكشف تزويره وسرقته من كتب المؤلفين الغربيين.

وتصدى له عشرات العلماء والدعاة والمفكرين لعدوانه المتكرر على حرمات

الإسلام، وفضحوا مؤامراته على الإسلام.

رد الإمام «حسن البنا» عليه

عقد الأستاذ «حسن البنا» -رحمه الله- فصلا فى مجلة (التعارف) تحت عنوان: (إذا كان هذا صحيحا يا دكتور فقد اتفقنا).

وكان مما جاء فيه بصدد قضية (الاختلاط):

(وهل من الدعوة الإسلامية يا دكتور أن تخلط بين الفتيان والفتيات هذا الخلط فى كلية الآداب فتحذو حذوها غيرها من الكليات، وتبوء أنت بإثم ذلك كله؟ وتريد للفتيات فى صراحة هذا الاختلاط، وتحثهنَّ عليه، وتدعوهنَّ إليه، ولا تقل إن هذا من عمل غيرك، فيداك أوكتا، وفوك نفخ، وما تحمس لهذا، ودعا إليه، وحمل لواءه، واستخدم نفوذه فى تحقيقه أحدكما فعلْتَ ذلك أنت، ولعلك تعتبر هذا من مآثرك ومفاخرك، ولكنى أخالفك يا دكتور، وأصارحك أن هذا الاختلاط ليس من الإسلام، وقد رأينا وسترى - ما كان وما سيكون له من آثار)[٣٣]، ويرحم الله الإمام، ونعوذ بالله من الخذلان.

٩- ذكى نجيب محمود

هذا الفيلسوف الهالك الذى ظلَّ طيلة حياته يسخر من شعائر الله، ورسالات السماء، ويندِّدُ بالشريعة الإسلامية ويصف الحدود علناً بأنها دعوة غريبة معادية لتطور العصر.

ولما نادى المسلمون بتطبيق الشريعة تسائل هذا الفيلسوف ساخراً. من الذى سيقطع يد السارق... الطبيب... أو الجزار؟

لقد نشرت له مجلة روز اليوسف مقالاً فى عددها (٢٥٤٨) الصادر فى١١/ ٤/ ١٩٧٧م.

---

(٣٣)- عورة الحجاب ١ / ١٨٦-١٨٧، ولتنظر (طه حسين) للأستاذ / أنور الجندى وموسوعة العلوم والمناهج» المجلد السادس.

وفى سلسلة مقالات نشرت تباعا، يسخر فيها من الإسلام والمسلمين، والقرآن، ويصف المسلمين المتمسكين بدينهم بأنهم رجعيين، ويظهر رحمته وشفقته بالجانى، ويتعجب كيف تقطع يد السارق ؟ ومن الذى يقطعها؟!

لقد أفنى ذكى نجيب محمود حياته داعية إلى ثقافة الغرب، وكارها للحياة فى ظل الإسلام، انه الرجل الذى رشح لاقتعاد محل الصنم الضال (طه حسين) بعد هلاكه، والذى انفق ردحاً من عمره فى دراسة الفكر المادى الذى كانت قمته كتابه المعروف بـ (خرافة الميتافيزيقا) أى بمعنى أخر: اتهام مفهوم (الغيب) بأنه (خرافة)، وإنكار كل ما سوى المحسوس، تبعا لفلسفة الفيلسوف الملحد (أوجست كونت) تلك المدرسة التى يفاخر الفيلسوف الهرم بأنه يمثلها.

إنه الكاتب الذى باع عقله للهوى، وانضوى تحت لواء الأعداء، فهو جندى من جنود الاستعمار الفكرى والانحراف الخلقى.

إنه الرجل الذى لم يستح أن يجهر (فى الأهرام) بقوله: (من الخطأ الظن بأن التشريع الإلهى قد غطى كل معضلات الحياة)[٣٤].

ويصف ذكى نجيب محمود المرأة المسلمة الملتزمة التى لم تؤمن بما نادى به الصليبى الحاقد (مرقص فهمى) و(قاسم) و(طه حسين) بأنها امرأة كافرة مرتدة، كافرة لأنها آمنت بالله ورسوله وطبقت شرع الله، وما أمر الله به وما سنَّهُ رسول الله لها، ولأنها رضيت بالإسلام ديناً وكفرت بما يُعْبَدُ من دون الله وهى فى ردةٍ وانتكاسةٍ فى فكر الفيلسوف الهرم لأنها كفرت بهدى شعراوى، وصفية زغلول، ودرية شفيق، وأمينة السعيد، ولأنها تلتمس القدوة فى أمهات المؤمنين ونساء السلف الصالح الطاهرات القانتات التائبات العابدات السائحات الخاشعات -رضى الله عن الجميع.

---

(٣٤)- عورة الحجاب١/٢٣٨، وأنظر «رجال اختلف فيهم الرأى» الأستاذ/ أنور الجندى ص١١٥/ ٢٢٤، و«الصحافة والأقلام المسمومة» له أيضاً.

ويصف ذكى نجيب محمود -عصر التحرر- بأنه عصر النور، وهو العصر الذى بدا فى زعمه بإلقاء الحجاب فى البحر على شواطئ الإسكندرية، وانتهى إلى ما نعلمه اليوم على شواطئ الإسكندرية هو شيطان الظلام وليس الدعاة إلى الإسلام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

هو دائما يتزعج ويقلق كلما رأى محجبة صائنة لعرضها، غير مطيعة لشياطين الشرق والغرب.

ويصف ظاهرة عورة الحجاب بأنها: (موجة رجعية عاتبة نثرت رذاذها فى كل اتجاه حتى أصاب المرأة ما أصابها). ويقول: (ألا ما أبعد الفرق فى حياة المرأة المصرية بين الليلة والبارحة، ففى بارحتها ألقت بحجابها فى مياه البحر عند شواطئ الإسكندرية، إيذاناً بدخولها عصر النور، وأما فى ليلتها هذه فباختيارها تطلب من شياطين الظلام أن ينسجوا لها حجاباً يرد عنها ضوء النهار) أهـ.

وعندما سألت طالبةٌ فى كلية الطب أحد العلماء عن (الحكم الشرعى فى الكشف عن الجسد البشرى - الذى هو عورة بالنسبة لها حياً أو ميتا وذلك أثناء تعليم الطب).

فإن الفيلسوف الهرم يصيح قائلا: (يا فضيحتنا عند أبنائنا وأحفادنا...)

فضيحتنا: لمجرد أنها سألت!!

ويربط الفيلسوف الهرم الحجاب بالنكسة فيقول: (لقد بدأت هذه الموجة المتحفظة مع شبابنا ذكوراً وإناثاً بعد نكسة ١٩٦٧م ثم أخذت فى التضخم والاتساع، حين وجدت من ينفخ لها النار حتى أصبحت فى حياتنا الاجتماعية) أهـ.

ونقول له: إن نكسة ٦٧ واحدة من الآثار المشئومة والنتائج الحتمية البارحة للمرأة المصرية التى أخذت تتغشى المجتمع كله لفسادها ولضلالها وانحرافها تحت

ستارة (تحرير المرأة) وبعبارة أخرى: إن الحجاب لم يكن ثمرة النكسة بقدر ما كانت النكسة ثمرة التخلى عن الحجاب كمظهر من مظاهر التخلى عن الإسلام.

ويصف الفيلسوف الحجاب بأنه (قشور وفرعيات) لا ينبغى أن تشغل حيزا من اهتمام المسلمين. ولما روجع فى بعض ما يقوله من الأقوال الكفرية، أبى واستكبر وعاندا وقال:

(إننى لم أجد فى تلك الرسائل جميعا ما يحملنى على أن أغير حرفاً مما كتبته، ولو أعدت الكتابة لكررت كل ما أقوله كلمة كلمة)أهـ.

فإذا لم يرفع بآيات الله لأمر بالحجاب رأسا، فإنا نذكره بقول الله تعالى:- ﴿ويل لكل أفاك أثيم. يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كان لم يسمعها فبشره بعذاب أليم. وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزوا أولئك له عذاب مهين﴾ (الجاثية: ٧-٩).

وقوله سبحانه:- ﴿ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾[٣٥] (السجدة: ٢٢).

وكان من آخر محاولات الفيلسوف الهرم لهدم الإسلام هو الأسرة المسلمة ما كتبه فى (آخر ساعة) الصادرة فى مايو ١٩٨٦م مقالاً مطولاً دافع فيه عن العلمانية، وهاجم الجماعات الإسلامية، واستهزأ بالحجاب وعلل انتشاره لانخفاض الدخل فى كثير من الأسر، مما جعل عدد من السيدات والفتيات يعجزن عن التنافس فى دنيا الثياب والزينة، فيجدن ملاذاً فى الثياب الدينى، وأن من أسباب انتشار الحجاب أيضا فى نظر الفيلسوف:

ارتفاع أجور العناية بالشعر عند الكوافير، فيحدث أن حجبه -أى حجب الشعر تحت الحجاب- أيسر، وأقل تكلفة، وسئل عن رأيه فى المنقبات، فقال فى عتوٍ وغرور: (المنقبات لا يستأهلن الحديث منى عنهن...) ثم راح يتسائل (هل

(٣٥)- راجع عورة الحجاب ١/ ٢٦٥ .

هو عدم جمال خلقه؟ . ولكن أقول أن فيهن صاحبات وجوه مليحة مقبولة: أيضا أقول. هل هى حركة احتجاجية داخل الأسرة؟ هل هى حالة عدم رضاء كاملة عن النفس؟ هل النقاب هو الإسلام)أهـ.

ثم عاش الفيلسوف الهرم حائراً، لا يجد الجواب، ومات غير مشكور ولا مأسوف عليه.

١٠- نوال السعداوى

هذه المرأة التى لم تهدأ ولم تسترح عن محاربتها للإسلام، بل إنها لتعلن فى كل مناسبة تمردها الشديد على الشريعة، وظلم الإسلام للمرأة، وكيف جعلها على النصف من الرجل فى الشهادة والميراث.

- سألت طالبة محجبة بكلية الطب أحد العلماء عن (الحكم الشرعى فى الكشف على الجسد البشرى - الذى هو عورة بالنسبة لها حياً أو ميتاً - وذلك أثناء تعلم الطب)

هو سؤال برئ - يستحق التعاطف والإخلاص فى النصيحة. . . فإذا بالدكتورة نوال السعداوى تمارس ضدها نوعا شديداً من الإرهاب إذ تقول بعد قول الفيلسوف الهالك: (يا فضيحتنا. . .):

(المسألة أخطر من الفضيحة. إنها كارثة ثقافية وعلمية وأخلاقية...)

ثم تقول عن التيار الإسلامى الذى دفع الطالبة للاستفتاء فى موضع الاشتباه: (ردة ثقافية وعلمية وأخلاقية خطيرة) (الأهرام فى ١٤/ ١/ ١٩٨٦م).

ونسأل الدكتورة / نوال.. أين الكارثة الأخلاقية؟:-

هناك فى النموذج الغربى العلمانى المطروح علينا بإلحاح الغزو الثقافى - أم هنا فى فتاة متدينة تسأل عن الحكم الشرعى، وترغب أنها تحصل على العلم دون أن تتخلى عن الدين؟

فى أى شئ تصرخين؟[٣٦].

---

(٣٦)- أنظر «حقيقة العلمانية» د/ يحى هاشم فرغل ص٢٦٢ ط الأزهر.

١١- يوسف إدريس

عرف بالفكر العلمانى، وهجومه على العلماء المسلمين، سجل له التاريخ الصادق فضائح مخزية، منها قوله عن الحجاب والنقاب كما نشرته جريدة الأهرام الصادرة فى ٢/١١/١٩٨٧م:

(ما أتعس الجيل التى ستخلفه أمهات منقبات الوجه والعقل).

سبحان الله نفس مقولة أستاذه الفيلسوف الهرم: (الحجاب حجاب على العقل) أتواصوا به!!.

١٢- يحى حقى

أما (يحى حقى) فلا يرضى بأن يترك المناسبة تمر دون أن يسهم فيها بشىء (!!) إذ يقول:- (أكثر ما يثير دهشتى هو مشهد الحجاب فى شوارع القاهرة، لقد دفعنى هذا المشهد لأن أسأل نفسى... ماذا جرى) ؟ وما هذه التيارات الجديدة التى طغت على عقول هؤلاء البنات حتى حولتهن هذا التحول؟

نحن نعيش مرحلة غريبة، وأحياناً لا أفهم هل نسير إلى الأمام أم نسير إلى الخلف؟

نعم دهشتى كاملة. (الأهرام ١١/٦/١٩٨٧م).

ونحن نقول له: علام تندهش، الحجاب يثير دهشتك، وتعجبك لأنك لا تريده، ولا تحب أن يكون، والفتاة التى ترتدى (البيكينى) على الشواطئ، أو (الشورت) فى الشارع لا تثير دهشتك ولا تحرك لك ساكناً، لأنك تريد المجتمع كله كذلك. أين الدهشة أيها الأديب الهرم الموهوم.

هناك فى ذلك الخليط العفن من النموذج الغربى العلمانى المطروح علينا.

أم هنا فى فتاة تلبس الحجاب، تحجب عنك فتنة يطير لهالب الشيخ كما يطير لها لب الشباب.

١٣- أمينة السعيد

هذه المرأة التى نذرت حياتها للصد عن سبيل الله، ومحاربة الحجاب، والتى تشمئز من رؤية المحجبات، تلميذة الرجل الصنم (طه حسين)، مازالت تحض نساء المسلمين على الرذيلة وترك العفة، تفوقت على كل من سبقها فى هجومها على المرأة المسلمة الملتزمة المحجبة عن أعين لصوص النظرات، تفوقت على كل اللائى سبقنها فى باب التجرد من الآداب والأخلاق الأساسية فهى لا تألو جهداً فى الصد عن سبيل الله، والاستهزاء من شرعه سبحانه، لا تؤمن بأحكام الميراث وأن للذكر مثل حظ الأنثيين، تقول: (إننى لا أطمئن على حقوق المرأة إلا إذا تساوت مع الرجل فى الميراث، وتصف الفقهاء الأربعة الذين أجمع الناس على إمامتهم فى الدين بأنهم ولدوا فى عصر الظلام تقول: (كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا فى عصر الظلام ولدينا الميثاق ؟) وتعنى بالميثاق الذى جعلته بديلاً للفقه، هو الميثاق الذى كتبه عبد الناصر مقتبسه من الشيوعية والاشتراكية).

قالت فى إحدى جولاتها ضد الحجاب:

(إن هذه الثياب المجوجة قشرة سطحية لا تكفى وحدها لفتح أبواب الجنة أو اكتساب رضا الله، فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر يزعمن أنها «زى إسلامى» لم أجد ما يعطينى مبرراً منطقياً معقولاً لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لف أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزى هو والكفن سواء)أهـ.

وقالت أيضا مستنكرة:-

(هل من الإسلام أن ترتدى البنات فى الجامعة ملابس تغطيهن تماما، وتجعلهن كالعفاريت. .

وهل لابد من تكفين البنات بالملابس وهن على قيد الحياة، حتى لا يُرى منها شىء وهى تسير فى الشارع ؟) اهـ.

وقالت أيضا:

(عجبت لفتيات مثقفات! كيف يلبسن أكفان الموتى، وهن على قيد الحياة؟!) وتعتبر بمفهومها هجومها ونضالها ضد الشريعة مفخرة ومجداً، وتستهين بعقول الشباب المسلم الذى يستنكر المنكر تقول: (اقتراحى بإجراء تلقيح صناعى لزوجة عقيمة من زوجها أقام الدنيا وأقعدها، ومطالبتى بإلغاء المحاكم الشرعية كاد يدخلنى السجن، أما مهاجمتى لقانون الأحوال الشخصية فقد أثارت الدنيا من حولى، وجاءت مظاهرة إلى «دار الهلال» تهتف بسقوطى)(٣٧).

وكلام أمينة السعيد يشبه كلام أخيها يوسف إدريس وكلام زميلها ذكى نجيب محمود.

فها هو يوسف إدريس يطالب المنقبات والمحجبات بالعودة إلى البيت وأن لا يحاولن طلب العلم، وأن يلزمن منازلهن للزواج وإنجاب الأطفال، فهل هناك علاقة بين طلب العلم وكشف الجسد؟ ولماذا ينقمون من الفتيات العفيفات لأنهن تعففن عن كشف أجسادهن أمام الأجانب.

هناك أستاذات محجبات فى الجامعة وفى مراكز البحوث، لم يمنعهن حجابهن من طلب العلم والترقى فى الدرجات العلمية.

إن الحجاب أو النقاب لا يعوقان استخدام العقل أو اليدين بل هما وسيلتان للفتيات فى طلب العلم أو أداء العمل.. ونقول لهؤلاء العلمانيين جميعا: أنتم تريدون منا أن نكشف عن عورات نسائنا ليجلبن لكم السعادة، وحتى لا تشمئز نفوسكم حينما ترون محجبات. ونحن نقول لكم:

إن نسائنا لم تخلق للترفيه لمن يريد الترفيه!!!...

أردت أن أتكلم عن سعد زغلول وهجومه على الحجاب وجرائمه التاريخية،

---

(٣٧)- من أعداد متفرقة من مجلة «حواء»، والمصور، والولاء والبراء فى الإسلام لمحمد بن سعيد بن سالم القحطانى ص٤١٠ ط دار الصفوة، وأنظر «العلمانية وأثرها فى العالم الإسلامى» للدكتور/ سفر الحوالى.

وهدى شعراوى التى كانت فى جراءتها أول من خاضت تجربة رفع الحجاب، وألقت به على شاطئ الإسكندرية ومجاملتها لمصطفى أتاتورك، ودرية شفيق ودورها فى تأييد الاحتلال البريطانى لمصر وأنها سفيرة إسرائيل فوق العادة فى مصر» ومباركتها للثورة الفرنسية.

وكنت أود أن اكتب عن إحسان عبد القدوس صاحب الأدب المكشوف، ونجيب محفوظ الذى استحق جائزة الغرب ثمنا لما قدَّم، وقد افصح هو عن مذهبه، وأبان عن عقيدته، وهذا الغلام ربيب المستشرقين، الذى صنع على عين الغرب، وأراد أن يدخل التاريخ من بول الأعرابى، حسين احمد أمين الذى تحدى علماء الأمة أن يأتوا له بآية واحدة تدل على وجوب الحجاب وستر البدن ..

(فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور).

ولكن المقام لا يتسع. ولذا نرجئه لبحث آخر يعقد خصيصا للحديث عن ذلك..

وحسبى أننى ذكرت نماذج من أولئك الذين لمعهم لنا الإعلام، وفرضتهم علينا وسائله، ومجدوهم ليل نهار، وجعلوهم.. بزعمهم -للمسلمين قادة- وبئس القوم أن يكون أستاذهم أحمد لطفى السيد، وعميدهم طه حسين، وكاتبهم لويس عوض، وقاسم أمين، وأديبهم نجيب محفوظ، وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس ويحيى حقى، وفيلسوفهم ذكى نجيب محمود. الخ...

ألا فلتعد الأمة حساباتها فى تقييمها للأشخاص. ولتزنهم بميزان الشرع. ودعك مما يدسُّه لنا الإعلام من تمجيده وتقديسه لعملاء الغرب، فقد امتدت أيدى الغرب فى وسائل الإعلام، حتى صارت وسائل الإعلام غربية تشاهدها وكأنك فى الغرب. وصبغت كثيراً من الفتيان والفتيات بصبغة الغرب وصار الشباب والفتيات يقلدن كل وافد علينا من وسائل الإعلام، انتشار الانحلال والاضمحلال، فترى الشاب والفتاة؛ **فلا تعلم أيهما الشاب وأيهما الفتاة! شباب**

مخنث: لا يعبأ إلا بزينته، وتصفيف شعره، وتحزيق ملبسه.

يقول ابن الخطيب:-

كيف ينجو النشوم والشر صاح ... يتصدى بسائر الطرقات
فتيات: يلحن كالبدر حسناً ... بقلوب قددْنَ من صخرات
ورجال: تسير تيها وعجبا ... كنساء: يخطرن كالفاجرات
لا تفرق بين الرجال وبين النـ ... ـسوة صوتاً وملبساً وخطاة
يتثنى الفتيان في المشى كالأفـ ... ـعى، وتمشى الغادات كالعاريات
إيه يا أيها الشباب: أترضوا ... أن تكونوا فى السير كالعاهرات؟
سنَّةُ الله: أن تكونوا رجالا ... وتكونوا من صادقى العزمات
أين أنتم من أخوة سبقوكم ... لصفوف الجهاد كالباشقات
ما الذى أوجب التخلف عنهم ... حيث صرتم كالأعظم النخرات
فتعالوا أيها الشباب فأنتم ... لي؛ وإن أمحل الدواء أساتى
واتركوا اليوم ما جلبتم عليه ... ودعوا الموبقات والشهوات
لتروا فى الحياة كل جميل ... وتكونوا من سادة السادات

وهذا الثبت الذى قدمناه وذكرنا فيه المحاربين لله ورسوله، والمعتدين على شريعة الإسلام، والصادين عن سبيل الله يندرجون تحت التصنيفات الآتية:

١- «قسس يحترفون التبشير»

٢- سياسيون يعملون فى وزارات الخارجية الغربية.

٣- الغربيون الذين يعرفون البلاد العربية.

٤- المسلمون أمريكيو الثقافة والذين لهم القدرة على توجيه الفكر فى بلده، فهم إما أستاذ جامعى، أو رئيس تحرير، أو وزير معارف[٣٨].

٥- المحاربين للإسلام والمتغربين من أمثال محمد سعيد العشماوى، ونوال السعداوى، ونصر حامد أبو زيد.

---

(٣٨)- الإسلام والحضارة الغربية للأستاذ/ محمد محمد حسين ص ١٢٤ وما بعدها بتصرف كبير.

ماذا يريدون من المرأة؟!.

المسلسل العلمانى فى تغريب المرأة ومسح هويتها الفكرية والأخلاقية مستمر - وصدق الله العظيم إذ يقول: - **﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾** (البقرة:٢١٧)، والأعداء لن يهدأ لهم بال إلا إذا رأوا ما يرمون إليه، من هدم للأسرة والأخلاق، (والله من ورائهم محيط).

فبعد مؤتمرات المرأة والسكان فى: القاهرة، وبكين، وغيرهما، وأعمال الدورة الثانية والعشرين للجنة المكلفة بالقضاء على (التمييز ضد المرأة)!، لن يقفوا، فالمؤامرة مازالت مستمرة..

وطالبت الجمعية العامة الدول الموقعة على اتفاقية حقوق المرأة بتطبيق قواعد المساواة بين المرأة والرجل، كما فرضت على هذه الدول عدم الاكتفاء بإقرار المساواة على مستوى النصوص التشريعية فحسب، بل العمل على تجسيد هذه النصوص فى الحياة العامة من أجل تحسين الواقع اليومى الذى تعيشه المرأة.

كتبت نفيس صادق (المدير التنفيذى لصندوق الأمم المتحدة للسكان).

«إن إدماج النساء فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تعتبر من أهم التطورات التى حدثت فى المائة سنة الماضية، ولكن هذه الثورة لم تكتمل بعد؛ فالمساواة النوعية ما تزال هدفا لم يتحقق، إن ما يواجهنا من تحد ومسئولية بوصفنا رابطة من الأمم هو أن نبنى على ما أنجزناه فى العقود الماضية، وأن نضمن أن القرن الحادى والعشرين سيوفر للنساء الفرصة للمشاركة الكاملة فى صنع التاريخ!!».

وانظر إلى بعض انتكاسات تلك التوصيات الأممية فى بعض الدول الإسلامية؛ فبعد الحمَّى البرلمانية لحقوق المرأة السياسية فى الكويت، وبعد الحشود الصاخبة لمؤتمر مئوية قاسم أمين، ثم مشروع قانون الأحوال الشخصية فى مصر، يستمر الجدل العريض فى المغرب حول مشروع خطة إدماج المرأة فى التنمية الذى

أعد بتمويل أجنبي مشبوه من البنك الدولي!![٣٩].

ولكن ألا يحق لنا أن نسأل: ماذا يريدون من المرأة..؟!.

إنهم يريدونها أن تتخلى عن أنوثتها الطاهرة، وتصبح ألعوبة لشهوتها، ودمية لأهوائهم.

يريدونها أن تتمرد على حجابها، وتنتكس في حمأة الجاهلية ومستنقعاتها الآسنة.

يريدون إلغاء دور المرأة، ومسخ الهوية الاجتماعية للأمة، وإشاعة روح الانحلال والفساد.

يريدون استنساخ المرأة الغربية في بلادنا لتنتشر ثقافة الإيدز والعري والشذوذ الجنسي..!!

لقد كرَّم الله المرأة وشرفها، و والله الذي لا اله إلا هو! إنها لن تجد من يرعاها ويحفظ لها حقوقها كما تجد ذلك في الإسلام..

فيا بغاة الشر اقصروا..[٤٠].

الرد على الحاقدين:-

أثار الحاقدون شبهات حول الإسلام والمرأة والحجاب، وأكثرهم نطق كفراً.

ولو أننا أخذنا نرد على كل واحد منهم، ونفند شبهة كل ساقط لطال بنا المقام. وخرجنا عن المقصود ولكن هذا له مجال آخر، وقد تولى كثير من العلماء تفنيد الشبه وبروا نبالهم، وحدُّوا سيوفهم على هؤلاء المعاندين الصادين عن سبيل الله. وهذا مجال من مجالات الجهاد. سدد الله رمية المجاهدين في سبيله..

وهؤلاء الذين يثيرون الشبه ويريدون هدم الإسلام كمن يريد أن يطفئ نور الشمس بفيه أو يهدم الجبل برأسه، فالإسلام قائم شامخ ﴿ **يريدون ليطفئوا نور**

(٣٩)- وعن الجهات الممولة لهذه المشروعات المعادية للإسلام وأهله، أنظر: مجلة الشريعة والتي يصدرها مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، العدد السادس والأربعون ص٣٣١.

(٤٠)- مجلة البيان العدد ١٤٩ ص ٥٧.

الله بأفواههم والله متمٌ نوره ولو كره الكافرون ﴾ (الصف: ٨).

- ولقد أقول لمن تحرشى بالهدى   عرضت نفسك للبلا فاستهدف

- يا ناطح الجبل العالى ليكلمه   ارفق على الرأس لا ترفق على الجبل

وقال آخر: -

وهل حطٌ قدر البدر عند طلوعه   إذا ما كلاب أنكرته فهرت

وما إن يضر البحر إن قام أحمق   على شطه يرمى إليه بصخرة

آثار الدعوات الهدامة على الأسرة والمجتمع:

برزت آثار التغريب فى مجال الاجتماع فى نواحٍ عديدة أهمها:

١- تحرير المرأة.

تجلى أثر الحضارة الغربية والتفكير الأوربى فى الدعوة إلى المناداة بتحرير المرأة -حسب تعبيرهم- والزعم بأن الحجاب قد حال بينها وبين أن تكون عضواً نافعا فى الحياة ذا أثر فى المجتمع على النحو الذى بلغته المرأة الأوربية، وقد كان أهم ما ظهر فى هذا الموضوع كتابان لقاسم أمين الذى اقترن اسمه فيما بعد بلقب (محرر المرأة) وهما: (تحرير المرأة) سنة ١٨٩٩م و(المرأة الجديدة) سنة ١٩٠٠م والكتابان محصلة لتفكير سابق وصيحات سالفة رددها بعض المفكرين تلاميذ البعثات التى أوفدها محمد على. (وقد بينا ذلك سالفا).

وأخذت الأمور تتطور واستنفذت دعوة قاسم أمين كل أغراضها، واندفع الناس إلى ما وراءها فى سرعة غير منتظرة بدأت بخلع النقاب، وانتهت بالظهور على شواطئ البحر فى المصايف بما لا يكاد يستر شيئا، ولم تعد عصمة الناس فى أيدى أزواجهن، ولكنها أصبحت فى أيدى صانعى الأزياء فى باريس من اليهود، ومشيعى الفجور، وقطعت المرأة رحلة التعليم الابتدائى والثانوى، واقتحمت الجامعة مزاحمة فيما يلائمها وفيما لا يلائمها من ثقافات وصناعات، وشاركت فى الوظائف العامة، ولم تقف مطالبها عند حدٍ فى الجرى وراء ماسمَّاه أنصارها

حقوق المرأة أو مساواتها بالرجل، وامتلأت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات وحطم النساء الحواجز التى كانت تقوم بينهن وبين الرجال فى كل مكان.

٢- التحلل من القيم والفضائل.

عمل الغرب بإخراجه للمرأة عن فطرتها إلى الإساءة إليها، وكان من أخلاق الضعة التى رمانا بها الاستعمار قديما الشره فى طلب اللذائذ، والرغبة فى الراحة دون عمل ونيل المغنم القريب من غير مغرم يبذل، وقعود الهمم عن الآمال العراض والمطامح العظام، مع إدمان غريب للشهوات الدنيا، وتتبع للعورات، وتصور ظالم للمرأة وأنواع المتع إلى غير ذلك من ذرائع الهزيمة التى لا تتاح معها نهضة، ولا ينجح فى ظلالها سعى.

٣- تدمير المجتمع المسلم.

لقد كان تدمير المجتمع الإسلامى هدفاً أساسيا للتغريب منذ سيطرت القوى الاستعمارية على بلاد المسلمين وقد كان للمذاهب المسيطرة على المجتمع الإسلامى أبعد الأثر فى دعم النفاق والفساد، وتأثر البيت المسلم لهذا الانحراف، واضطربت علاقة الرجل والمرأة، واهتزت القدوة فى الأب والام على السواء، ويمكن أن نؤكد بأن أخطر ما حققه هذا التغريب الاجتماعى هو تمزيق الأسرة، والقضاء على رجولة الرجل، وأنوثة المرأة، والتحلل من التماسك الخلقى، والولع بالترف وقضاء الساعات الطوال أمام وسائل الإعلام المدمرة، وقد ساق التغريب عملية تفريغ المجتمع الإسلامى، وأسلوب العيش الغربى فى البلاد الإسلامية باسم التقدم والرفاهية(٤١).

****

(٤١)- راجع حصوننا مهددة من داخلها د/ محمد محمد حسين ص ٦١، والاتجاهات الوطنية له، ودور الاستشراق فى تغريب المرأة المسلمة د/ عبد الفتاح بركة ص-٣٠، وموسوعة مقدمات العلوم والمناهج للأستاذ/ أنور الجندى للمجلد الثالث ص٦٥٢، والمجلد السادس.

قطعة ذهبية من الشعر فى الدفاع عن «القيم الإسلامية» والتبرء من تقاليد الغرب الفاسدة.

ومن رائق الشعر هذه القطعة الذهبية التى كتبها أحد شباب الإسلام شاهراً بها على أعناق المعاندين، وهى ضرب من ضروب الجهاد يقول:-

الله أكبـر فى الدفـاع سأبتـدى ... وهو المعين على نجاح المقصـد
وهو الذى نصـر النبى محـمـدا ... وسينصـر المتتبـعين لأحـمد
وبه أصـول على جـميع خصـومنا ... وأعـده عـونا على من يعتـدى
سأسل سهمـاً من كنانة وحيـه ... وبه أشد على كتائب حُسَّدى
وبه سأجـدع أنف كل مكابد ... وبه سأرصـد للكفـور الملحـد
وسأستجير بذى الجلال وذى العلا ... لالن أضام إذا استجرت بسيدى
وسأستمد العون منه على الذى ... لمز الأحـبـة بالكلام المفسـد
حتى أشـتت شملهم بأدلة مثل ... الصواعق فى السحـاب الأسود
وبنور وحى الله أكشف جهلهم ... حتى يبين على رءوس المشهد
لا تلزمـونا يا خفافيش الدجى ... بتطرف وتسرع وتشـدد
لا تقـذفـونا بالشـذوذ فـإننا ... سرنـا على نهج الخليل محمـد
ولكـل قـول نستـدل بـآية ... أو بالحـديث المستـقيم المسند
والنسـخ نعـرف والعمـوم وإننا ... متـفطنون لمطلق ومقـيـد
ونصوص وحى الله نتقن فهمها ... لا تحسبـون الفهم كالرأى الردى
وإذا تعارضت النصـوص فـإننا ... بأصـول سادتنا الأئمة نهتـدى
ونحـارب التـقليد طول زمـاننا ... مع حبنا للعـالم المتجـرد
وكذا الأئمة حبـهم متـمكن ... من كل نفس يا برية فاشـهـدى
وترق أنفسـنا لرؤية من غـدا ... فى ربقة التقليد شبه مقيد
إنا نـرى التـقليـد داءً قـاتلا ... حجب العقـول عن الطريق الأرشد

جـعل الطريق علـى المقلد حـالكا ... فـترى المقلد تائهـا لا يهتـدى
فلذا بدأنـا فى اجتـثـاث جـذوره ... من كـل قلب خـائف مـتـردد
ولسـوف ندمل داءه وجـراحـه ... ببراهم الـوحى الشـريـف المرشـد
ندعـو إلى التـوحيـد طول حيـاتنا ... فى كل حين فـى الخـفـا والمشـهـد
ونحـارب الـشـرك الخـبيـث وأهله ... حـرباً ضـروسـاً باللسـان وباليـد
وكـذلك البـدع الخـبيـثـة كلهـا ... نقـضى عليـهـا دون باب المسجـد
هـذى طريـقنـا وهذا نـهـجنـا ... فـعـلام أنتـم دوننا بـالمرصـد
لِمَ تـطعنـون وتلمـزون كـأننا ... جـئتنا بـرأى للعـقـيـدة مـفـسـد ؟
هـذا الحـديث تلألأت أنـواره ... رغم الجـهـول ورغم كـل مـقلد
إن كنتمُ تـتـضـررون بـنوره ... فـالشـمس تطـلع رغم أنف الأرمـد
بالـله قـولوا مـا الذى أنكرتمو ... على البـرية للحـقـيـقـة تهـتـدى ؟
هددتمـونا بـالمذاهب بـعـدمـا ... وضح الدليل فـبئس من متـهـدد
وبهـتـمـونا بالقـبـائح كلهـا ... وعـرضـتـمـونا بالقناع الأسـود
لـكننـا لذنـا بـبـاب إلـهنـا ... فـأرحنـا من كل خـصم مـعـتـدى
يا مـعشـر الإخوان سـيروا وأبشـروا ... وثقـوا بنصـر الواحـد المتـفـرد
سـيروا على نهج الـرسول وصـحبـه ... لا تعـبـأوا بالآثم المتـمـرد
ولتـعلنـوها للبـرية كلـهـا ... إنا بغـيـر مـحـمـد لا نقـتـدى
لا نطـلب الدنيـا ولا نسـعى ... لهـا الله مـقـصـدنـا ونعم المقـصـد
ليـس المنـاصب همنـا ومـرادنا ... كـلا ولا ثوب الخـديعـة نرتدى
إنا لنـسـعى فى صـلاح نفـوسنا ... بعـلاج أنفسنا المريضـة نبـتـدى
ونحب أن نـهـدى البـرية كـلهـا ... ندعـو القـريب قـبـيل الأبعـد
وبواجب المـعـروف نأمـر قـومنا ... ونقـوم صـفـا فى طريق المفـسـد
لو تبـصـروا الإخـوان فـى حلقـاتنا ... من عـالم أو طالب مـسـتـرشـد

لرأيت علما واتباعه صادقا ... للسنة الغراء دون تردد
أنعم بطلاب الحديث وأهله ... اجهلهم عن كل قول مفند
هم زينة الدنيا مصابيح الهدى ... طلعوا على الدنيا طلوع الفرقد
ورثوا النبي وأحسنوا فى إرثه ... وحموه من كيد الخبيث المعتدى
سعدوا بهدى محمد وكلامه ... وسواهمو بكلامه لم يسعد
والدين قال الله قال رسوله ... وهمو لدين الله أفضل مرشد
والفقه فهم النص فهما واضحا ... من غير تحريف وتأويل ردى
لا تحسبن الفقه متناً خاليا ... من كل قول للمشرع مسند ،
أو قال عالمنا وقال إمامنا ... أو ذاك مذهب أحمد ومحمد
هذا كلام ليس فيه هداية ... من سار فى تحصيله لا يهتدى
فعليك بالوحيين لا تعدوهما ... واسلك طريقهما بفهم جيد
فإذا تعذر فهم نص غامض ... فاستفت أهل الذكر كالمسترشد
بالبينات وبالزبور فإنه ... من أمر ربك فى الكتاب فَجَوِّد
واعلم بأن من اقتدى بمحمد ... سيناله كيد الغواة الحسَّد
ويذوق أنواع العداوة والأذى ... من كل جاهل ومكابر ومقلد
فاصبر عليه وكن بربك واثقا ... هذا الطريق إلى الهدى والسؤدد

(من وقاية الإنسان للشيخ وحيد عبد السلام بالى ص ٢٣٩/ ٢٤١)

****

الفصل الرابع

مخالفة الأسرة المسلمة للآداب والأحكام

مدخل:- تقليد المسلمين لغيرهم فى الآداب والأحكام المخالفة للإسلام. وخطره على الأسرة والمجتمع.

يجتاح عالمنا الإسلامى فى عصرنا الحاضر الكثير من المفاهيم التى لا تتفق مع نفسيتنا وعقليتنا وطبيعة بلادنا، تقاليد وعادات لا تتفق مع مجدنا القديم، ولا تنهض بحاضرنا الجديد، ولا تصلح أن تكون دستوراً لحياتنا ولا لحياة أبنائنا وأحفادنا.

وسرت عدوى هذه التقاليد الدخيلة على مجتمعنا إلى شبابنا مثقفين وغير مثقفين، حتى وقر فى نفوسهم أن كل ما يفعله الأوربى حسن، وأن كل ما ورثناه من عادات وتقاليد إنما من بقايا الجاهلية والهمجية، ومن مخلفات عصور البلادة والخمول وأصبح الذين يجاهرون بالإفطار فى رمضان، والذين يشربون الخمر على قارعة الطريق، والذين لا يستحيون من جهلهم بقواعد دينهم ولغتهم وتاريخ وطنهم هم عنوان التقدم والرقى فى المجتمع.

يقول الأستاذ: محمد قطب:

«فلنكن صرحاء، ولنقل أننا نقلد الغرب المستعمر، تقليد العبيد وتقليد القرود، هل لدى الكتاب والمفكرين فى العالم الإسلامى المعاصر فكرة واضحة عن المجتمع الذى نريده؟ أفكاره ومشاعره وأخلاقه وتقاليده، هل لدينا فكرة واضحة عن أى التقاليد ينبغى أن يبقى وأيها ينبغى أن يزول؟.

هل لدينا فكرة عن الصورة التى نريد عليها شبابنا وفتياتنا؟

هل تذهب الفتاة كل مذهب؟ هل تتخذ لها صديقا،؟ هل تخرج مع خطيبها منفردين إلى السينما والمسرح والحديقة الخلوية؟!.

وهل تُسْأل وهى خارجة: إلى أين تذهب؟ وهل تُسْأل إذا عادت متأخرة أين كانت؟

وفى الجانب الآخر، ما قيل عن الفتاة يقال عن الفتى.

ثم يقول:-

إذا أخذنا مثلا خروج الفتاة والفتى وحدهما بلا رقابة، فهل يحدث ذلك

بصفة غالية فى قطاع معين من قطاعات المجتمع؟ فى المثقفين مثلاً أو فى سكان العاصمة أو فى الأُسَر التى تُعَلِّمُ فتياتها فى الجامعة؟ أو فى أسر الذوات؟ أو فى محيط العمال؟ أم نجد هذا التقليد فى كل طبقة وفى كل فصيلة وفى كل قطاع[1].

والذى لاشك فيه أننا فى حالة تحول عن تقاليدنا القديمة، واندفاع نحو تقاليد لا صلة لها بديننا ولا بالحياة الاجتماعية التى نحياها.

فهل اختلاط الرجال بالنساء ورقص الفتيان مع الفتيات، أو تقليد غيرنا فى تناول الطعام باليد الشمال، أو إطالة بعض الأظفار أو إغلاق المحلات ووقف العمل يومى السبت والأحد، أو تقليد غيرنا فى زيهم أو أثاثهم وغيرها من الكماليات التى لا تؤدى إلى منفعة. هل ذلك كله من الإسلام؟!

والمتأمل فى عصرنا الحاضر يجد أن محاكاة المسلمين لغير المسلمين فى عصرنا الحاضر تظهر فى أمور خمسة.

أحدها- تقليدهم فيما يشتمل على مصلحة دنيوية ولا يخالف حكماً شرعياً أو أدباً دينياً.

والحقيقة أن الإسلام لم يحرم تقليد أى تقدم علمى يستطيع المسلم من خلاله توفير الوقت والجهد، كالتقدم العلمى الذى أدّى إلى إختراع السيارة أو الطائرة أو الصاروخ أو الثلاجة الخ..

فهذه كلها وغيرها أمور دنيوية تأذن بها الشريعة، وليس من المعقول أن تنهى الشريعة عما فيه خير لمجرد أن قوما من غير المسلمين سبقوا إليه، ويدخل فى هذا مجاراتهم في العلوم والصنائع، ووسائل الدفاع والمرافق التى تيسر جانبا عظيما من عناء هذه الحياة ومن شواهد هذا ما فعله رسول الله ﷺ من حفر الخندق حول المدينة النبوية، وقد أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه وهو من مكايد الفرس في حروبها.

(١)- معركة التقاليد محمد قطب ص ١٠٠ وما بعدها بتصرف شديد.

وفى أوربا نظم إدارية تقوم بقاعدة رعاية المصالح فنرى إجرائها فى بلادنا من قبيل إصلاح الإدارة.

باختصار شديد: فالذى يجوز اقتباسه من هذه التقاليد هو كل ما ينفع الأمة، ويعود عليها بالخير والبركات، كالتسابق فى الميدان العلمى، ويقصد بذلك ميدان الصناعة والتجارة، ومختلف العلوم الحديثة من رياضة وطب وكيمياء وطبيعة وفلك، والعلوم العسكرية وعلوم الذرة وغير ذلك مما يطلقون عليه فى العصر الحديث التكنولوجيا، مما لم يصطدم أو يتعارض مع قاعدة من قواعد الشرع الحنيف، ومن الأمور الواضحة فإن استخدام هذه العلوم فى الصناعة وغيرها مما يساعد البلاد على مكافحة عدوها فى الخارج وعدوها الداخلى وهو الفقر والجهل.

يقول فضيلة الشيخ العلامة محمد الخضر حسين -رحمه الله- عن محاكاة المسلمين للأجانب مبينا الأسباب التى أدت بهم إلى هذه المحاكاة والتقليد:-

«إنما تفضل الأمم بغلبة خيرها على شرها، ورجحان محامدها على مذامِّها، فإذا ما رأتْ أمةٌ ضعيفةٌ أمةً ذات معارف وسطوة تهافتوا على محاكاتها فى غير تدبر واحتراس، وصبوا همهم فى تقليدها، ومتى كثر فى الشعب أمثال هؤلاء الذين لا يميزون فى تقليدهم الطيب من الخبيث فقد الشعب هدايته الدينية، وتجرد من مميزاته القومية ولا يفلح شعب نكث يده من الدين الحق، ولا يعتز شعب نظر إلى قوميته بازدراء».

وثانيها:- محاكاتهم فى شىء من شعائر دينهم، وهذه المحاكاة إن كانت عن رضا دلت على نبذ الإسلام ولاسيما محاكاة تقع منه مرة بعد أخرى، فإن قامت قرينة على أنه يقصد الاستهزاء بمن يقلدهم فهى سفاهة وعصيان، فالذين يرسلون أبنائهم لمدارس أجنبية تحتم على كل تلميذ أن يشترك فى القيام بشعائرها

الدينية إنما يلقون بفلذات أكبادهم فى حفرة من النار[٢].

وقد وصل ببعضهم الشغف فى هوى الأجانب والانغماس فى التشبه بهم أن يقترحوا فى غير خجل قلب هيئة المساجد إلى هيئة كنائس، وتغير الصلوات ذات القيام والركوع والسجود إلى حال الصلوات التى تؤدى فى الكنائس.

وثالثها:- محاكاتهم فى شىء من شعائر دينهم، ولكنه مما نهى عنه الإسلام على وجه الحرمة كتقليدهم فى اختلاط الرجال بالنساء، ورقص الفتيان مع الفتيات، أو نهى عنه على وجه الكراهة كتقليدهم فى تناول الطعام بالشمال أو إطالة بعض الأظفار، والمحاكاة التى توقع فى مُحَرَّمٍ عن أمر الله والتى توقع فى مكروه يخسر بها صاحبها قسطاً من ثواب الله إذا كانت المحاكاة عن مجرد هوى، فإن كانت عن اعتقاد أن ما يفعله الأجنبى أليق زلزلت اصل الإيمان.

ومن محاكاتهم فيما يحرمه الشرع وينبذه العقل إنشاء مكتب يأتيه فاسدات الأخلاق فى التجارة بأعراضهن فلا يجد فى صدره حرجاً أن يأذن لهنً.

رابعها:- تقليد الأوربيين فى زيهم و أثاث بيوتهم من مصنوعاتهم، وفى المصنوعات القومية ما يغنى ففى الإقبال على المصنوعات القومية فتح باب عظيم من أبواب الثروة وارتقاء الشعوب إنما يكون على قدر يسارها.

خامسها:- محاكاتهم فى أمور لم يرد فيها عن الشارع نهى خاص، ولم تكن فى نفس موافقتهم فيها مصلحة أو مفسدة، ولا تلقى على صاحبها شبهة الانتماء إلى ملتهم، فصغار النفوس أو العقول يسارعون إلى التخلى عن المعروف بين قومهم، ويستبدلونه بالمعروف بين الأمم الأجنبية، فهذا النوع من المحاكاة يعنى

(٢)- يلزم الرجوع إلى ما كتبه الشيخ العلامة: «بكر بن عبد الله أبو زيد «فى كتابه القيم النافع: «المدارس العالمية-الأجنبية-الاستعمارية-تاريخها ومخاطرها» ط:دار العاصمة، وما كتبه الأستاذ الكبير أنور الجندى عن خطر المدارس الأجنبية على أبناء المسلمين فى «موسوعة مقدمات العلوم والمناهج»المجلد السادس ص ١-٣ وما بعدها . والمجلد الرابع. .

الافتتان بكل شأن من شئون أولى الشوكة والسلطان، فدلوا بهذه الإبانة على عدم الاعتزاز بقوميتهم.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا: أن شيوع التقليد كما قد يكون فى النافع يكون فى الضار، فإذا كان فى النافع فالمسلم مأمور أن يطلب الحكمة لأنها ضالته المنشودة، فأنى وجدها فهو أحق بها، وأما إن كان فى الباطل فالمسلم مطالب بأن يمقت الباطل ويدفعه كما هو مطالب بأن يزدرى أهله ويتجنب الارتباط بهم أياً كانت الروابط والعلاقات.

والمتأمل خلال عصرنا الحاضر يجد أن كثيراً من الكتاب والأدباء، قد اهتموا بمعالجة هذا الموضوع فتعددت الآراء، وتباينت الأفكار بين مؤيد للتقاليد جملة خيرها وشرها حلوها ومرها[٣]، وبين معارض للتقاليد الغربية جملة خيرها وشرها.

وإنى أرى من العبث أن نقلد غيرنا هذا التقليد الأعمى بلا روية، ولا تفكير ولا بحث ولا تمحيص، فتقليد غير المسلمين معناه القضاء علينا، وفقد هويتنا لا لشىء سوى المظاهر الكاذبة، ويا ليتنا قلدناهم فيما ينفع ويفيد، ولكننا قلدناهم فيما يضر ولا ينفع، فأخذنا من الحضارة الغربية كل شرها ومرها، قلدناهم فى الربا، والميسر، وتناول المسكرات والمخدرات، والتبرج والاختلاط، والتهتك، واللهو، والخلاعة، والزى، فتكون نتيجة هذا كله: القضاء على ديننا، وآدابنا وعاداتنا وتقاليدنا.

قال ﷺ:- «من تشبه بقوم فهو منهم»[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله:- «... أن المشابهة فى الأمور الظاهرة تورث تناسباً وتشابها فى الأخلاق، والأعمال، ولهذا نهينا عن مشابهة

(٣)- كالدكتور طه حسين واشياعه . (راجع ما كتبناه فى الفصل الثالث).

(٤)- اخرجه ابو داود (٤٠٣١)، وأحمد ٢ / ٥٠ عن ابن عمر-رضى الله عنهما.

الكفار، ومشابهة الأعاجم، ومشابهة الأعراب، ونهى كل من الرجال والنساء عن مشابهة الصنف الآخر، كما فى الحديث المرفوع: «من تشبه بقوم فهو منهم»[(٥)]، أهـ.

وكره العلماء التحدث بغير العربية من غير ضرورة كدعوة أهلها إلى الإسلام.

وفى هذا يقول البيرونى/ محمد بن أحمد الخوارزمى:- «لأن أهجى بالعربية، أحب إلىّ من أمدح بالفارسية».

حقاً: فالإسلام هو الدين الخالد الذى جاء لتخليص العقل من براثن التقاليد، وإذا كانت المبادئ البشرية قد تخطىء الصواب أحيانا لشذوذ فى أفكار أصحابها، فإن مبادئ الإسلام لا تخطىء الصواب أبداً، لأن الذى شرعها هو خالق العقول والأفكار.

أما التقليد فإنما هى تلك التيارات السلوكية التى ينجرف فيها الناس تلقائياً بمجرد باعث المحاكاة والتقليد الأعمى لدى الإنسان.

فشتان ما بين الإسلام والانخداع بالتقاليد غير النابعة من القرآن والسنة[(٦)].

---

(٥)- مجموع الفتاوى ٢٢ / ١٥٤، وله رحمه الله كتاب مستقل فى النهى عن التشبه بالكفار. جمع فيه القواعد والأدلة الموجبة للنهى وعدم محاكاتهم . وسماه: «اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم» فاظفر به، فهو فريد فى بابه... وكتب الحافظ الذهبى «تشبيه الخسيس بأهل الخميس» حذّر فيها من التشبه بالنصارى، ولاسيما فى أعيادهم، وذلك لما رأى عوامّ المسلمين يضارعون الكافرين ويتبعون سنتهم فيها.

وكذلك للشيخ ناصر الغامدى رسالة بعنوان: «لا تشاركوا النصارى فى أعيادهم»، وكتب الشيخ العلامة: «حمود التويجرى» -رحمه الله- رسالة لطيفة بعنوان: (الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثر من مشابهة المشركين).

(٦)- حاضر العالم الإسلامى د / يحيى صالح ١ / ١٥٣ وما بعدها.

محاذير وأخطاء وافدة يجب الحذر منها.

تواجه الأسرة المسلمة محاذير وأخطاء كثيرة فى المجتمعات الغربية علينا أن نتنبه لها، ومن أهم هذه المحاذير:

أولاً: محاولة تجاهل الأسرة كخلية اجتماعية فى الكتلة الشرقية حتى لا تكون فاصلاً بين الفرد والدولة، وحتى لا ينال التعلق بها والارتباط بعواطفها من تعلق الفرد بالجماعة الكبرى وولائه لها.

ولا ريب أن هذا الاتجاه من شأنه أن يزلزل كيان المجتمع نفسه، ولا يحمى وجود الجماعة الكبرى.

ثانياً: خطأ النظرية التى تحاول أن تقول بأن وظيفة الأسرة قاصرة على مجرد إشباع الاحتياجات الجنسية والعاطفية للزوجين، ذلك لأن مهمة الأسرة إنما تستهدف فى الأساس إنشاء وتربية واحتضان النشىء، ورعايته وإيصال القيم والمثل التى تحافظ للمجتمع استمراره وتطوره.

ثالثاً: محاولة جعل استقلال المرأة اقتصاديا من عوامل تغيير علاقتها بالرجل وبالأسرة، بما يصدها عن رعاية الطفل والبيت، والإلقاء بهم إلى الخدم ودور الحضانة، ولابد أن ذلك سيكون له آثاره العميقة فى المعاناة العاطفية لهؤلاء نتيجة نقص الحنان الفطرى الذى لا تقدمه إلا قلوب الأمهات.

رابعاً: خطر تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين الوالدين بما يوقع الأبناء فى حيرة نفسية، ويشتت عواطفهم، ويبدد أمنهم النفسى الذى كانوا يستمدونه من الأب باعتباره المصدر الأساسى للسلطة.

خامساً: قصور الأسرة الجديدة (المتغربة) عن رعاية كبار السن من الأباء والأهل والفقراء والبعداء.

سادساً: صراع الأجيال داخل الأسرة، مما يؤدى إلى اهتزاز القيم والمعايير السلوكية بما يفقدها دورها فى الضبط الاجتماعى، وتوجيه الفكر والسلوك مما

يعرض الأسرة للتفكك والانهيار[٧].

إن من مخططات الأعداء، ومؤامرات الغزو الثقافى والاجتماعى: إسقاط الأسرة وهدمها بالقول بأن القيمة كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والعقائد والآداب والقيم الروحية.

وهذا قول باطل، فإن المجتمع التام لا ينبنى إلا من خلال وحدات الأسر التى تقوم على أساس سليم.

ومن الزوابع التى تثار، والعقبات التى تقف فى طريق الأسرة المسلمة. ما أثاره الغرب من شبهات تعوق نجاح الأسرة المسلمة، وهى كثيرة منها:

١- المساواة بين الرجل والمرأة.

٢- المناداة بالحرية المطلقة، ودعوة تحرير المرأة وهذه بعض البنود التى نصت عليها وثيقة مؤتمر السكان والتنمية الذى عقد فى القاهرة خلال المدة من ٢٩ ربيع الأول - إلى ٨ ربيع الآخر سنة ١٤١٥هـ، وهو حلقة من حلقات متصلة ترمى إلى هدم الحواجز الأخلاقية.

٣- لباس المرأة المسلمة.

٤- عمل المرأة.

٥- الاختلاط.

٦- إباحة الإجهاض وما يلحقه من مسائل، وهو أيضاً من بنود المؤتمر التى أوصى بها.

على أننا سوف نوجز القول فى كل المسائل السابقة، وغرضنا فى عرض هذه المسائل التنبيه والتحذير منها على أنها خُلُقٌ مستورد مستغرب فى المجتمع المسلم، يجب على كل من صلحت سريرته أن ينكره وأن يظهر إنكاره له، وأن ينفر المسلمين منه، وعلى كل مسلم أن يقف الحصرم فى وجوه الداعين إلى هذه

(٧)- مقدمات العلوم والمناهج المجلد السادس (المجتمع الإسلامى) للأستاذ أنور الجندى ص٢٣٥.

الأخلاق المنكرة السيئة التى هى أخلاق دعاة الرذيلة.

على أننا لن نستقصى أحكام هذه الأخـلاق التى عرضناها، فليس هنا مجال استقصـاء الأحكام التفصيلية، وإيراد أقوال الفـقهاء، والإحاطة بكل الأدلة الواردة فى كل مسألة مع طرق الترجيح، والرد على المرجوح، فليس هنا مجال هذا كله، إنما غرضنا هنا التنبيه والتحـذير من خلق المشركين، وأعـداء الله ورسوله، وربما تطرقنا إلى بعض الأحكام الإجمـالية لدواعى البحث وخـلاصة الأحكام.. والله المستعان. وعليه التكلان... ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى الحكيم..

******

١- نظرية المساواة بين الرجل والمرأة

الذين ينادون بالمساواة بين الرجل والمرأة، يزعمون أن الإسلام لم يعط المرأة حقها في الحياة، وأنه لم يكرمها وهذه بدعة مستوردة من الغرب، فتلقفها أولياؤه فنعقوا بها في بلاد المسلمين، وقد طمس على بصيرتهم، وإنما نادى الغرب بالمساواة بين الرجل والمرأة هناك لأن المرأة في هذه البلاد لا تعيش في ظل الإسلام الذي رفع من قيمتها ومكانتها التي كانت مهدرة، وحرم وأدها في مهدها، والاعتداء عليها في مراحل حياتها.

وقبل أن يقرر علماء الطب والبيولوجيا أن بين الرجل والمرأة فروقاً عميقة ليست في الجسد وحده؛ بل في الجهاز العصبي والنفسي لها أثرها في تشكيل عقليتهما ومزاجهما وحياتهما بصفة عامة.

كان الإسلام قد قرَّر ذلك منذ أربعة عشر قرناً، وأن الخطر كله الذي يُهدِّدُ حياة الرجل والمرأة وحياة الأسرة كأكبر ركيزة للمجتمع، وحياة المجتمع كله بالاضطراب والتمزق إنما تكمن في معرفة حقيقة الفوارق بين الجنسين أو إنكارها، وإقامة بناء الفكر والحياة على أساس أنها حقيقة واقعة لها أثرها في التعليم والتربية والعمل والأسرة والزواج.

ولقد كان خطاب التكليف في شريعة الإسلام موجها إلى الرجل والمرأة معاً فقضى على تاريخ طويل من المهانة والاحتقار، والتفرقة في القيم الإنسانية المشتركة، كما قضى على الفوارق فيما يتصل بموقفها أمام القانون وفي الحقوق العامة، وجعل المرأة مساوية للرجل في هذه الشئون.

غير أن الإسلام فرق بين الرجل والمرأة في الأعباء الاقتصادية، والميراث،

والقوامة على الأسرة، والشهادة وحق الطلاق[٨].

وفى مفهوم الإسلام: «أن الرجل والمرأة متكافئان، ولكنهما ليسا متشابهين «ساوى الإسلام بين المرأة والرجل فى الحقوق الإنسانية العامة، وحافظ لكل منهما على اختصاصه الذى يتناسب مع وظيفته ودوره، وجعلهما فى مقام واحد ليس لأحدهما فضل على الآخر فى الجزاء والعقاب».

وأعطى الإسلامُ المرأة كياناً اقتصادياً مستقلاً فصارت تملك وتتصرف بشئونها المالية مباشرة، وبلا وكالة ﴿ **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ (النساء: ٣٢).

ولم يحرم المرأة هذا الحق إلا اذا ثبت أنه يلحق ضرراً بالمجتمع شأنها فى ذلك شأن الصغير والكبير. الذكر والأنثى.

وسوّى الإسلام بينها وبين الرجل فى التصرفات المالية.

ولقد كان الغرب لا يجيز للمرأة إلى عهد قريب أن تتصرف بشىء من أموالها إلا بإذن زوجها. وكان القانون الفرنسى قبل الحرب العالمية الثانية يقضى بعدم أهلية المرأة المتزوجة، وتقييدها فى تصرفاتها بضرورة الحصول على إذن الزوج، والقانون الفرنسى وإن اعترف بأهلية المرأة المتزوجة إلا أنه أبقى للزوج حق الولاية على بعض تصرفاتها المالية[٩].

اختص الله النساء بأحكام كثيرة، معلومة فى القران والسنة، ودونتها كتب الفقه والأحكام، وأفرد لها العلماء المؤلفات قديماً وحديثاً.

---

(٨)- عن الفروق بين الذكر والأنثى انظر: «زاد المعاد» ١ / ١٦٠، وفيه: المواضع الخمسة التى تكون الأنثى على النصف من الذكر، وهى: العتق، والمواريث، والديات، والشهادات، والعقيقة. ويعتقد بعض الناس ان الأنثى على النصف من الذكر فى كل شىء فإذا جاءت مناسبة قالوا للذكر مثل حظ الانثيين- على سبيل المزاح أحياناً، وعلى سبيل الجد أحياناً أخرى، وهذا خطا فلا يقال بالمفاضلة إلا مقيدة بما ذكرنا. وانظر كتابنا: «الفروق الشرعية واللغوية» ط دار ابن عفان مبحث: الفرق بين الذكر والأنثى، ففيه زيادة بسط وإيضاح.

(٩)- مقدمات العلوم والمناهج - المجلد السابع، الحضارة والعلوم ص ٣٥٣ . راجع ص ٣٦١ .

وهذه الأحكام التى اختص الله سبحانه- بها كل واحد من الرجال والنساء تفيد أموراً، منها:

الأمر الأول: الإيمان والتسليم بالفوارق بين الرجال والنساء، الحسية والمعنوية، والشرعية، وليرض كل منهما بما كتب الله له قراراً وشرعاً، وأن الفوارق هي عين العدل، وفيها انتظام حياة المجتمع الإنسانى.

الأمر الثانى: لا يجوز لمسلم ولا مسلمة أن يتمنى ما خص الله به من الفوارق المذكورة، لما فى ذلك من السخط على قدر الله، وعدم الرضا بحكمه وشرعه، وليسأل العبد ربه من فضله، وهذا أدب شرعى يزيل الحسد، ويهذِّبُ النفس المؤمنة، ويروِّضها على الرضا بما قدَّر الله وقضى؛ ولهذا قال الله تعالى:- ناهياً عن ذلك: ﴿**ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وسئلوا الله من فضله. إن الله كان بكل شىء عليما**﴾ (النساء: ٣٢)، وسبب نزولها ما رواه مجاهد قال: قالت أم سلمة: أىْ رسول الله: أيغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث؟ فنزلت: «ولا تتمنوا ما فضل الله» (رواه الطبرى فى التفسير، والإمام أحمد، والحاكم وغيرهم).

الأمر الثالث: اذا كان النهى -بنص القران- عن مجرد التمنى، فكيف بمن ينكر الفوارق الشرعية بين الرجل والمرأة، وينادى بإلغائها، ويطالب بالمساواة، ويدعوا إليها باسم: «المساواة بين الرجل والمرأة»؟ فهذه بلا شك نظرية إلحادية؛ لما فيها من منازعة لإرادة الله الكونية القدرية فى الفوارق الخلقية والمعنوية بينهما، ومنابذة للإسلام فى نصوصه الشرعية القاطعة بالفرق بين الذكر والأنثى فى أحكام كثيرة منصوص عليها فى كتب الفقه والأحكام.

ولو حصلت المساواة فى جميع الأحكام مع الاختلاف فى الخِلقة والكفاية؛ لكان هذا انعكاساً فى الفطرة، ولكان هذا هو عين الظلم للفاضل والمفضول، بل ظلم لحياة المجتمع الإنسانى؛ لما يلحقه من حرمان ثمرة قدرات الفاضل، والإثقال

على المفضول فوق قدرته، وحاشا أن يقع مثقال خردلة من ذلك فى شريعة أحكم الحاكمين، ولهذا كانت المرأة فى ظل هذه الأحكام الغراء مكفولة فى أمومتها، وتدبير منزلها، وتربية الأجيال المقبلة للأمة(١٠).

******

(١٠)- حراسة الفضيلة للشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد ص ٢٠-٢١ وقد أنكر العلمانيون الفروق بين الذكر والأنثى فنادوا بدعوات فاجرة منها: يجب ان يتلقى الجنسان تعليما واحداً وأن يمنحا سلطات واحدة ومسئوليات متشابهة.

ومن المنادين بهذه الدعاوى حسين أحمد أمين غلام الغرب وربيبهم، ونوال السعداوى التى لا تستحى من إعلانها للحرب على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتتغنى بذلك فى كل مناسبة.

ويركز العلمانيون على المقولة التى تلقوها من أوليائهم: «المرأة شريكة الرجل» وهى الدعوة إلى المساواة بينهما، وتسفيه قيام الرجل على المرأة، والسخرية من أحكام الإسلام . فاعرف عدوك واحذره. ولا يخدعنك معسول الكلام.

٢- دعوة تحرير المرأة، والحرية المطلقة

هذه الدعوة الفاجرة المحدثة الوافدة التى أخذها من العرب رفاعة الطهطاوى، وروّج لها الصليبى الحاقد «مرقص فـهمى» فى كتابه: «المرأة فى الشرق» ثم صدم المسلمون بقذيفـة الدوق داركير فى كتابه: «المصريون» والذى نال فـيه من الإسلام والحجاب والسخرية بالمرأة العفيفة.

ثم توالت الأحداث فى تطـوير دعوة التحـرير مروراً بطامة الطامـات «قاسم أمين وكتـابيه: «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» والذى فتن بكتابيـه الأجيال. ونازلى صاحبة صالون الضرار، وعلى تفصيل ذكرناه فى «الفصل الثالث».

ماذا يعنون بحرية المرأة والمساواة.

يعنى أصحاب هذه الدعوة «بحرية المرأة» خروجهـا من بيتها تشيعها النظرات وتهتكها العيون.

ويعنون أيضـاً بالحرية: خلعهـا الحجاب وتركـها للفضـائل والعفة والحـياء. وانغماسها فى الخلاعة والمجون.

ويعنون أيضاً: رفع قيام الرجل عنها، وعدم ولائه عليهـا. ليتاجروا بعرضها دون أن يكون عليها رقيب.

ويعنون أيضـاً بالحرية: أن الإسلام قـد حرمها حـقها فى ممارسـتها الجنسـية وإشبـاع رغباتهـا مع الآخرين فلا تكون أمـاً ولا زوجة ولا مربيـة، إنما يريدونها عاهرة خادنة.

وماذا كانت النتيجة.

فباسم الحرية والمساواة.

أخرجت المرأة من بيتها تزاحم الرجل فى مجالات حياته.

وخلع منها الحجاب وما يتبق من فضائل العفة والحياء والنقاء.

وغموسها بأسفل دركات الخلاعة والمجون؛ لإشباع رغباتهم الجنسية.

ورفعوا عنها يد قيام الرجال عليها؛ لتسويغ التجارة بعرضها دون رقيب عليها.

ورفعوا حواجز منع الاختلاط والخلوة؛ لتحطيم فضائلها على صخرة التحرر، والحرية والمساواة.

وتم القضاء على رسالتها الحياتية، أمًّا وزوجة، ومربية أجيال، وسكناً لراحة الأزواج، الى جعلها سلعة رخيصة مهينة مبتذلة فى كفٍّ كل لاقطٍ من خائنٍ وفاجر[11].

هذه هى نتيجة هذه الدعوة الفاجرة فى العالم الإسلامى.

إن دعوة تحرير المرأة، إنما يعنون بها تحريرها من كل فضيلة حث الإسلام عليها، يريدون هتك حرمة المرأة وعدم صيانتها، وهذه الدعوة محققة لأكبر أهداف اليهودية التلمودية الصهيونية، وهى بروتوكولات حكماء صهيون:

يقول البرتوكول ١٣: «سننشر بين الشعوب أدباً مريضاً قذراً تغثى له النفوس، ويساعد على هدم الأسرة، وتدمير جميع المقومات الأخلاقية للمجتمعات المعادية لنا، وسنستمر فى الترويج لهذا الأدب، وتشجيعه حتى بعد فترة قصيرة من الاعتراف بحكمنا» اهـ.

وإن من بين مضمنات هذه الدعوة: الدعوة إلى الإباحة المطلقة، ومعناها: أن تفعل المرأة ما تشاء، تدخل مع من تشاء وتخرج مع من تشاء.. وتصاحب من تشاء، وتعانق من تشاء، بلا قيود ولا حواجز ولا ضوابط.

وهذه الدعوة هى هدم للأسرة، وتدمير للأخلاق فى المجتمع، ولا ريب أن هدم الأسرة وتدمير أخلاق المجتمع هما هدم للأمة كلها على السواء، وعدم قدرة الدولة الإسلامية على رد التحدى.

---

(١١)- حراسة الفضيلة ص ١٤٧ .

ومن معانى التحـرر عند الدعاة لهذه النظرية: تحرر المرأة من مسـئولية البيت والأطفال، والاستـمتاع بالمظاهر الخلابة فى الملابس، والسـهرات، وعدم إقامـتها للعلاقـة الزوجية اهتمـاماً كبيـراً، وعدم حبهـا واحترامهـا لزوجها كمـا أمر الله ورسوله.

وهذا أيضاً من أهداف اليهود الصهاينة.

******

٢- لباس المرأة المسلمة

أهداف اليهودية التلمودية الصهيونية

إن من أهداف اليهودية التلمودية الصهيونية: اللعب بزى المرأة (المسلمة) للقضاء على العفة والفضيلة، وما من موضة للملابس القصيرة فى كل يوم إلا ووراءها يهودى، وهدفهم من ذلك كله:

١- إزالة الحياء.

٢- انتشار الرذيلة.

٣- إشاعة الاختلاط غير البرىء بين صفوف المجتمع.

٤- محو طهارة الفتاة وعفتها وإبادة ذلك من أذهان المسلمين.

٥- هدم الأسرة (المسلمة) المحافظة على الحياء والعفة.

٦- انتشار الأمراض الجنسية وابتلاء الأطفال الأبرياء وخروج جيل ضائع موبوء مريض.

ودعاة تحرير المرأة والإباحة المطلقة هم دعاة التبرج والسفور.

وإن جمال المرأة ليس فى أناقتها وسفورها وإبداء زينتها لكل من هَبَّ ودبَّ، إنما جمالها يكمن فى عفتها وحفظها لعرضها. إن المرأة التى تعتنى بالملابس الضيقة والقصيرة الفاتنة التى تبرز أعضاء الجسم، والتصنع فى تصفيف الشعر، إنما هى أشبه ما يكون بالجوارى فى سوق النخاسين.

ولا يخفى على كل ذى لب مدى الفساد الذى أصاب المرأة التى تكتفى بهذا الزائف دون أن تُكَوِّنَ عقلها وفكرها، إنها تُذَلُّ لتجلس تحت يد الحلاق ساعتين للشعر، ومثلها للأهداب، والأظفار، إن كل هذا يأكل وقت المرأة وعقلها، إن دور الأزياء تحمل سيفا بتَّاراً، وترفع سبابتها آمرة ناهية، فتصيح بالمرأة: إلبسى هذا، واخلعى ذاك، فلا تزيد المتبرجة على الرضوخ القانع دون أن تفكر لحظة

واحـدة على رفض هذه الأوامر، ومن أبرز الأمـور التى قـضيت بهـا دور الأزياء لبس الكعوب العاليـة، وهى بدعة ظالمة، لم يعد الناس ينكرونها ويلاحظون فـيها من هواية وشر لقـول ما ألفوها والكعب العـالى يقتل الروح ويبذلهـا لأنه يفرض علينا أن ندرس طبيعة أجسامنا دون سبب وجيه.

إن وضع المرأة الحالى لا يعطيـها من الفرص أكثـر من أن تذهب إلى الحلاق وتتغنج، وتحاول الإغراء على كل أسلوب.

وفى دراسة للكاتبة: «نازك الملائكة» تبين فيها الأخطار الاجتـماعية لانصياع المرأة لصانعى الملابس تقول:

إن اغلب معامل الأقمـشة، ومصانع العطور، والمساحيق إنما يمـلكها اليهود فى الغرب، واليهود كما ثبت فى هذا العـصر يسعون إلى أن يسيطروا على العالم ويحكموه بعد القضاء على الحكومات جميعا، وأسلوبهم فى السيطرة ذو شقين:

أولهما: الاستيلاء على المال فى كل بلد ينزلونه، وهذا قد يُحـقق لهم حيثما وجدوا لانهم قوم يقيمـون تعاملهم على ابتزاز الأموال بوسائل غير مستـقيمة مثل الربا.

وثانيهما: هدم الأخلاق والمثل والقـيم والمعتقدات، واليهـود يعلمون حق العلم أنهم اذا هدموا الأخلاق تهدمت الشعوب وانهـارت أمامهم وقد عمل اليهود على السيـطرة على معامل الملابس والمسـاحيق والعطور وسـواها من مسـتلزمات الموضـة، وهم بذلك يتـوصلون إلى تحـقيق الغـرضـين؛ فيـسـيطرون على المال ويفسدون الدين والأخلاق.

ولا ريب أن لعرى المرأة أثرها فى نفسيات المراهقين والشباب وآثارها الخطيرة فى الكيان البشـرى للرجل أيّاً كان، فقد دلت أبحاث الأطبـاء إلى أنه من مصادر الفتنة والضعف التناسلى.

ولذلك فإن ما أطلق عليه (ثورة الزى للمرأة) ليس فى حقيقته إلا تنفيذ فقرة

من مخطط التلمودية العالمية التى تسعى أساساً إلى هدم الفوارق العميقة بين شخصية الرجل وشخصية المرأة بغرض فرض الغلاميات على المرأة فى الزينة كذلك فهى تفرض إنماء شعر الرجل وتزينه على نحو أنثوى. وفى نفس الوقت الذى تتخلص فيه المرأة من شعرها وتلزم جانب الرجولة .

إن هذا الاتجاه الخطير هو مقدمة لكل ما وراءه من فلسفة تحرير المرأة من قيود الأسرة وشرعية الزواج والزى والعرى المكشوف هو مصدر القضاء على حياء المرأة وعلى احتكار المرأة لأجزاءها المكشوفة، بل وتشويقها إلى كشفها للناس، وملاحظة إعجاب الناس بها، بينما هى لا تملك هذه الأجزاء وليس من حقها أن تعرضها على هذا النحو.

ولقد حملت دعوة العرى فلسفة خبيثة تُبررُ بها هدفها، وتستهدف التحليل الكامل من ضوابط المجتمعات، وترقى إلى تقليد المرأة لملابس الرجال، فتلبس مثل زيه، وتتساوى فى تقاليده وتسريحة شعره فتقص شعرها إلى درجة ادنى منه، وتلبس القصير، وتكشف عن فخذيها وتعرى أجزاء من جسدها.

إن ملابس المرأة هى مسئولية الرجل، وأن ملابس الفتاة هى مسئولية الأباء، وعلى الأباء والأمهات حماية أبنائهم من أعاصير السموم الوافدة التى تجتاح المجتمعات الإسلامية ولكن كيف لهذا الجيل من الأباء أن يقدم الهدى، كيف يقدم الهدى من ليس مهتدياً؟!.

ولابد من رعاية الأباء لمن يكون أمره، وحمايته بين ما يقرأون ويسمعون ليفصلوا بين الخير والشر والحلال والحرام.

لابد من توجيه مستنير إزاء هذا الإعصار المدمر من إغراءات الموضات والأزياء، وتسريحات الشعر وأصناف العطور المستعارة والرموش والأظفار الصناعية ولنعلم أن لكل دين خالقاً، وأن خلق الإسلام الحياء، وإننا يجب علينا أن نقف وقفة أمام الأغنية والكلمة الجارحة والمسميات الكذابة المطروحة فى المسرحيات والأفلام ونعلم أن هذا من الدعائم الأساسية لحماية الأسرة والمجتمع

كله وقد أصبح التبرج أمراً هينا فى نظر الناس، وهو عند الله عظيم.

ويحاول بعض أدعياء الغرب وخُدَّام الماسونية الادعاء بالفصل بين الأخلاق والملابس، وهو عمل مضلل من حيث الرابطة القومية العميقة بينهما وأثر أحدهما فى الآخر[١٢]، وهذا ادعاء شيطانى إبليسى، يقلل من شأن الحجاب، ويشيع فى المجتمع الفساد، والزهد فى الحجاب، ومن مقولاتهم الظالمة الفاجرة «أن المرأة ليس عليها جناح فى أن تضع ثيابها متبرجة مادامت عفيفة فربك رب قلوب».

تعريف التبرج والسفور والفرق بينهما.

التبرج من الفعل (برج) قال ابن فارس: «الباء والراء والجيم أصلان، أحدهما: البروز والظهور، والآخر: الوزر والملجأ».

وفى المعجم الكبير: برج الشىء وبروجاً: ظهر وارتفع وقال الزمخشرى فى الأساس: «أمراه زجاء برجاء» قال خالد بن صفوان القناص:

كحلاءُ فى دعج، عيناءُ فى برج نجلاء فى زجج، تسلو وتقلانى.

وتبرَّجت المرأة: أظهرت وجهها. وأبدت محاسن جيدها ووجهها وعينيها، وأظهرت زينتها ومحاسنها وفى القرآن الكريم: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ (الأحزاب:٣٣)، كذا فى المعجم الكبير.

فالتبرج: كشف المرأة وإظهارها شيئاً من بدنها أو زينتها المكتسبة أمام الأجانب عنها، فهو أعم من السفور إذ السفور هو: الوضوح والانكشاف، يقال: أسفر الصبح: أضاء وأشرق، وسفرت الشمس: طلعت، وسفر وجهه حسنا: أشرقه وعلاه جمال. وكشفت المرأة عن وجهها.

ويقال: امرأة سافر، وسافرة، إذا كشفت الغطاء والخمار عن وجهها. وقد خص الله الأسفار بالوجوه دون بقيه البدن فقال سبحانه: ﴿وجوه يومئذ

(١٢)- موسوعة مقدمات العلوم ٩ / ٥٢٦ .

مسفرة ﴾ (عبس: ٣٨) أى مشرقة.

فالسفور معناه: كشف الوجه، وأن المرأة اذا كشفت عن وجهها فهى سافرة، وإذا كشفت عما سوى الوجه من بدنها أو زينتها المكتسبة فهى متبرجة حاسرة خاسرة، وقد يستعمل السفور بدلا من التبرج، والتبرج بدلا من السفور لشيوع اللفظين واستعمالهما معاً.

إلا أن بينهما عموم وخصوص.

ويعبر عن التبرج وعن غيره من مظاهر الفساد بلفظ: العرى، الإباحية: «الزنا»، التهتك، التكشف، الإخلال بناموس الحياة، التحلل الخلقى.

بم يكون التبرج؟

ويكون التبرج بخلع الحجاب، وإظهار المرأة شيئاً من بدنها أمام الرجال الأجانب عنها.

ويكون التبرج بأن تبدى المرأة شيئاً من زينتها المكتسبة مثل ملابسها التى تحت جلبابها -عباءتها.

ويكون التبرج بتثنى المرأة فى مشيتها وتبخترها وترفلها وتكسرها أمام الرجال.

ويكون التبرج بالضرب بالأرجل؛ ليعلم ما تخفى من زينتها، وهو أشد تحريكا للشهوة من النظر إلى الزينة.

ويكون التبرج بالخضوع بالقول والملاينة بالكلام.

ويكون التبرج بالاختلاط بالرجال وملامسة أبداتهن أبدان الرجال بالمصافحة والمزاحمة فى المراكب والممرات الضيقة ونحوها.

والنسوة المتبرجات هُنَّ: «المترجلات» و«المتشبهات» بالرجال أو النساء الكافرات.

والمترجلات يسميهن بعض الأوربيين باسم «الجنس الثالث»[١٣].

وضع قانون لمعاقبة المرأة المتبرجة.

على ولى الأمر أن يقنن القوانين التى يرى فيها مصلحة للمسلمين فى النوازل مستخدما فى ذلك آليات الاجتهاد والأصول والقواعد الفقهية. ما لم يتعارض ما يسنه مع النصوص الشرعية.

ومن المصلحة للمسلمين الواجب على ولى الأمر تنفيذها والقضاء بها. وضع عقوبة للمتبرجات كغرامات مالية وتعزيزية، ومنعهن من الخروج وحضور مجالس العلم مع النساء حتى يحتشمن. وله أن يمنعهن من الحديث مع الرجال فى الطرقات. وأن يفسد ثياب المتبرجة إذا خرجت من بيتها بزينتها المكتسبة.

وقدوته فى ذلك أمير المؤمنين عمر -رضى الله عنه- فقد منع النساء من المشى فى طريق الرجال، والاختلاط بهن فى الطريق.

متأدباً بأدب النبى ﷺ القائل: «لكن حافات الطريق».

فليقتد ولى الأمر بالنبى ﷺ وصحبه. فشريعته خير الشرائع وأكملها.

وإنْ خالف ولى الأمر فى ذلك وترك هذه العقوبات كان معينا لهؤلاء النسوة المتبرجات على المعصية والفجور، وناشراً الفتنة للشباب، والله سائله عن ذلك! فماذا يقول لربه؟.

******

(١٣)- حراسة الفضيلة ص ٩٠-٩١ . وفى الحجاب فضائل عشر أنظرها فى ص ٧٠-٧٣ فهو مهم.

٤- عمل المرأة

إن دعاة الهدم، وأعـداء الإنسانية يريدون دك كيان الأسرة، وتحـويل المجتمع إلى إسطبل عـفن لا يقل عن إسطبل الدجـاج، ويعجب دعـاة التغـريب فى بلاد المسلمين بما تـبثه أبواق الثـقافة الهـابطة فيهللون ويـاركون وهم يخـربون بيوتهم بأيديهم..

دعوة خروج المرأة للعمل.

ومن الدعوات التى لا يُسْتَهان بها والتى استـطاعت أن تنفذ إلى مجتـمعاتنا وتنجح فى عمـلها إلى حد بعـيد «دعوة خـروج المرأة المسلمة إلى العـمل» خارج البـيت بدعوى التـحرر الاقـتصـادى الذى يكسبـها ثقـتهـا بنفسـهـا، وحـريتـها الشخصية.. ولا نريد مناقـشة هذه القول هنا.. إنما الذى نريده؛ أن نبين خطورة ما جَنَاهُ عمل المرأة على الأسرة وعلى الطفولة خاصة.

خرجت المرأة إلى العمل، وأصـبح البيت حديقة مهجـورة، وعلى أشجارها طيور يتيمة محرومـة من الأب والأم.. لأن الأب والأم مشغولان بأهم من مجرَّد حضانة الأطفال..

لقد أصـبحت البـيوت عـبارة عن مـحطة استـراحة للزوجـين، أما الأولاد فعلاقتهم بالآباء علاقة حسن الجـوار، أو علاقة الضيوف الصغار بأهل البيت، أو علاقة المستـأجرين بأصحاب العمارة. وحـرم الأطفال من الرعاية والعناية والحنان بعد أن سُلِّمُوا إلى دور الحضانة لتقوم بتربيتهم.

وقـد أثبتت تجـارب محـاضن الأطفـال أن الطفل الذى يتناوب تربيـته عـدة حاضنات تخـتل شخصـيته وتتـفكك، كما أن الطفل الذى يشـاركه فى حضـانته أطفال آخرون فى مثل سنَّه لا تنمو فى نفسه مشاعر الحب والحنان، والتعاون.

تقول «آنّا فرويد» فى كـتابها: «أطفال بلا أسر»:- «من أول ما أثبـتته تجارب

محاضن الأطفال أن الطفل فى العامين الأولين من عمره يحتاج حاجة نفسية فطرية إلى الاستقلال بوالدٍ له خاصة، والاستقلال بأم لا يشاركه فيها طفل آخر، وبعد هذه السن يحتاج حاجة فطرية إلى الشعور بأن له أماً وأباً مميزين ينسب إليهما.. والأمر الأول متعذر فى المحاضن، والأمر الثانى متعذر فى غير نظام الأسرة، وأى طفل يفقد أحد الوالدين ينشا منحرفاً شاذاً مريضاً مرضاً نفسياً على نحو من الأنحاء» اهـ.

ويقول العالم الجليل د/ عبد الودود شلبى:

«فى مكان ما.. اجتمع أكثر من أربعين فتى وفتاة يرجون الشفاء من أمراضهم النفسية.. ومن بين هؤلاء وقف شاب يتقلَّصُ ويصرخ ويحرك قبضته فى الهواء فى كل اتجاه ويقول: أنا لا شىء.. إننى أخاف من كل شىء.. اكره كل شىء حتى والدتى..»[١٤].

ومن الآثار المترتبة على خروج المرأة إلى العمل: (إرضاع الطفل صناعيا):

لقد أفسد خروج المرأة إلى العمل كل شىء حتى فطرة المرأة نفسها التى أحجمت عن إرضاع طفلها طواعية أو نتيجة تصلب غددها التى تصنع الحليب - بالرغم من التحذيرات الشديدة التى لا تزال توجهها الهيئات الطبية العالمية من انقطاع الأم عن الرضاعة الطبيعية للأطفال؛ لما لحليب الأم من فوائد لا يمكن مقارنتها بالحليب الصناعى- فقد أعلنت الدكتورة «باميلا ديفتر» الباحثة بمعهد أبحاث الطفل بلندن تحذيراً للأمهات من إرضاع أطفالهن لبن الأبقار، وما فى مستواها، وقالت: «إن هذه الألبان تحتوى على نسبة عالية من الدسم الذى يصلح لعجول الماشية وحدها؛ بينما ضرره يلحق بالطفل الرضيع؛ لأنه يؤدى إلى الإفراط فى السمنة، ويفتح الطريق فى جسم الطفل إلى أمراض القلب، وأن الرضيع الذى يعتمد على اللبن الصناعى أكثر تعرضاً للإصابة بإكزيما الجلد أو الربو وأمراض الجهاز التنفسى الأخرى... والأهم أنه يشبُّ أنانياً جافاً غليظ القلب قاسياً قليل

---

(١٤)- مجلة الأزهر، العدد السادس لسنة ١٣٨٧هـ.

التعاطف، يفتقر إلى الارتباط الوجدانى على نطاق واسع»[١٥].

لقد غاب عن أمثال هذه الأم أن عملية إرضاع الطفل ليست عملية تغذية لجسمه فقط، وإنما تغذية للجسم وتغذية للوجدان أيضا؛ لأن الصبى وهو يحتضن ثدى الأم يجد من الشعور بالدفء والاطمئنان والارتياح ما يملأ نفسه بهجة وانبساطاً لا يملؤها بهما تدفق اللبن وحده إلى معدته..[١٦].

إن لبن الأم يحمى الطفل من أمراض الإسهال والكحة ونزلات البرد وأمراض الحساسية والأمراض المعدية، وأمراض سوء التغذية، وغيرها من الأمراض الشائعة.

إن الرضاعة بدون عناية قد تسبب حدوث بعض الأمراض الخطيرة التى تؤدى إلى الوفاة.

إن البدائل المختلفة للبن الأم مثل اللبن البقرى والجاموسى، وألبان الأطفال وغيرها من الأطعمة الخاصة بالأطفال لا تعطى الطفل أى مناعة ضد الأسهال والكحة ونزلات البرد وغيرها من الأمراض[١٧].

مشكلات المرأة العاملة.

تواجه المرأة العاملة بعض المشكلات النفسية بعد أن طرقت ميدان العمل، لاسيما فى البلدان التى أصبح فيها عمل المرأة من الأمور الأساسية، حيث تتعرض المرأة لسوء التوافق نتيجة لعوامل من أظهرها:

- أن يترتب على عملها خارج المنزل حرمانها من أداء رسالتها الطبيعية ووظيفتها الأساسية وهى الأمومة.
- وان تتولد فى نفسها صراعات بين مغريات الحياة العامة خارج المنزل وبين حنينها إلى الاستقرار وبناء بيت تكون فيه الزوجة والأم، وتؤدى رسالتها المقدسة

(١٥)- مجلة منار الإسلام، العدد (٣) لسنة ١٣٩٨هـ.

(١٦)- مجلة الأمة عدد جمادى الأولى ١٤٠٥هـ ص ٧٢.

(١٧)- انظر: دليل الوالدين إلى تنشئة الطفل د/ محمد عماد الدين إسماعيل ص ٩٠..

فى إعداد الأجيال الصالحة، والتى لا تقل شرفاً عن النضال فى ميادين العمل المختلفة، بل ربما كانت مهمتها أشد خطراً وأكثر حساسية، فالأم معهد التربية الذى يتربى فيه الأبناء، وصدق الشاعر إذ يقول:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

العمل والأمومة

والمقرر والمعروف أن المرأة لا يكتمل نموها الجسمى والنفسى إلا بالأمومة، ولقد أكدت الأبحاث أن المرأة العاملة أبعد عن الاتزان الانفعالى من الرجال، وكل تلك سمات تؤثر فى مناخ المنزل؛ ذلك لأن الاختيار بين البيت وبين العمل مشكلة انفعالية حادة تشغل المركز من قلوب كثير من النساء، فتسبب لهن حيرة دائمة وصراعاً نفسيا متواصلاً.

إنه الاختيار بين بيت وأطفال، مع التضحية ببعض معالم الحياة التى تتوق إليها المرأة، وقد لا تكون المرأة شاعرة طوال الوقت شعوراً واضحاً بما يُولِّدُه هذا الموقف فى نفسها من صراع، لكنه صراع يكون له فى الواقع أثر عميق فى شخصيتها.

- **ومن المشكلات التى تنتج عن عمل المرأة:**

إن الواقع الجديد للمرأة الذى بدا فى انتقالها من مجرد حارسة للبيت إلى أن تصبح منافساً قوياً للرجال فى ميادين العمل المختلفة كانت له آثار انعكست على وظيفة المرأة فى البيت والمجتمع.

فقد ينتج عن عمل المرأة خارج المنزل بعض المشكلات التى ينعكس أثرها على المناخ الأسرى، إذ ربما لا يجد الأطفال لديها الوقت أو سعة الصدر الكافيين لتوجيههم وإرشادهم، نظراً لما تعانيه فى وسائل المواصلات وإرهاق العمل، وربما مضايقات بعض ذوى النفوس الضعيفة والمريضة، ومن ثم يشعر الأبناء بجفاف الحنان، وخاصة أن تأثير الأم على الأبناء أكثر من الأب؛ لأنها أول كائن يتفاعل

معه الطفل.

فالأم حجر الزاوية بالنسبة لتكوين العلاقات الإنسانية بين الطفل والمجتمع من حوله.

وقد تواجه الأم العاملة مشكلات فى تربية الأبناء مع الخدم أو فى دور الحضانة، وربما أدت ظروفها إلى تقصيرها فى حق الزوج وأداء الواجب الديني.. (١٨).

تقول «إليس كيسلرى هارى» فى كتابها: «تاريخ خروج المرأة للعمل فى الولايات المتحدة الأمريكية»: - «إن ما تحقق للمرأة من مساواة بالرجل فى مجال العمل قد أعطاها قدراً زائداً من الحرية والاعتماد على النفس.

نتج عن ذلك مشكلات جديدة أساسها انفصال المرأة عن الكيان الأسرى، وظهور حواجز بين الرجل والمرأة داخل هذا الكيان، كما نشأ عنه تفكك العلاقات الأسرية... ولأن هذا كله خارج عن طبيعة المرأة فإنه قد أوقعها فى معاناة نفسية شديدة وإرهاق عصبى.. وكان الثمن الذى دفعته المرأة العاملة مقابل ما توهمت أنه أهم حقوقها: انتشار الأمراض النفسية والعصبية بين النساء فى القرن العشرين، وإقبالهن على تعاطى المهدئات حتى يستطعن تحمل تلك الضغوط...

إن النداءات التى صدرت فى المدة الأخيرة فى الداخل والخارج عن منظمات نسائية وهيئات تشريعية ورجالات دولة وفكر فى مختلف الاختصاصات تدعو المرأة إلى العودة إلى المنزل؛ لأن الأسرة فقدت بخروجها عنصراً لا يُعوَّضُ وركناً لا يَقُومُ بدونه بنيان العائلة.

ولا غرابة أن نقول إن عدد حالات الطلاق أكثرها ينشأ من الخلافات الزوجية بسبب إرهاق المرأة العاملة فى عملها وعدم قيامها فى بيتها بواجباتها الأسرية،

---

(١٨)- مجلة الأمة عدد شوال ٤ - ١٤هـ . ص ٣٤ .

وتقديم الحقوق الزوجية.

إن المطالبة بنصف الوقت ونصف الأجر بالنسبة للمرأة العاملة هو شعور جاد بهذه المشكلة، لأجل ذلك يجدر بأهل الذكر فى هذا الميدان أن يعالجوا هذه القضية بالجدية والواقعية المطلوبتين؛ حتى تجنب الأسرة المسلمة الهزَّات والتحديات. ولعل تخصص المرأة فى بعض المجالات كالتعليم والطب والتمريض والإرشاد من شأنه أن يخفف من حدة الأزمة.

استوقفتنى كثيراً كلمات «توموكا ايكاوا» زوجة السفير اليابانى فى باريس والتى جاءت ضمن حديث لها مع مجلة (المجلة) الصادرة فى ٢١/ ١١/ ١٩٨١م . . . تقول زوجة السفير: «المرأة اليابانية تعمل قبل الزواج. أما بعد زواجها فهى إمَّا أن تترك عملها مباشرة، وإمَّا أن تتابعه حتى يصبح لديها أولاد، حينها تلزم المرأة منزلها، خاصة وأنه يترتب عليها القيام بجميع متطلبات العائلة: تربية الأولاد، المطبخ، تنظيف البيت، وسوى ذلك من الأمور... وإن من أسباب قوة اليابان حاليا، هو عناية الأم بالأولاد».

وتقول السيدة الأستاذة زينب الغزالى:- «ليس واجب المرأة بناء المصانع، ولكن بناء الرجال الذين يبنون المصانع».

مواقع متعددة للمرأة المسلمة

إن حضانة الأم لطفلها عمل ضخم بعيد المدى فى تكوين الطفل لا يمكن أن يساويه أى عمل آخر تقوم به المرأة أو يعوضه أى بديل آخر كالحاضنات أو الخادمات.

إن الأمومة هى مهمة المرأة الأساسية فى الإسلام: رسالتها بالنسبة لزوجها وبيتها وطفلها، وإن هذه المهمة الدقيقة الخطيرة تتطلب تفرغ المرأة تفرغاً تاماً لها. وقد سجل القرآن الكريم هذه المهمة فى وضوح: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١).

حكم خروج المرأة إلى العمل.

على أننا فيما سبق لا نقول بعدم جواز خروج المرأة من بيتها لقضاء حاجاتها، فالسنة على نقيض ذلك.

ولكن لا تكون خرَّاجة ولاَّجة، ولقد شاركت المرأة فى حياة النبى ﷺ فى المجالات التى تصلح لها المشاركة فيها بما يتلاءم مع طبيعة تكوينها.

عملت الصحابيات فى الغزو مع النبى ﷺ فكن يحملن الماء إلى المجاهدين ويقمن بخدمتهن، ويضمدن الجرحى، ويقمن على المرضى.

روى البخارى عن الربيع بنت معوذ قالت: «كنا نغزو مع النبى ﷺ فنسقى القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة» (رواه البخارى فى الجهاد)، باب رد النساء القتلى والجرحى.

وعن أم عطية الأنصارية قالت:- «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات اخلفهم فى رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى» (رواه مسلم فى الجهاد) باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم وانظر الباب الذى قبله: (غزوة النساء مع الرجال).

ولقد شاركت أيضا فى العمل المهنى وذلك بما لا يتعارض مع مسئوليتها الأسرية. فعملت فى الزراعة، وقطعت ثمار النخل، ورعت الغنم -روى مسلم عن جابر بن عبد الله- رضى الله عنهما قال: «طُلِّقَتْ خالتى فأرادت أن تجُدَّ نخلها (وهى فى عدتها) فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبى ﷺ فقال: «بلى فجُدِّى نخلك فإنك عسى أن تَصَدَّقِى أو تفعلى معروفاً».

ومن دواعى المشاركة واللقاء خروج المرأة للعمل المهنى بقصد معاونة زوجها الفقير او لكسب مال تبذله فى وجوه الخير أو لأداء بعض فروض الكفاية المتعينة على النساء فى مجتمعنا المعاصر، مثل تعليم نساء المؤمنين وبناتهم وتطبيبهن،

فكثيراً ما يقتضى أداء هذه الفروض قدراً من التعامل مع الرجال سواء كانوا من أولياء أمور البنات أو من أزواج النساء وأقربائهن. وأياً كان القصد من العمل المهنى فينبغى ألا يكون هناك افتئات على حق الزوج والأولاد، فرعاية المرأة لبيتها هى مسئوليتها الأساسية[١٩]، إن الرجال هم حاملوا الأعباء الثقال فى قافلة الحياة السائرة، سواء كانوا أساتذة أو ساسة، أو أجراء أو باعة فهم يعودون إلى بيوتهم فقراء إلى المشاعر الدافئة والعون المبذول..

والبيت الذى تكون قاعدته امرأة تنفح هذه المعانى، بيت رفيع القدر، بل هو يحتوى على أثمن الكنوز، والتقاليد الغربية هزت كيان الأسرة، وهى تقاليد تجتاح العالم، أما التقاليد الإسلامية فالعارفون بها قلة، ونشرها يلقى مقاومة عنيدة خصوصاً من جهلة المتدينين.

من أجل ذلك رأيت لفت النظر إلى أن وظيفة ربة البيت من أشرف الوظائف.

وقد تخرج من بيتها وراء أعمال مشروعة، بيد أن هذه الأعمال مهما سمت لا يجوز أن تجور على عملها الأول الذى لا يشاركها فيه أحد[٢٠].

على أن هناك ميادين للأعمال لابد أن يكثر فيها النساء، أولها الميدان الطبى، فيجب أن تكون هناك طبيبات ماهرات فى كل ناحية من نواحى الطب والأشعة، والصيدلة، والولادة والتمريض..

ثم ميدان التدريس لجميع المراحل دنياها وعلياها..

ولا يجوز أن يُصد باب من أبواب المعرفة أمام النساء إلا أن يكون لأسباب فنية أو مواصفات خاصة. عندئذ يتطبق التخصيص على الرجال والنساء جميعا،

---

(١٩)- تحرير المرأة فى عصر الرسالة/ عبد الحليم محمد أبو شقة ٢ / ٥٤ .

(٢٠)- مائة سؤال عن الإسلام للشيخ محمد الغزالى -رحمه الله- ص ٤٤٣ .

فيوجه كل أحد إلى ما يناسب قدرته وخبرته[٢١].

أعمال لا يجيزها الإسلام للمرأة.

أما أن تخرج المرأة متعطرة متبرجة وبيتها فى أشد الحاجة إليها، فتهمل أبناءها وتضيع حقوق زوجها، وتهجر بيتها ليعشش فيه الهم والنكد، خرَّاجة إلى الشارع دون حاجة أو ضرورة للعمل ولا يحتاج إليها المجتمع السليم المسلم فهذا مالا يرضاه الإسلام.. وتأباه شريعة الله..

لا يجيز الإسلام للمرأة أن تعمل سكرتيرة خاصة لمدير إحدى المؤسسات أو الشركات أو الجهات.

فتختلى به ويختلى بها حتما، بحجة ظروف العمل وملابساته. وتتجمل لمديرها أشد وأكثر مما تتجمل لزوجها.

● وكذلك مما لا يجيزه الإسلام خدمة المرأة فى الطائرات وتنقلها وسفرها وترحالها فى المشارق والمغارب يسمونها مضيفة، وهى فى حقيقة الأمر (خادمة) يسمونها بغير اسمها.

إننى أمر أحياناً ببعض المحلات فاقرأ هذا الإعلان (مطلوب فتاة جميلة للعمل)، (مطلوب سكرتيرة على قدر من الجمال)، الخ.. هذه الإعلانات الهزلية، فتثير حفيظتى وتهز كيانى، وأتعجب من دعاة التحرير كيف ألقوا بالمرأة فى مجال الذل والعار بعد أن أنقذها الله من براثن الجاهلية.

إنها أعمال لا معنى لها إلا أن يكون ابتذال للمرأة وردة لها إلى عصر الجاهلية الأولى.

إن عمل المرأة فى أى موقع يتلاءم مع طبيعتها لابد أن يكون مضبوطا بآداب الشرع وحدوده..

---

(٢١)- المرجع السابق ص ٤٤٤ .

فإذا خرجت المرأة مخالفة لآداب الشرع، متعدية حدود الله، فهنا نرفع أصواتنا ونقول لها امكثى فى بيتك واتقى الله، وننادى ولى أمرها، فهو مسئول عنها أمام الله، يسأله عن رعيته التى استرعاه الله عليها ونصرخ أيضا لولى أمر المسلمين ليسن قانوناً ينص فيه على عقوبة زاجرة حينما تخالف الشرع، وتنشر الفتنة، فإن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن.

نعود فنقول:

إن مهمة المرأة فى بيتها صعبة وشاقة، فمن الصعب أن تكون المرأة ربة بيت متقنة، وصاحبة منصب متجة.

إن عمل المرأة فى الأسرة يصدر كل أعمالها الأخرى ويحكمها.

إننى مازلت أُردِّدُ كلمة السيدة المجاهدة الأستاذة «زينب الغزالى»:

«ليس واجب المرأة بناء المصانع، ولكن بناء الرجال الذين يبنون المصانع»..

شروط عمل المرأة

الأصل فى الإسلام أن تظل المرأة متفرغة لشئون بيتها وزوجها وأطفالها، ولكن قد تصيبها حالات تضطر فيها إلى الخروج للعمل ومن هذه الحالات:

١- إصابة العائل بمرض مزمن يمنعه من العمل.

٢- أو فقدانه فتصير المرأة هى العائل الوحيد لأولادها اليتامى.

٣- قيام الزوج بعمل لا يستطيع من عائده أن يسد حاجتهم الضرورية التى يستغنى عنها.

ففى مثل هذه الحالات يجوز للمرأة أن تعمل خارج بيتها على أن تراعى الشروط التالية عند خروجها:

١- أن تستر جسدها -كله- فى حضرة الرجال الأجانب، وتبتعد عن كل لون من ألوان الفتنة فى الملبس أو الزينة، أو التعطر: فلا ترتدى الملابس الشفافة،

ولا الضيقة التى تلفت الأنظار إليها، ذلك أن العمل ليس ميداناً من ميادين إبراز المفاتن، وعرض الأزياء.

فلا تجعل اجمل ثيابها للعرض فى الشوارع ومجالات العمل، كما لو كانت أنموذجاً متنقلاً لعرض الأزياء.

ومن العجيب أن هذه المتبرجة ترجع إلى بيتها فتنخلع من الجمال البراق، والملابس الشفافة إلى القبح ليراها زوجها أقبح ما تكون..

٢- أن تلتزم بالأخلاق الإسلامية، فتكون جادة فى حديثها وتتجنب أن تسترعى انتباه المارة بضحكاتها الثقيلة وحركاتها الرعناء. وقد أوصى الله اطهر نساء العالم، زوجات النبى ﷺ بقوله:- ﴿**فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً**﴾ (الاحزاب: ٣٢).

٣- أن يوافق والدها، أو من يقوم مقامه عند حاجتها للعمل، وإذا كانت متزوجة فيشترط موافقة زوجها؛ إذ موافقته واجب ديانة وقضاء، وموافقة الوالدين، ومن يقوم مقامهما واجب ديانة.

٤- أن يكون عملها الذى تقوم به سالماً من الاختلاط، والخلوة بالرجال الأجانب، ذلك لان الاختلاط أو الخلوة داء وبيل ينتج عنه ما ينتج من أثار سيئة - وسيأتى ذكرها بعد -وقد نهى النبى ﷺ عن الخلوة وذلك فى قوله ﷺ:- «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم»[٢٢]، وفى رواية: «ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما»[٢٣]، وينبغى على المرأة العاملة أن لا تقحم نفسها فى الحديث مع الأجانب، وأن تتجنب رفيقات السوء.

٥- أن يكون عملها منسجما مع طبيعتها وقدراتها: كالتعليم للبنات، والتمريض بأنواعه للنساء، والولادة، والخياطة للنساء... وأن لا تكلف بعمل لا

(٢٢)- رواه البخارى (٥٢٣٣)، ومسلم (١٣٤١).

(٢٣)- رواه الطبرانى عن أبى إمامة.

طاعة لها به؛ لأن طبيعة الرجل تختلف عن طبيعة المرأة وتتباين قدرتها عن قدرته بصورة عامة. وهذا الاختلاف فى الطبيعة والقدرة يحتم أن تختلف المرأة عن الرجل فى التخصص بالعمل.

******

٥- الاختـلاط

يعد مـوضوع الاختـلاط من أخطر الموضوعـات، وأكثرها إثـارة للجدل فى عصرنا الحاضر.

فالناس فيه صنفان:

صنف عرف الحق، وثارت حميـته وعرضه فنادى بمنعه، وعمل قـدر جهده على أن لا يعرض محارمه له.

وصنف ماتت عندهم الغيرة، وقتل الإيمان فى قلوبهم، فتشبهوا بقوم شاعت فيـهم الدياثة فنادوا به وأدخلوه فى المجـتمع الإسـلامى وهم المتأثرون بالتـيارات الوافدة يرددون خلق الغرب فى صحفهم ومجلاتهم ومؤلفاتهم..

مفهوم الاختلاط.

قال ابن منظور: «خلط الشىء بالشىء يخلطه خلطاً وخلطه فاختلط. والخلْط بسكون اللام ما خالط الشىء، وجـمعه: أخلاط، وخليط: أى أوباش مجـتمعون مختلطون».

وفى المعجم الوسيط: «خلط فى أمره - أفسد فـيه واختلط عقلـه أى فسد، ويقال: أخلاط من الناس أى مجتمعون مختلطون».

والخلط - المختلط بالناس الذى يتملقهم ويـتحبب إليهم، ويكون للذى يلقى نساءه ومتاعه بين الناس.

مما سبق من هذه المعانى اللغوية تبين لنا أن كلمة «الاختلاط» لها معانى كثيرة أبرزها الفساد والتملق والعشرة والشركة.

والمقصود منـها فى عـصـرنا الحاضـر: تواجد الـرجال والنساء فـى الأماكن العامـة. كدور العلم ومكاتب العمل، والمواصـلات العامة، والمرافق الحكومـية،

والزيارات العائلية، والمناسبات الاجتماعية، والأفراح.

وقد ذهب دعاة الاختلاط إلى أكثر من ذلك فقالوا بضرورة اختلاط النساء مع الرجال في المتنزهات وحفلات السمر.

نشأته وتطوره.

الاختلاط بين الرجال الأجانب والنساء تقليد مستحدث انحدر إلينا من بلاد الكفر والفجور، وروَّج له دعاة الانحلال والإباحية، وأخذ يظهر ويتطور، حتى جاءت ثورة (١٩١٩)م في مصر، وجرفت بطوفانها الناس رجالاً ونساءً شيبا وشبانا.

في هذه الظروف العصيبة سقطت الكلفة، وتسامح بعض الناس في التصون والعفة، فوقفت المرأة إلى جانب الرجل، والفتاة إلى الفتى، وكانت بادئ الأمر صورة مستنكرة، فألفها الناس تباعاً وبذلك تحققت دعوة أنصار الاختلاط، ثم ظلت تأخذ في الازدياد جمعت دور التعليم العالي بين البنين والبنات.

ومن يومها شاركت المرأة في القضايا الوطنية والميادين الاجتماعية، وأخرجوها من خدرها، وعرَّضوها للنظرات الفاتكة، إلى أن صار الحال كما ترى. من مناداة لإسقاط الحجاب، وخلعه، ونشر التبرج، والسفور، والعرى، والرذيلة، والخلاعة، والاختلاط، حتى يقول لسان حال هذه المرأة: «هيْتَ لكم أيها الإباحيون» وقد تلطف أعداء الإسلام في المكيدة للإسلام وأهله، فبدءوا بوضع لبنة الاختلاط بين الجنسين في رياض الأطفال، وبرامج الأطفال في وسائل الإعلام، وركن التعارف بين الأطفال، وتقديم طاقات وليس باقات - الزهور من الجنسين في الاحتفالات، وهكذا يُخترقُ الحجاب، ويُؤسَّسُ الاختلاط، بمثل هذه البدايات التي يستسهلها كثير من الناس!!.

وكثير من الناس تغيب عنهم مقاصد البدايات، كما تغيب عنهم معرفة

مصادرها، كما فى تجدد «الأزياء» -الموضة- الفاضحة، الهابطة، فإنها من لدن: «البغايا» اللاتى خسرن أعراضهن، فأخذن بعرض أنفسهن بأزياء متجددة، هى غاية فى العُرى والسفالة، وقد شُحنت بها الأسواق، وتبارى النساء فى السبق إلى شرائها، ولو علموا مصدرها المتعفن؛ لتباعد عنها الذين فيهم بقية من الحياء[٢٤].

وإذا كان الاختلاط بين الجنسين فى رياض الأطفال مرفوضا؛ لأنه ليس من عمل المسلمين على مدى تاريخهم الطويل فى تعليم أولادهم فى الكتاتيب وغيرها؛ ولأنه ذريعة إلى الاختلاط فيما فوقها من مراحل التعليم -فالدعوة إلى الاختلاط فى الاختلاط فى الصفوف الأولى من الدراسة الابتدائية مرفوضة من باب أولى، فاحذروا أن تخدعوا أيها المسلمون!![٢٥].

وقد أوجب الإسلام على أولياء الأمور أن يفرِّقوا بين أولادهم فى المضاجع، وعدم اختلاطهم ذكوراً وإناثاً أو ذكوراً أو إناثاً، لغرس العفة والاحتشام فى نفوسهم، وخوفاً من غوائل الشهوة التى تؤدِّى إليها هذه البداية فى الاختلاط، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

وإذا كان هذا الاختلاط داخل البيت بإشراف الأب منهى عنه فى الشرع الحنيف، فكيف به خارج البيوت مع غياب رقابة الوالدين؟!

وأول شرارة قدحت للاختلاط بين الجنسين على أرض الإسلام من خلال مدارس التبشير والتنصير التى تقام فى أرض الإسلام لتعليم أبناء المسلمين، ويزج فيها الأطفال ويتعلمون فيها التعليم الأجنبى الذى يجعله فى معزل عن لغته ودينه، فاقد لهويته، ساخط على قيم وآداب دينه، وهذا هدف من أهداف التغريب والاستعمار، فهم إن كانوا قد عجزوا عن غزونا عسكريا فقد اتجهوا لغزونا أخلاقياً وفكرياً.

(٢٤)- حراسة الفضيلة ص ٩ .

(٢٥)- السابق ص ٨٧ .

وهكذا من تربى على أيدى غير المسلمين، كان حاله جهل بلسان العرب، وجهل بالقرآن، وجهل بالسنة، ومن كانت حاله كذلك، أتى بالعجب العجاب، هذا مع ما يحيط بهذا الصنف من غزو، واستعلاء وقد صفَّق لهذا الصنف أعداء الإسلام وروَّجوا مقالاتهم ونصبوا لهم منابر الإعلام، ولقبوهم بالمفكرين الكبار، مما يقطع الفؤاد، ويبخع النفس ويملؤها ■ وحزناً وأسفاً.

بدايات الاختلاط.

وكان من نادى به بعد عودته من فرنسا: «رفاعة الطهطاوى» ثم تتابعت الدعوة إلى الاختلاط على يد عدد من المفتونين بخلق الغرب، ومن الكفرة النصارى، منهم:

الصليبى النصرانى الحاقد: «مرقس فهمى» وذلك فى كتابه: «المرأة فى الشرق» الذى دعا فيه إلى قتل الفضيلة، ونشر الرذيلة ومنها: إباحة الاختلاط.

وكان المغبون فى حظه: «مضلل الجيل»: أحمد لطفى السيد الذى قاد الأمة إلى الهلاك، وتجرأً على الله فى حرماته، أول من ادخل الفتيات المصريات فى الجامعات مختلطات بالطلاب، سافرات الوجوه، لأول مرة فى تاريخ مصر الإسلامية، يناصره فى هذا الأعمى «عميد التغريب»: طه حسين.

وتولَّى كِبْرَ هذه الدعوة القبيحة: داعية الفجور: «قاسم أمين» فى كتابيه: «تحرير المرأة»، و«المرأة الجديدة» وقد حكم بعض العلماء بردته.

فى سلسلة يطول سردها مروراً بأفعال هدى شعراوى، التى كانت أول مسلمة تلقى الحجاب وموقف سعد زغلول المخزى، وزوجته صفية، فى قصة تمتلئ النفوس منها حسرةً وأسى.

ونشرت الصور الفاضحة، ونشرت الحوارات التى يشترك فيها الرجل والمرأة، «وفى عام ١٩٣٢م ظهرت فى الصحف صورة للدكتور طه حسين، وكان عميد كلية الآداب فى حفلة جامعية ضمت الطلبة والطالبات كل منهم

يجلس بجوار الآخر، ثم ظهر كتاب «مستقبل الثقافة فى مصر» وفيه أيد طه حسين التعليم المختلط»[٢٦].

وهاج الناس لهذه الصورة، واستنكروا ما فعله عميد التغريب، ومضلل الجيل، وسار الشباب فى مظاهرة إلى قصر الأمير (محمد على) يطالبون بفصل الشابات عن الشباب فى الجامعة المصرية كما كان الحال قبل الاختلاط.

وقد قام الأستاذ الإمام «حسن البنا» -رحمه الله- بالرد على عميد التغريب، وكان مما قاله: - «وهل من الدعوة الإسلامية يا دكتور أن تخلط بين الفتيان والفتيات هذا الخلط فى كلية الآداب، فتحذو حذوها غيرها من الكليات، وتبوء أنت بإثم ذلك كله، وتريد للفتيات فى صراحة هذا الاختلاط، وتحثهنّ عليه، ولا تقل أن هذا من عمل غيرك، فيداك أوكتا، وفوك نفخ، وما تحمس لهذا، ودعا إليه، وحمل لواءه، واستخدم نفوذه فى تحقيقه أحدكما فعلت ذلك أنت، ولعلك تعتبر هذا من مآثرك ومفاخرك، ولكنى أخالفك يا دكتور، وأصارحك بأن هذا الاختلاط ليس من الإسلام وقد رأينا -وسترى- ما كان وما سيكون له من آثار» اهـ.

ويرحم الله الإمام حسن البنا، فقد رأينا ما كان للاختلاط من آثار على الدين والحياء والعفة والشباب والشابات...

شبهات دعاة الاختلاط، والرد عليها.

افتتن الكثيرون بالغرب وحضارته، ولأسباب عديدة استطاع اتباع النفوذ الاستعمارى فى العالم الإسلامى تحقيق مجموعة من الأهداف الخطيرة ترمى إلى هدم الأسرة، وتدمير المجتمع، ودفع المرأة إلى أن تكون أداة للأهواء والرغبات، وتحطيم القيم الأخلاقية، والاجتماعية، والنفسية فى شأن العلاقة بين الرجل

---

(٢٦)- تطور النهضة النسائية فى مصر للدرية شفيق ص ٧٢ . وفيه تصف المؤمنين بالرجعية والتخلف، وأن استنكارهم للاختلاط وهجومهم على ما فعله عميد التغريب فضيحة من الفضائح يجب ان تحول دونها الحكومة .

والمرأة، وبين الأجيال المتابعة وبين الشباب والفتيات.

ويمكن حصر الدعاوى التى أثارها دعاة الاختلاط فى النقاط الآتية:-

أولاً: ضرورة اختلاط الفتيان والفتيات فى معاهد التعليم، وحق المرأة فى أن تتعلم العلوم العالية.

ثانياً: ضرورة مشاركة المرأة الرجل فى ميادين العمل، وأن تعمل المرأة بأعمال الرجل فى كل ميادين النشاط الاجتماعى والسياسى والاقتصادى(٢٧).

ومن أجل أن يتأثر المجتمع بما ذكروه من دعاوى قاموا بتأويل الآيات المحكمة بما يتفق مع أهوائهم، وجعلوا من المتشابهات أساساً يعتمدون عليه، وتجاهلوا السنة العملية التى وردت الأخبار الصحيحة بها، فرددوا أن آيات القرآن الكريم التى وردت فى نساء النبى ﷺ إنما هى خاصة بهن دون غيرهم من نساء المسلمين:- ﴿ **فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه من ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. وما يعلم تأويله إلا الله** ﴾ (ال عمران:٧)، ولم تستطع الصحافة الإسلامية أن تقف فى وجه هذا التيار الجارف بل لم تستطع أن تقلل من حدَّته وانتشاره فى المجتمع، فكان ومازال دور الصحافة الإسلامية قاصراً على التنبيه والتحذير خصوصاً وأن دعاة الاختلاط يمتلكون كافة الوسائل المباشرة بمساعدة أعداء الإسلام فى الداخل والخارج مما يساعد على تحقيق أغراضهم(٢٨)، وقد تولى العلماء والدعاة الرد على هذه الشبه المنبعثة من أولئك النفر الذين أشرب فى قلوبهم حب الفتنة، ويحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا..

(٢٧)- هذا خلاصة ما يتردد فى الصحف والمجلات والكتب التى تتناول موضوع الاختلاط.

أولاً الصحف: الأهرام-الأخبار الجمهورية...

ثانياً: المجلات: المصور - الهلال - آخر ساعة - الكواكب - حريتى - نصف الدنيا - روز اليوسف...

ثالثاً: الكتب: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة لرافع راية الفتنة وداعية الفساد قاسم أمين، ومستقبل الثقافة فى مصر لطه حسين - واليوم والغد - لسلامة موسى - وكتب مشاهير الكتاب كإحسان عبد القدوس، ويوسف إدريس، ونجيب محفوظ، وذكى نجيب محمود.... الخ...

(٢٨)- حاضر العلم الإسلامى د/ يحى صالح ص ٥١ .

إنهم يدّعون أن القرآن والسنة لا يمنعـان الاختلاط بين الفتيان والـفتيات فى دور التعليم، ويقولون: إن الاختلاط العلمى يكون فى جملته وأغلبه بريئان، وأنه يعاون على إطفاء جذوة الشهوة، والتطلع إلى المرأة لغرض غير شريف(٢٩).

ولقـد كان للأزهر الـشريف وعلمـائه فـضل الرد على دعـاة الفتنة والأمـة تستـضىء فى حيـاتها بدين قـامت لديه الأدلة القاطـعة على أنه وحى سـماوى، وتحريم الـدين لاختلاط الجنسـين على النحـو الذى يقع فى الجامـعات والمدارس معروف لدى عـامة المسلمين، وأدلة المنع واردة فى الكتاب والسـنة وسيرة السلف الذين عرفوا لباب هذا الدين، وكانوا على بصيرة من حكمته السامية. ولا يمارى فى ذلك إلا من كان فى قلبه مرض، أو على بصره غشاوة.

وقد دلت التجربة على أن اختلاط البنين بالبنات فى التعليم رغم ما يتذرع به من تعليلات نظرية تُؤدى إلى حالة من الفوضى والفساد.

والحقـيقة فإن الاخـتلاط هو الـسبب الحـقيقى لكل هذه النكبـات التى تحدث للمرأة فى عصرنا الحاضر.

فها نحن نرى الفضيلة تذبح جـهاراً وبلا حياء فى الشوارع والملاهى والأندية الرياضية والاجتماعية ومدارس الرقص وفى الجامعات وغيرها من دور العلم. وما تنقله الصحف ووسائل الإعلام عن جـرائم الاغتصاب ومعاكسة الفـتيات وغيرها من المشكلات الناجمة عن الاختلاط.

فبـربك قل لى يا من تدافع عن الاخـتلاط، أى حياة تلك التـى نحياها وأى معيـشة تلك التى نعيـشها.! وهل تلك الحيـاة المستقرة التى نسـتطيع فى ظلها أن نربى نشأً صالحاً وجيلاً متـيناً؟! فإن لم يكن هناك علاج حاسم وتقويم صارم عمّ

(٢٩)- ومن الكتب التى تطفح بأفكار وشـبهات دعـاة الاختلاط وتـرددها دون وعى كتاب: (الاخـتلاط فى الدين والتاريخ والاجتمـاع) للدكتور أحمد شوقى الفنجـرى - نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٨٧م. وهذا الكتاب فيه ترديد لأفكار دعاة الاختلاط، وكثـير من الشبهات التى تدل على عدم فهم المؤلف للنصوص الإسلامية..

البلاء واستعصى الداء، ومهما حاول المصلحون بعد ذلك من علاج فليسوا بمفلحين، ولا شفاء لهذا الداء، داء الفوضى الخُلقية الناشئة عن التبرج والاختلاط إلا فى طب السماء، ولا دواء له إلا من صيدلية الدين، ولا تقتل جراثيم هذا المرض العضال إلا مطهرات الوحى، ولسنا نقصد من هذا العلاج أن نكون جامدين، نريد أن تكون المرأة فى البيت متاعاً لا يجوز إخراجه، وإنما نقصد أن تكون النساء كأمهات المسلمين السابقات درسن العلوم، وتحملن أمانة القوامة والوصاية والتربية.

والذى أراه أن الإصلاح يسود بالدعاية الحكيمة، أما الباطل فإنما يسور بوجاهة أشياعه وقوة سلطانهم، وإذا تغلب الباطل بالدعاية الماكرة فلأن أنصار الحق كانوا غارقين فى نوم ثقيل، ولا يرفع الباطل صوته إلا فى غياب الدعاة المصلحين..[٣٠].

وإزاء هذا التطور الخطير الذى جنحت إليه قضية المرأة وما كان يبذل من جهود للقضاء الكامل على كل مظهر من مظاهر إسلامها وشرقيتها، وما ظهر من أعراض ذلك فى اختلاط الطلبة بالطالبات بعدان كانت للطالبات مقاعد خاصة بهم. رفع بعض طلبة الكليات التماساً إلى مديريها وعمدائها يطلبون فيه إدخال التعليم الدينى فى الجامعة، كما يطلبون الفصل بين الطلبة والطالبات[٣١].

وغالباً ما يردد أنصار الاختلاط هذا السؤال؟:

«أنتم تريدون أن تسجنوا المرأة وتذلوها وتسلبوا استقلالها وتجردوها من كل عمل تكسب به قوتها، وتحتل به مكانة تحت الشمس؟».

هم يريدون بمثل هذه الكلمات الجوفاء أن يستدرجوا النساء إلى الحياة الإباحية خصوصاً ونحن نرى اليوم مدى التدهور الأخلاقى والأدبى الذى وصلت

---

(٣٠)- انظر حاضر العالم الإسلامى مرجع سابق ص ٥٨ .

(٣١)- الاتجاهات الوطنية د / محمد محمد حسين ٢ / ٢٦١ .

إليه المرأة نتيجة الاختلاط.

فهل يعقل أن يكون قصر المرأة على مملكتها البيتية سجن لها، فهذا تهويل وطمس لمعالم الحقائق، لأنه إذا كان يفهم أن اشتغال الإنسان بما خلق له سجن له فكلنا إذاً مسجونون أما استقلال المرأة فلا يعني فى علم الاجتماع شيئاً غير الشذوذ عن الروابط الاجتماعية، فان المرأة خلقت لتكون زوجة، والزوجية تفرض على كلا الزوجين التزامات متبادلة، ولكن لما كان القصصيون الذين لا شغل لهم إلا فى الكلام عن الحب والمحاولات الغرامية والخيانات الزوجية فهم يلوحون بهذا الاستقلال للمرأة ليسوّغوا لها الخروج على التزامات الزوجية، بل وعلى النظم الطبيعية نفسها، فإذا أتيح لها الخروج والتبرج والاختلاط بالرجال فإن هذا يعنى انتشار الفساد والخراب فى المجتمع بطريق غير مباشر خصوصاً ونحن نرى بأعيننا المخازى الناتجة عن الاختلاط.

فهؤلاء الذين يدافعون عن الاختلاط لا يعنيهم قوت المرأة بقدر ما يعنيهم أن يجدوا بطلات لأقاصيصهم الهابطة من الماثلات المميلات(٣٢).

إن ما نراه من اختلاط فى المتنزهات والكباريهات والحفلات والنزول إلى الميادين التى تخص الرجال بحجة أن ذلك من مقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة فهذا أمر خطير، ذلك لأن إخراج المرأة من بيتها الذى هو مملكتها إخراج لها مما تقتضيه فطرتها وطبيعتها التى جبلها الله عليها، فالرجل يقوم بالنفقة والاكتساب، والمرأة تقوم بتربية الأولاد والعطف والحنان والرضاعة والحضانة والأعمال التى تناسبها لتعليم الصغار وإدارة مدارسهم، والتطبيب والتمريض، ونحوه من الأعمال الخاصة بالنساء، وقد سبق معنا تفصيل ذلك فى عمل المرأة.

ومن البديهى أنها إذا نزلت إلى ميدان الرجال فلابد أن تكلمهم وأن يكلموها، ولابد أن ترقق لهم الكلام وأن يرققوا لها الكلام، والشيطان من وراء

---

(٣٢)- حاضر العالم الإسلامى، مرجع سبق ذكره ص ٦١ .

ذلك يزين ويحسن ويدعوا إلى الفاحشة حتى يقعوا فريسة له، وقد قال الله لأطهر الخلق بعد الأنبياء وهم الصحابة الكرام، إذا أرادوا أن يخاطبوا اطهر النساء وهن زوجات النبى ﷺ أمهات المؤمنين اللاتى لا تتطرق إليهم الريبة، ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾ (الأحزاب: ٥٢).

فالظروف والأجواء التى تدعوا إلى الاختلاط بين الجنسين فى حياتنا المعاصرة وما نلاحظه من الأمزجة وسوء التربية وانتشار المخدرات توجب على المجتمعات الإسلامية المعاصرة أن يضعوا حداً لعمل المرأة الخارجى، ويدعونها للدخول فى خدرها استجابة للفطرة الإنسانية الكريمة بدلاً من أن تقع فى هذه الفخاخ الشيطانية.

وما نقراه فى الصحف عن الحوادث الناجمة عن الاختلاط من تمرد الزوجات على أزواجهن، والخيانات الزوجية، وحوادث الاغتصاب، إنما هى نتيجة طبيعية لعدم الاستجابة لحدود الله التى حدها المبدع الحكيم للخلق ﴿ **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** ﴾ (الطلاق: ١).

... ومن مزاعم دعاة الاختلاط -أيضا- أن الأخطاء التى نشاهدها من أثار الاختلاط سوف تزول كما زالت فى الغرب.

والحقيقة فإن الأخطاء لم تزل فى الغرب، ولكن حياء الغربيين والغربيات هو الذى زال، أما نحن المسلمين فخلق ديننا الحياء، والحياء لا يأتى إلا بخير.

حقا، فقد أساءت المرأة إلى نفسها وأساء إليها الذين ظاهروها ممن يزعمون أنهم أنصارها، فقد كانت فى الماضى ريحانة تشم، فأصبحت مشكلة تتطلب حلاً، وكانت عرضاً يُصَانُ، وأمانة تحفظ، فأصبحت حملاً ثقيلاً يضيق به الأب والأخ، ويتحتم معه على المرأة أن تعمل لتعيش بعد أن كانت تجد من يكفلها ويكفيها حاجتها كما قال تعالى: ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ (النساء: ٣٤).

نتائج الاختلاط وأضراره.

إن قضية الاختلاط من القضايا الخطيرة التى يعانى منها المجتمع، وما زال يجنى الآثار الضارة لهذه القضية التى غرس بذورها مرضى القلوب فى القرن الماضى متأثرين بالدعوات الهدامة من الغرب، ولاريب أن هذه القضية مزّقت شباب الأمة ثقافة شباب الأمة ثقافةً، وأخلاقاً واتجاهاً ومعتقداً. وبالنظرة فى المجتمع المعاصرة يمكن أن نحدد نتائج الاختلاط السيئة، وذلك استقراءً للأحداث ومن النتائج السيئة الناجمة عن الاختلاط ما يأتى.

أولاً: انحلال أخلاق الأمة وتقويض بنائها وضياع أخلاقها.

حيث هجرت النساء بيوتهن، وأقبلوا على الأعمال الخارجية، فكثر الأخدان والخدينات، وشاعت العزوبة بين الشباب، وأصبح التبرج المخالف للذوق السليم عادة مألوفة، واستهتر الناس فى ذلك حتى أصبحوا يرون أن بروز النساء نصف عاريات ضرب من ضروب التقدم والحضارة والأناقة، ووجه من وجوه الظُّرْفِ، وحتى صار مما يروقهم أن تصور لهم الجرائد اليومية التى يقرءونها صور الخليعات المتهتكات فيصرفوا فى التأمل فيها وقتا ثميناً، ويتأمل فيها الأبناء والبنات مما يؤثرو فى آدابهم تأثيراً شنيعاً.

والمشاهدة والوقائع تدل فى وضوح وعلانية أن أشد الأمور خطراً على الأسرة والبيت أولاً، وعلى الجماعة ثانيا هو الاختلاط، فالاختلاط مفسدة للأمم ومضيعة للآداب وشرف البوتات.

فكان مما كان من أزمات أخلاقية عندما عُرِضت الفتاة فى الطرقات والأسواق كما تُعرضُ السلع للتجارة ظناً من أهلها وذويها أن ذلك يرغب الشبان فيها؛ مع أن هذا لا يزيدها عندهم إلا حقارة وازدراءً، ولا يزدادون به إلا نفوراً وإباءاً.

يقول الدكتور/ محمد محمد حسين.

«إن طلاق الأمر فى تجاور الرجل والمرأة واختلاطهما لايخلوا من أحد أمرين:

فهو إما أن يؤدى إلى إثارة الشهوة بين الجنسين وزيادة حدَّتِها، أو يؤدى إلى إضعافها وكسر حدَّتِهَا، فإذا كان الاختلاط مؤديا إلى تجاذب الذكر والأنثى على ماركب فى طبيعة كل منهما، ولم تكن هناك حدود لهذا الاختلاط أو نظام مرسوم تحول الأمر إلى فوضى لا ضابط لها، وعند ذلك يشيع الأذى بين الناس بشيوع الأمراض التى قدر الله سبحانه وتعالى أن يضرب بها الذين يقارفون الفاحشة من الزناة. ويفسد المجتمع ويضطرب نظامه، ويتمزق شمل جماعته ويموج بعض الناس فى بعض بتكاثر الأحقاد والضغائن بين الآباء الذين أوذوا فى بناتهم، والأزواج الذين أوذوا فى نسائهم، والأولاد الذين أوذوا فى أمهاتهم، وبين المتنازعين والمتنازعات، والمتنافسين والمتنافسات على العشيق الواحد والعشيقة الواحدة، وذلك كله مما لا خير فيه، ومما لا تسعى إليه جماعة من الناس تنشد الوحدة والطمأنينة والسلام، وتتجنب السبل التى تظن أنها لا تؤدى إليها»[٣٣].

﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، بل اتيناهم بذكرهن فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ (المؤمنون: ٧١).

ثانيا: ضعف الأمة لانهيار البناء الاقتصادى فى المجتمع.

حيث يتعرض الشباب إلى ما يدفعه للاختلاط من إقامة للعلاقات، فمن أجل لفت الأنظار إليه فلابد وأن يظهر بأفخم أنواع الثياب، ولابد وأن يشاهد الأفلام السينمائية التى لا تذكى فى النفوس عواطف الحب الشهوانى فحسب، بل تلقنهم دروساً عملية فى بابه، ولابد أن يكثر من التدخين، يقلد بذلك نجوم الانحلالية والفسق الذين يشاهدهم على شاشات السينما، فالاختلاط سبب من

---

(٣٣)- حصوننا مهددة من داخلها د/ محمد محمد حسين ص ٧٠ .

أسباب ضياع الثروات بما يستنزفه من أموال للمظاهر، والتكلف ينذر بإفلاس وضياع لثروات الأسرة والمجتمع(٣٤).

أحكام الاختلاط

كلمة الاختلاط شاملة للكثير من أنواع الاختلاط، كالاختلاط فى الطرق، ووسائل المواصلات، والمتاجر والأسواق، وغيرها من الأماكن التى يحيط بها ألوان كثيرة من الاختلاط، ولا يمكن التحرز منه وتدعوا إليها الحاجة العصرية اليومية. وكذلك كالاختلاط فى الحج عند الطواف والسعى والرمى والوقوف بعرفة، وكما يحصل بين القاضى والشهود، والمدعى عليه، إذا كان بعضهم من الرجال والبعض الأخر من النساء، ولا نستطيع حصر حالات الاختلاط التى تعم بين الناس فى أعمالهم اليومية.

والاختلاط بمعناه السابق الأصل فيه المشروعية، وفاءً بحاجات الناس التى لا مندوحة لهم عنها، إلا أن بعض صوره ينتج عنها أضرارٌ ومفاسد فيمنع لأجلها، هذا إذا لم تقم ضرورة تتطلبه، فإذا تطلبته ضرورة أو حاجة ولم يكن تلبية هذه الضرورة أو الحاجة إلا بالاختلاط، أُذِن به فى حدودها، تقديماً للأهم على المهم، للقواعد الفقهية الكلية التالية: (الضرورات تبيح المحظورات)، و(الضرورات تقدر بقدرها)، و(الحاجة تنزل منزلة الضرورة) و(الضرر الأشد يدفع بالضرر الأخف).

الفرق بين الأختلاط والخلوة

وهناك فرق بين الاختلاط المباح بشروطه، والخلوة المحرمة، فإن الاختلاط كما تقدم، الأصل فيه الإباحة، ولا يمنع منه إلا لمحظور غالب، تيسيراً على الناس فى أعمالهم، أما الخلوة فهى وجود رجل مع امرأة أجنبية عنه فى مكان واحد من غير أن يكون مع المرأة زوج أو محرم، والأصل فيه التحريم إلا لضرورة أو حاجة غالبة فى حدودها، دفعاً للفتنة.

---

(٣٤)- تنظر «حاضر العالم الإسلامى» وقد استفدتُ منه فى هذا البحث .

الأختلاط المباح

فالاختلاط: هو اجتماع الرجال والنساء فى مكان واحد، الأصل فيه الإباحة بالشروط التالية:

١- أن يكون مع الحجاب الكامل للمرأة وستر العورة للرجل لقوله تعالى: **﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهم من جلابيبهن ﴾** (الأحزاب: ٥٩).

٢- ألا تكون المرأة متطيبة أو متزينة بزينة تعلم من وراء حجابها، لقوله تعالى: **﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ﴾** (النور: ٣٠)، ولقوله ﷺ: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهى زانية» (رواه الترمذى والنسائى وأبو داود وأحمد).

٣- ألا يحصل فى الاختلاط ملامسة الرجل للمرأة الأجنبية عنه كالمصافحة مثلا: لأن النبى ﷺ لم تمس يده يد امرأة أجنبية، ولقوله تعالى: **﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ﴾** (النور: ٣١)، وخاطب النساء بمثل ما خاطب به الرجال فقال: **﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾** (النور: ٣١)، لأن النظر اذا كان ممنوعاً فالملامسة من باب أولى، وهذا محل إتفاق الفقهاء.

٤- ألا يكون هناك خضوع فى القول من الرجال والنساء، وإثارة للشهوات، وتحريك للساكن، فلا يكون الكلام بين الرجال والنساء إلا فى الحد الذى تتطلبه وتقتضيه المصلحة. قال الله سبحانه لأطهر النساء، وأذكاهن: **﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ﴾** (الأحزاب: ٣٢).

٥- ألا يكون الاختلاط بين الرجال والنساء والنظر من الرجال إلى النساء، ومن النساء إلى الرجال إلا لمصلحة أو ضرورة قال سبحانه: **﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك اذكى لهم ﴾** وقال:- **﴿ وقل للمؤمنات**

يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ (النور: ٣٠ و٣١).

٦- أن يقدر وقت الاختلاط بالضرورة، فمتى انقضت المصلحة الغالبة، أو الضرورة التى من أجلها أبيح الاختلاط حرم الاختلاط، وانتقل من حكم الحل الذى هو حكم الضرورة، إلى حكم الخطر والمنع، إذ (الضرورة تقدر بقدرها)، فإن كان الاختلاط لغير ضرورة أو مصلحة غالبة، منع وحظر وذلك لما يترتب على الاختلاط من مفاسد ينبغى أن يتزه عنها المجتمع الإسلامى، لقوله ﷺ:- «كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه...»[٣٥].

٧- ألا يترتب على الاختلاط والنظر مفسدة غالبة على ما فيه من المصلحة.

٨ - ألا يكون هناك خلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية عنه فى مكان واحد بعيداً عن أنظار الآخرين لقوله ﷺ:- «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان» (رواه الترمذى)، إلا اذا كانت هناك ضرورة تقتضى الخلوة، كالطبيب فى غرفة العمليات الضرورية مثلا، اذا تعذر حضور آخر معه.

فمتى تحققت هذه الشروط وتوافرت كلها فى الاختلاط بين النساء والرجال جاز، وإلا منع منه.

أما الاختلاط فى المتنزهات والكباريهات والملاهى الليلية، والحفلات فهذا أمر خطير يوشك أن يودى بالمجتمع كله، وهو نذير شؤم على الأمة بأسرها إذا لم يأخذوا على يد الظالمين، ويكفينا حديث خرق السفينة وما فيه من دلائل وعبر.

فعن النعمان بن بشير -رضى الله عنهما- عن النبى ﷺ قال:- «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قومٍ استهموا على سفينة، فأصاب بعضُهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم فقالوا: لو إنا خرقنا فى نصيبنا خرْقاً، ولم نؤذِ مَنْ فوقنا، فإن يتركوهم

---

(٣٥)- رواه البخارى (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير -رضى الله عنهما.

وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونَجَّوْا جميعاً» (رواه البخاري/ ٢٤٩٣) وعنده أيضاً بلفظ: «مثل المُدْهِنِ (أى المضيع لحقوق الله والمتهاون فيها، أو المرائى المنافق أو الساكت عن النهى عن المنكر) فى حدود الله والواقع فيها، مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم فى أسفلها وصار بعضهم فى أعلاها، فكان الذى فى أسفلها يمرون بالماء على الذين فى أعلاها، فتأذوا به، فأخذ فأساً، فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: مالك؟ قال: تأذيتم بى، ولابد لى من الماء، فإن أخذوا على يديه، أنجوه ونَجَّوْا أنفسهم، وإن تركوه، أهلكوه وأهلكوا أنفسهم» (والحديث له روايات عديدة عند الترمذى «٢٣٢٨»، وفى مسند أحمد «١٨٨٦٧» و«١٨٩٠٨» ومسند الحميدى «٩٦٠»).

وعن النواس بن سمعان -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال:- «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى كنفى (جنبتى) الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرضاة، وعلى الصراط داع يدعو يقول: يا أيها الناس اسلكوا الصراط جميعاً ولا تَعْوَجُّوا، وداعٍ يدعو على الصراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال:- ويلك لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه (أى تدخله)، فالصراط: الإسلام، والستور: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، والداعى الذى على رأس الصراط: كتاب الله، والداعى من فوقه: واعظُ يُذَكِّرُ فى قلب كل مسلم» (رواه الإمام أحمد فى المسند، والحاكم فى المستدرك ١/ ٧٣ وقال صحيح على شرط مسلم، قاله المحدث الألبانى فى تخريج المشكاة ١/ ٦٧ ووافقه الذهبى وهو كما قالا)

ونعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن..

******

٦- إباحة الإجهاض

معنى الإجهاض

الإجهاض لغة: جاء في اللسان: «مادة جهض»: أجهضت الناقة إجهاضاً، وهى مجهض، ألقت ولدها لغير تمام، ويقال للولد مجهض اذا لم يستبين خلْقه، وقيل الجهيض السقط الذى قد تم خَلْقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش.

وقال الفيروز ابادى فى «القاموس» الجهيض والمجهوض الولد السقط، او ما تم خلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش.

وقال الفيومى فى «المصباح المنير» أجهضت الناقة والمرأة ولدها أسقطته ناقص الخلقة، فهو جهيض ومجهضة بالهاء وقد تحذف.

وفى المعجم الوسيط: أجهضت الحامل: ألقت ولدها لغير تمام، ويقال أجهضَتْ جنيناً. . .

والإجهاض: خروج الجنين من الرحم قبل الشهر الرابع. . «والجِهْض: الولد السقط، والمجهاض: التى من عادتها الإجهاض. . .»

وفى اصطلاح الفقهاء: جرت عباراتهم على استعمال كلمة إجهاض، على إسقاط المرأة جنينها قبل أن يستكمل مدة الحمل، ميتاً أو حياً، دون أن يعيش، وقد استبان بعض خلقه بفعل منها، كاستعمال دواء، أو غيره، أو بفعل من غيرها[٣٦].

وعرفه ابن عابدين بأنه: «إنزال الجنين قبل أن يستكمل مدة الحمل»[٣٧] وقد عبر الفقهاء عن الإجهاض بألفاظ عدة تؤدى نفس المعنى منها: الإنزال،

---

(٣٦)- أنظر: «البحر الرائق لابن نجيم الحنفى ٨ / ٣٨٩، وحاشية البيجرمى ٢ / ٢٥٠ .

(٣٧)- رسائل ابن عابدين (٢ / ٤١١) .

والإملاص، والإسقاط، والإلقاء، الإخراج، الإستجهاض[٣٨].

الإجهاض فى عرف الأطباء.

١ - **عرفه بعض الأطباء بأنه:** «انتهاء الحمل قبل حيوية الجنين، وتقدر حيويته بثمانية وعشرين أسبوعاً، وهى تساوى سبعة أشهر، يكون الجنين فيها مكتمل الأعضاء، وله القدرة على الحياة»[٣٩].

٢ - **وعرفه د / محمد البار بأنه:** «خروج محتويات الرحم قبل عشرين أسبوعاً «ويعتبر نزول محتويات الرحم فى الفترة ما بين (٢٠-٣٨) أسبوعاً ولادة قبل الحمل»[٤٠].

٣ - **وعرفه علماء الطب الشرعى بأنه:** «طرد مكونات رحم الحامل فى أى وقت قبل نهاية تسعة أشهر[٤١]، وتعريف الدكتور البار يعتبر مبدأ حيوية الجنين من الأسبوع العشرين للحمل، أما التعريف الأول فهو يقترب مما ذهب إليه الفقهاء من اعتبارهم أقل مدة يكون الجنين فيها قادراً على الحياة إذا ولد هى ستة أشهر، وهى تعادل ستة وعشرين أسبوعاً تقريباً.

دوافع الإجهاض.

هناك دوافع للإجهاض كثيرة، وبواعث عديدة، ومن هذه الدوافع:

١ - التخلص من حمل سفاح (زنا) لتستر على جريمتها، وتتخلص مما قد يسبب لها العار.

٢ - وقد يكون الدافع للإجهاض التخلص من حمل من نكاح صحيح، بقصد سلامة الأم الحامل، لدفع خطر عنها من بقاء الحمل فيها.

---

(٣٨)- راجع: رد المحتار (٥ / ٢٦٧)، والاختيار للموصلى الحنفى (٤ / ١٦٨)، وجواهر الإكليل للآبى (٢ / ٢٦٦) ونهاية المحتاج للرملى (٨ / ٤٤٢) ومغنى المحتاج (٤ / ١٠٣)، والمغنى لابن قدامة (٧ / ٧٩٥)، والمحلى لابن حزم (١٢ / ٣٧٨)، والفروع لابن مفلح (٦ / ١٣).

(٣٩)- قضية تحديد النسل لأم كلثوم الخطيب ص ١٤٩ .

(٤٠) - مشكلة الإجهاض، د/ محمد البار ص١٠.

(٤١)- قضية تحديد النسل لأم كلثوم الخطيب. ص١٤٩.

٣- أو أن يعقب الحمل إذا استمر عاهة ظاهرة فى جسم الأم.

٤- أو أن يكون الدافع للإجهاض: المحافظة على الطفل الرضيع، بأن ينقطع لبن الحامل وهى مرضع بعد ظهور الحمل، وليس لأبى الصبى الرضيع ما يستأجر به المرضع، ويخاف هلاك الرضيع.

٥- وقد يكون الإجهاض للتخلص من أمراض، وصفات، وطباع وراثية أثبتتها وسائل العلم الحديث، بأنها تنتقل من المصاب إلى سلالته، ومن الأصول إلى الفروع فالأحفاد، وليس لهذه الأمراض علاج يذهب بها.

٦- ومن الدوافع أيضا: إسقاط الجنين بدون عذر و بدوافع الرغبة للمحافظة على رشاقة الأم ومظهرها.

٧- الإجهاض من أجل المعيشة، وضيقه ذات اليد، وقلة الموارد، ويدخل فيها أيضا - تحديد النسل من أجل هذا الدافع..

٨- ومن الدوافع للإجهاض أيضا، الرغبة فى عدم الإنجاب.

ولكى تتحقق هذه الدوافع، وتؤخذ بعين الاعتبار فى ميزان الشرع الحكيم، فلابد من أن تتوفر العناصر التالية:

١- أن تكون أسباب الضرورة قائمة لا متوقعة.

٢- أن تكون النتائج المترتبة على هذه الأسباب والدوافع القائمة نتائج يقينية، لا وهمية ولا تخمينية.

٣- أن تكون المصلحة المستفادة من إباحة المحظور - الإجهاض- بسبب هذه الضرورة، والدوافع أعظم أهمية فى ميزان الشرع من المصلحة المستفادة من تجنب المحظور، وإهمال أسبابه ودوافعه[٤٢].

فإذا ما توفرت هذه العناصر فى دوافع الإجهاض، فلابدً حينئذٍ من النظر فى مدة الحمل، هل هى قبل مدة نفخ الروح فى الحمل؟ أم بعد نفخ الروح فيه.

---

(٤٢) - تحديد النسل د/ البوطى ص ٨٧-٨٨ .

متى تنفخ الروح فى الجنين؟

وقبل أن تذكر حكم الإجهاض قبل نفخ الروح فى الحمل، وبعد نفخ الروح فيه، والفرق بينهما، نذكر هنا أقوال الأئمة فى وقت نفخ الروح فى الجنين، ثم نذكر ما ترجح عندنا مؤيدين إياه بالدليل الصحيح، يجب أن نفرق بين الحياة الجرثومية أو النباتية فى المادة المنوية -والتى شك فى وجودها- وبين نفخ الروح، فلا تعتبر النطفة ذات حياة محترمة، ما لم ينغلق عليها عنق الرحم، ثم تبدأ بالتطور، حيث إن هذه الحياة التى تتمثل بالحيونات المنوية التى تفيض بها النطفة لا عبرة شرعاً بتلك الحياة فيها، وإلا لكان على الشريعة أن تولى هذه الحرمة ذاتها لسائر الحيونات الجرثومية التى تفوز بها المائعات المختلفة.

ويمر الجنين فى الرحم بأطوار تَخَلُّقٍ كما قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر . فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون: ١٢- ١٤).

وكما جاء فى السنة الشريفة: عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً، فيؤمر بأربع: برزقه، وأجله، وعمله، وشقى، أوسعيد ثم ينفخ فيه الروح»[٤٣].

قال ابن رجب -رحمه الله- «فهذا الحديث يدل على أنه يتقلب فى مائة وعشرين يوماً، فى ثلاثة أطوار، فى كل أربعين منها يكون فى طور، فيكون فى الأربعين الأولى نطفة، ثم فى الأربعين الثانية علقة، ثم فى الأربعين الثالثة

---

(٤٣) - رواه البخارى (٦٥٩٤)، ورواه مسلم بنحو منه (٢٦٤٣) . وأحمد ١ / ٣٨٢ و ٤٣٠، والترمذى (٢١٣٧)، وأبو داود (٤٧٠٨) وابن ماجة (٦٧).

مضغة، ثم بعد المائة والعشرين يوماً ينفخ الملك فيه الروح، ويكتب له هذه الأربع كلمات»

وقال: «واختلفت ألفاظ روايات هذا الحديث فى ترتيب الكتابة والنفخ، ففى رواية البخارى فى صحيحه».

«ويبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، ثم ينفخ فيه الروح» ففى هذه الرواية تصريح بتأخر نفخ الروح عن الكتابة، وفى رواية خرّجها البيهقى فى كتاب القدر «ثم يُبعث الملكُ، فينفخ فيه الروح، ثم يؤمر بأربع كلمات»، وهذه الرواية تصرّح بتقدم النفخ على الكتابة، فإما أن يكون هذا من تصرُّف الرواة برواياتهم بالمعنى الذى يفهمونه، وإما أن يكون المراد ترتيب الإخبار فقط، لا ترتيب ما أخبر به»اهـ.

وخرّج الإمام مسلم فى صحيحه عن حذيفة بن أسيد، يبلغ به النبى ﷺ قال: «يدخل الملك على النطفة -بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين، أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: يا رب، أشقى أو سعيد؟ فيُكتبان» فيقول: أى رب، أذكر أم أنثى؟ فيكتبان، ويُكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف، فلا يزاد فيها ولا يُنقص»(٤٤).

وفى مسلم أيضا عنه -رضى الله عنه- قال: «سمعت رسول الله ﷺ بأذُنى هاتين»، يقول: «إن النطفة تقع فى الرحم أربعين ليلة يتصوَّر عليها الملك».

فظاهر حديث حذيفة بن أسيد -رضى الله عنه- يبين أن النفخ يكون بعد الأربعين الأولى أى فى حوالى منتصف الشهر الثانى، تقريبا، ومما لا شك فيه، أن جمهور الفقهاء يأخذون بحديث ابن مسعود -رضى الله عنه- الذى يبدو ظاهره أن نفخ الروح إنما يكون بعد الأربعين الثالثة، وقد شاع هذا الأمر وانتشر، حتى أصبح عند كثير من العلماء حقيقة لاشك فيها، وعقيدة غير قابلة للنقاش، لان هذا الحديث أشهر، وقد روته مصادر أكثر.

---

(٤٤) - صحيح مسلم (٢)، (٢٦٤٤).

التوفيق بين النصوص.

ولما كان هناك تعارض بين حديث ابن مسعود والذى رواه البخارى ومسلم، وحديث حذيفة بن أسيد والذى رواه مسلم وأحمد، فقد قام بعض العلماء على التوفيق بين هذه الأحاديث، فقال: إن الأصح حمل الحديث الأول على بقية الأحاديث، لأن الحديث الأول ليس تصريح بأربعة أشهر، أو بأن مرحلة النطفة تكون أربعين يوماً وحدها، بل إن قوله: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً».

يفهم منه أن كل الخلق من نطفة إلى علقة إلى مضغة يتم فى الأربعين ولذلك لم ترد كلمة (نطفة) بعد هذه الجملة فى أية رواية صحيحة أو حسنة، أما قوله: «ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك» فليس صريحا فى أن المقصود المدة وهى أربعين يوماً، بل يحتمل غيره، كأن نقول مثلاً: إن العلقة والمضغة مثل النطفة فى كون الجنين لا روح فيه، وكونه لم يكتب قدره، يشير إلى ذلك قوله بعد ذلك: «ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات . . ».

ومما يؤكد أن المقصود فى قوله (مثل ذلك) ليس الوقت -رواية مسلم لحديث ابن مسعود نفسه؛ فلاشك أن قوله: (فى ذلك) أى فى ذلك الوقت، وهو الأربعون الأولى لاغير، فينبغى تفسير قوله: (مثل ذلك) تفسيراً آخر غير الوقت.

فيصبح معناه؛ ثم يكون فى ذلك الوقت مثل ذلك الجمع فهناك شبه بين العلقة والمضغة، وبين الجمع الأول وهو النطفة، قد يكون عدم وجود الروح أو عدم كتابة قدره.

فهذا القول الذى ذكرناه يذهب إلى أن نفخ الروح يكون فى الأربعين الأولى لاغير[٤٥] والله أعلم.

---

(٤٥) - متى تنفخ الروح فى الجنين للأستاذ الدكتور شرف القضاة ص ٤٥-وانظر مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد الرابع والأربعون-ص ١٨٥ .

الذى أرجحه من ذلك.

والذى أذهب إليه وأرجحه قول الجمهور، القائل بأن نفخ الروح يكون بعد الأربعين الثالثة أى بعد مائة وعشرين يوماً، من علوق الجنين فى الرحم. وذلك لان حديث ابن مسعود -رواية البخارى- أشهر، ولفظه يحتمل ذلك، ورووته أكثر المصادر وهكذا فهمه الأئمة الأجلاء السابقون، وذهب إلى هذا القول أئمة المذاهب الفقهية، وتداولوه فى كتبهم المعتبرة، وقولى بقول الجمهور ليس تهيبا من كثرتهم، إنما لأنه -والله أعلم- هو الحق والصواب، والذى يحتمله صريح الحديث.

وعلى هذا فقد اختلف الفقهاء فى حكم الإجهاض قبل نفخ الروح فى الجنين. أما بعد نفخ الروح فى الجنين فهذا اتفاق بالإجماع أنه لا يجوز إسقاطه إلا لضرورة قصوى. وهذا ما سنبينه بعد -إن شاء الله.

حكم الإجهاض قبل نفخ الروح فى الجنين

ذكرنا فيما سبق الدوافع التى تؤدى إلى الإجهاض فمنها الضرورى، ومنها غير الضرورى، ثم بينا الشروط التى يجب توافرها فى هذه الدوافع بأن تكون يقينية لا وهمية، وقائمة لا متوقعة، الخ. . . - فإذا توفرت هذه الشروط لتحقيق ضرورة الإجهاض ينظر فى مدة الحمل، هل هى قبل نفخ الروح أم بعده؟

ولعلماء المذاهب فى حكم الإجهاض قبل نفخ الروح أقوال متباينة وآراء مختلفة، وذلك إذا كان لغير عذر، وفيما يلى بيان ذلك:

المذهب الأول.

يرى أصحاب هذا المذهب أنه لا يجوز التسبب فى إخراج النطفة، وذلك لأنها حرمة تقتضى عدم إباحة إفسادها، أو التسبب فى إخراجها بعد استقرارها فى الرحم.

وهو قول بعض أئمة المذهب الحنفى، الذين يقولون بالكراهة التحريمية، وليعلم أن المكروه عندهم أقرب إلى الحرام، وأنهم يطلقون الكراهة على كراهة التحريم.

ويرى أصحاب هذا القول: أن التسبب فى إخراج النطفة مكروه كراهة تحريم، وأن فاعله آثم، إلا أن إثمه دون إثم القاتل، ويشدد المالكية فى ذلك، ويرون حرمة الإسقاط قبل الأربعين، قال الدسوقى فى الحاشية:

«لا يجوز إخراج المنى المتكون فى الرحم ولو قبل الأربعين، وإذا نفخت فيه الروح حرم إجماعاً». وهو المعتمد عندهم فى المذهب وذهب بعض علماء الشافعية إلى القول بالحرمة، وعلى رأس هذا الفريق، الإمام الغزالى، الذى يرى أن الإجهاض جناية على موجود حاصل، وله مراتب، وأول هذه المراتب، وقوع النطفة فى الرحم واختلاطها بماء المرأة، وإفساد ذلك جناية تتعاظم وتتفاحش كلما تكررت مراتب الوجود للجنين. وهذا مخالف لقول الأكثر من الشافعية. وممن يرى عدم جواز إسقاط الجنين قبل نفخ الروح فيه الإمام ابن الجوزى الحنبلى كما جاء فى أحكام النساء، قال: «تعمد إسقاط ما كان فى أول الحمل فيه إثم كبير، إذا كان لم ينفخ فيه الروح، وهذا الإثم الكبير يقتضى حرمة التسبب إلى ذلك» وذهب إلى هذا أيضا ابن عقيل، وما يشعر به كلام ابن قدامة كما فى المغنى[٤٦].

أدلة أصحاب هذا القول.

استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- إن النطفة هى أول مراحل الوجود، من حيث وقوعها فى رحم الأم، إذ الولد لا يخلق من منى الرجل وحده، بل من الزوجين جميعا، فمنى المرأة

---

(٤٦) - راجع فى ذلك: رد المحتار (٥/ ٢٣٩)، والبحر الرائق لابن بخيم (٣/ ٢١٤-٢١٥)، والشرح الكبير، وحاشية الدسوقى (٢/ ٢٣٧)، والقوانين الفقهية لابن جزى (٢٣٥)، والإحياء (٢/ ٥١)، والإنصاف للمرداوى (١/ ٣٨٦)، وأحكام النساء لابن الجوزى (ص ٩٩). والمغنى لابن قدامة (٨ / ٣٩١)، وبداية المجتهد لابن رشد (٢ / ٤٥٣).

ركن فى الإنعقاد، فيجرى الماءان مجرى صيغة العقد فى الوجود الحكمى، ولا يكون الموجب جانيا على العقد بالنقص، إذا رجع عن إيجاب قبل صدور القبول من الطرف الآخر، فإذا اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعد فسخاً للعقد، وكما أن النطفة فى الفقار لا يتخلق منها الولد، فكذلك بعد الخروج من الإحليل، ما لم يمتزج بماء المرأة ودمها، فهذا هو القياس الجلى(٤٧).

٢- إن المحرم لو كسر بيض الصيد حال إحرامه ضمنه، لأنه أصل الصيد الذى يحرم على المحرم قتله، كما قال سبحانه:- ﴿يا أيها الذين أمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٍ مثل ما قتل من النعم﴾ (المائدة: ٩٥)، وروى عن على رضى الله عنه:- «أن النبى ﷺ أتى ببيض النعام، فقال: «إنا قومٌ حُرُمٌ، أطعموه أهل الحل»(٤٨)، فلما كان متلف بيض الصيد يؤاخذ بالجزاء، فلا أقل من أن يلحق من أخرجت الماء بلا عذر بعد وصوله إلى الرحم إثم، قياساً على ذلك؛ لإخراجها سبب تخلق الولد(٤٩).

المذهب الثانى.

وهو مذهب القائلين بجواز التسبُّبِ لإسقاط النطفة، بخلاف العلقة والمضغة فيحرم التسبب لإسقاطها.

والقائلين به بعض المالكية الذين يفرقون بين إسقاط النطفة، وإسقاط العلقة والمضغة، فهم يقولون بحرمة التسبب لإسقاط العلقة والمضغة.

وذهب الشافعية إلى حرمة إسقاط الجنين بعد أربعين يوماً، أو اثنين وأربعين يوماً من بدء الحمل وقالوا إن حرمة الإسقاط تكون أشد فيما قرب من زمن النفخ لأنه حريمة..

---

(٤٧) - إحياء علوم الدين (٢ / ٥١)، ونهاية المحتاج (٨ / ٤٤٢).

(٤٨) - أخرجه أحمد فى المسند (١ / ١٦٢) والسيوطى فى الجامع الكبير (٢ / ٤٠)، وقال الشوكانى فى النيل (٥ / ٢٢): أخرجه البزار، وفى إسناده على بن زيد، وفيه كلام وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح، قلت: والحديث حسن لغيره.

(٤٩) - البحر الرائق (٣ / ٢١٤-٢١٥).

وذهب بعض الحنابلة إلى جواز شـرب الدواء لإسقاط النطفة، فإن تعمدت المرأة الإسقـاط بشرب دواء يُسقط، ولم يبلغ الحمل المدة الـتى يُنفخ فيـها الروح فعليهـا الإثم فحسب، ولا تجب فى إلقائه غرة، وقـال بعضهم: إن ألقته مـضغة وشهـدت القوابل أنه خلق آدمي، وجبت فيه الغرة، وهذا يفـيد حرمة التـسبب لإسقاطه، وإن لم يكن بهذه المثابة بأن كان علقة أو مضغة ليس فيها خلق آدمى، لأن عدم وجوب الغـرة فى التسبب لإسقاطه حـينئذٍ، لا يقتضى عـدم حرمة هذا الفعل.

وذهب ابن حـزم الظاهرى ومن وافقه إلى أن بداية التـخلق كونه علقـه لا نطفة، ومعناه أنه لا حرمة للنطفة عندهم، فيجوز التسبب لإسقاطها.

ولا يترتـب على إسقـاطها أثر، أمـا العلقة أو المضـغة فـلا يجوز التـسبب لإسقاطه، فمـن تسبب فى إسقاط الجنين وهو فى مرحلة العلقة أو المـضغة وقبل تمام الأربعة أشهر فعليه غرة فقط(٥٠).

أدلة أصحاب هذا المذهب، القائلين بجواز التسبب لإسقاط النطفة دون غيرها من العلقة والمضغة ما يلى:

إن إخراج النطفـة من رحم المرأة لا يثبت لهـا حكم السقط أو الوأد، لأنه لا يصدق عليها ذلك، فلا حرمة فى إخراجها.

إن المنى حال نزوله محض جماد لا يتهيأ للحياة بوجه، بخلافه بعد استقراره فى الرحم، وأخذه فى مبـادئ التخلق، وبداية التخلق -كما أرشد إليـها حديث حذيفة بن أسيد- تكون بعد بضع وأربعين ليلة(٥١).

(٥٠) - حاشية الدسـوقى (٢ / ٢٣٧)، ونهاية المحـتاج (٨ / ٤٤٢)، والفروع لابـن مفلح (١ / ٢٨١)، الإنصـاف للمرداوى (١ / ٣٨٦)، وأحكام النسـاء ص ١٠٠، والمحلى لابن حـزم (١١ / ٥٣٩، ٦٤٠، ١٢ / ٣٨٠).

(٥١) - نهاية المحتاج (٨ / ٤٤٢)، وتحفة المحتاج (٨ / ٢٤١) لابن حجر الهيثمى.

المذهب الثالث.

وهو مذهب القائلين بجواز إسقاط النطفة والعلقة دون المضغة، التى يحرم التسبب لإسقاطها، وهذا القول حكاه الكرابيسى من الشافعية.

دليله.

ودليل أصحاب هذا المذهب: أن الجنين فى مرحلة المضغة قد بدأت مرحلة تخلقه، وظهور بعض أعضائه، بخلافه فى مرحلتى النطفة والعلقة فلا يبدو ذلك من حاله، ولهذا فلا إثم فى التسبب فى إسقاطه وهو فى هاتين المرحلتين(٥٢).

المذهب الرابع.

يرى أصحاب هذا المذهب جواز التسبب لإسقاط الحمل، ولو كان علقة أو مضغة ما لم يخلق له عضو، أو لم يظهر شىء من خَلْقِه، وذلك لا يكون إلا بعد مضى مائة وعشرين يوماً من بدء الحمل، فإن لم يستبن بعض خَلْقِه فلا إثم فى إسقاطه، وإن استبان خَلْقُهُ ومات بالاعتداء عليه أثم الفاعل إثم القتل.

وهذا مذهب بعض الحنفية، وقال به أبو إسحاق المروزى من الشافعية، وهو قول بعض الحنابلة، وأجازوا شرب دواء مباح لإلقاء نطفة لا علقة.

غير أن بعض علماء مذهب الحنفية خالف هذا القول، كابن الهمام وابن عابدين وغيرهما، قال ابن عابدين: «وهذا يقتضى أنهم -أى علماء المذهب- أرادوا بالتخلق نفخ الروح، وإلا فهو غلط لأن التخليق يتحقق بالمشاهدة قبل هذه المدة» وأجاز الموصلى الإسقاط قبل مرور أربعين يوماً فقط(٥٣).

ودليلهم.

إن الجنين ما لم تُخْلَقْ له أعضاء فإنه لا يكون آدميا، حتى تثبت له أحكام الآدمى، من وجوب صيانته، وحرمة الاعتداء عليه، ولهذا فلا إثم فى إسقاطه

---

(٥٢) - نهاية المحتاج (٨ / ٤٤٢).

(٥٣) - فتح القدير لابن الهمام (٢/ ٤٩٤)، ورد المحتار (١/ ٢٠١، ٥/ ٢٧٩، ٣٧٨) والاختيار (٤/ ١٦٨)، وبدائع الصنائع للكاسانى (٧ / ٣٢٥)، والانصاف للمرداوى (١ / ٣٨٦)، والفروع (٦ / ١٩١).

حينئذٍ،[٥٤]، وهذا أيضا محكى عن ابن عقيل الحنبلى كما ذكره ابن مفلح.

الراجح من المذاهب.

والذى يبدو لى -والله أعلم- إن القول الذى يقول بحرمة وعدم جواز الإسقاط للجنين، فى أى وقت، هو الراجح، لأن الجنين قبل الأربعين له حياة هى حياة النمو والتكاثر، ولولا ذلك ما انتقل إلى مرحلة أخرى لاحقة، فحياته حلقات متصلة بعضها ببعض، يستحيل انفصالها، مما يعنى أن إضفاء الحُرمة على بعضها دون بعض، غير ذى معنى تقبله العقول، اللهم إلا الضرورات التى تعم كل هذه الحلقات أو هذه المراحل.

وإذا كان الله سبحانه قد حرَّم الاعتداء على الإنسان فقد حرَّم الاعتداء على أصله وهو الجنين، وذلك فى كافة مراحل تكوينه، وقد حرَّم الفقهاء كسر بيض الطائر على المحرم لأن فيه معنى الصيدية، كما ذكره شمس الأئمة السرخسى، وليس ثمة ما يمنع القياس هنا، بمعنى تحريم الإسقاط للجنين فى أى مرحلة من مراحل تكوينه قياساً على حرمة كسر بيض الطائر للمحرم فى الحرم، والإنسان من باب أولى تكون له السلامة والحُرمة، ويجب عدم إغفال أن الأصل فى الصيد هو الحِل، ولا يحرم إلا فى ظروف خاصة، بينما الأصل فى النفس الإنسانية الحرمة ولا تباح إلا بحق.

فمن أسقط جنيناً قبل النفخ فيه فهو آثم، سواء كان هو الطبيب المأذون له من قبل الزوج أو الزوجة، أو غير المأذون له، أو كان هو الزوج باعتدائه على زوجته، أو إكراهها على تناول دواء أو نحوه، قصد به إسقاط الجنين، أو كانت هى الحامل، بتناولها عن عمد دواءً أو نحوه لإسقاطه، أو بفعل منها كضربها بطنها أو معالجتها فرجها حتى أسقطت، أو حملت حملاً ثقيلاً قصدت به إسقاط جنينها، أو صعودها شاهق أو نزولها إلى موضع شديد الانخفاض، أو صيامها إن

---

(٥٤) - الفروع لابن مفلح (١ / ٢٨١)، رد المحتار (٥ / ٢٧٦).

نُصحتْ بتـرك الصيـام خوفاً على جنيـنها أو امتناعـها عن الطعـام والشراب، إن قصدت بذلك إسقاط جنينها، وكانت الأجنة تسقط به(٥٥).

قال ابن عابدين: «ولا يخفى أنهـا تأثم إثم القتل لو اسـتبان خلقـه، ومات بفعلها»

وقال فى جناية المرأة علـى جنينها بأى وجه من الوجـوه السابقة إذا أسـقطته بذلك: «الأنسب أنها تأثم فى هذه الحالة».

******

(٥٥) - انظر: وثيقـة مؤتمر السكان، رؤية شرعيـة د/ الحسينى سليـمان جاد ص ١٦، ومجلة الحكمـة العدد التاسع ص ١٤١ .

الحالات التى يجوز فيها الإجهاض قبل نفخ الروح

غير أن هناك حالات يجوز فيها الإجهاض قبل الأربعة أشهر عملاً بالقاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات»، وغيرها من القواعد التى فى معناها.

فإن تحققت حالة من دواعى الإجهاض، الضرورية ولم يتجاوز الحمل أربعة أشهر، جاز الإجهاض إذا تكاملت فيها الشروط التى ذكرناها سابقا، وهى للضرورة.

ومن هذه الحالات.

١- ما أجازه فقهاء الحنفية من أنه يجوز للمرأة أن تسقط حملها قبل نفخ الروح إذا انقطع لبنها بعد بدء الحمل، وليس لأبى الصبى الرضيع ما يستأجر به مرضعة بحيث خيف على الرضيع الهلاك.

على أننا يجب علينا أن ننبه أن هذا الجواز قبل نفخ الروح للجنين، أما بعد نفخ الروح فلا يجوز والحالة هذه.

٢- إذا ثبت أن فى الجنين عيوباً وراثية خطيرة لا تتلاءم مع الحياة العادية، وأنها تسرى بالوراثة فى سلالة أسرته، وكان ذلك ثبوتا قطعيا دون ريب بالوسائل العلمية والتجريبية، وهذا أيضا قبل نفخ الروح، أما بعده فلا.

أما إذا ثبتت عيوب يمكن علاجها طبيا، أو جراحيا أو من الممكن أن تتلاءم مع الحياة العادية فلا يعتبر اعتلالها عذراً شرعياً مبيحا للإجهاض.

ولا تعتبر العيوب الجسمية: كالعمى، أو نقص الأطراف أو بعضها ذريعة مسوغا للإجهاض.

لاسيما مع التقدم العلمى، فى الوسائل التعويضية للمعوقين.

نكرر فنقول: كل هذا قبل نفخ الروح، أما بعد نفخ الروح فلا تعتبر العيوب التى تكشف بالجنين مبرراً شرعيا لإجهاضه، أيا كانت درجة العيوب، من حيث

إمكان علاجها طبيا، أو جراحيا، أو عدم إمكان ذلك.

فالمعيار إذاً فى جواز الإجهاض قبل نفخ الروح فى الجنين، هو أن يثبت علميا وواقعيا خطورة ما به من عيوب وراثية لا شفاء لها، وأنها تنتقل منه إلى ذريته.

٣- ويرى الشيخ العلامة جاد الحق على جاد الحق -رحمه الله- أن من الأعذار المبيحة للإجهاض قبل نفخ الروح: شعور الحامل بالهزال والضعف عن تحمل أعباء الحمل، لاسيما إذا كانت ممن يضعن بغير طريقه الطبيعى (الشق الجانبى) المعروف الآن بالعملية القيصرية. فهذا وأمثاله يعتبر عذراً شرعيا مبيحاً لإسقاط الحمل قبل نفخ الروح دون إثم أو جزاء جنائى شرعى[٥٦].

الرد على من يبيح الإجهاض قبل نفخ الروح لرشاقة المرأة.

على أننا لا نرى جواز الإجهاض قبل نفخ الروح فى الجنين من أجل لياقة المرأة أو هزالها أو الحد من رشاقتها ولا نرى ذلك عذراً ومسوغا للإجهاض، لأن هذا العذر لا تتحقق فيه الشروط التى سبق ذكرها فى الضرورة، وقد ذهب إلى هذا القول القائل بالجواز حفاظ على الرشاقة واللياقة للمرأة الأستاذ الدكتور/ محمد سلام مذكور[٥٧].

ونحن لا نراه مسوغا أو ضرورة للإجهاض. والله أعلم...

حكم الإجهاض بعد نفخ الروح.

أجمع الفقهاء على أن إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه دون عذر محظور، وأن من تسبب فى إسقاطه تجب فيه عقوبة جنائية، فإن أسقطت المرأة نفسها كضربها بطنها أو صعودها شاهق أو نزولها مكان منهبط، أو حملها شيئاً ثقيلاً أو شربها دواء أو امتناعها عن الطعام والشراب لإسقاط جنينها بعد الشهر

(٥٦) - الفقه الإسلامى مرونته وتطوره ص ٢١٢، وذكره فى فتاويه ص ٩١ ط الأزهر.

(٥٧) - ذكره فى أحكام الجنين ص ٣٠١ .

الرابع وجب عليها الغرة، وكـذلك إذا أسقطه غيرها وسقط الجنين ميـتا وجبت عليه الغرة، ولو كان أبوه، وذهب بعض الفقـهاء إلى وجـوب الغرة والكفارة.

وذلك لأن إسقاط الجنين بعد تَخَلُّقِهِ قتل لإنسان وجدت فيه الروح الإنسانية.

ما الحكم إذا نفخ الروح فى الجنين لكن هناك مخاوف تهدد حياة الأم إذا استمر حملها؟.

ذكر الدكتور البوطى أن الجنين إذا بلغ مـرحلة ما بعـد نفخ الروح فيـه فله حالتان:

الحالة الأولى: أن لا تكون مدة الحمل قد كـملت بعد، ولكن هناك مخاوف تهدد حياة الأم إذا استمر حملها.

فلا يحل الإجـهاض والحالة هذه، وتأثم الأم، لأنهـا آثرت حياتها على حـياة مكافئة لها، فهى أشبه ما تكون بإنسان أشرف على الموت بسبب الجوع، فلا يحل أن يقتل إنسانا معصوم الدم، ليأكل من لحمه لإنقاذ نفسه من الموت.

وكذلك لا تعد هذه الحالة مـسوغاً للإجهاض؛ لأن هذه الحالة متـوقعة وليست واقعة بالفعل.

الحالة الثانية: أن تكتمل مدة الحمل.

إذا اكتـملت مدة الحمل وأشـرفت الأم على الولادة، ولكنها فـوجئت بآلام وأمراض، بحيث أن الجهود لا تثمر إلا حياة واحدة فقط، إما حياة الأم، أو حياة الجنين.

فالمسألة هذه أمام تعـارض مصلحتين، لا مجال للخروج عنهـما، ولا مجال لإنقاذ الأم والجنين معاً.

فحياة أحدهما مرهون بهلاك الآخر.

فالطبـيب فى هذه الحالة له أن يجـتهد فى ترجـيح أحد الأمرين، فـإن تعذر

ترجيح فالطبيب مخير فى الأمر؛ لأنه إذا تساوت المصالح مع تعذر الجمع تخيَّرنا[٥٨].

ولعلنا نرجح مصلحة إنقاذ الأم على مصلحة إنقاذ وليدها؛ لأن الأم هى الأصل، ولا يضحى بها فى سبيل بقاء الجنين؛ لأن الجنين فرع، وحياة الأم مستقلة، ولها وعليها حقوق، أما الجنين لم تستقل حياته بعد، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها، وقد أباح الفقهاء قطع العضو المتآكل الذى لا شفاء له حماية لباقى الجسم[٥٩].

يقول الشيخ الفقيه جاد الحق على جاد الحق -رحمه الله.

«إذا قامت ضرورة تحتم الإجهاض، كما إذا كانت المرأة عسرة الولادة، ورأى الأطباء المختصون أن بقاء الحمل فى بطنها ضار بها، فعندئذ يجوز الإجهاض، بل يجب إذا كان يتوقف عليه حياة الأم عملاً بقاعدة ارتكاب أخف الضررين، وأهون الشرين، ولا مراء فى أنه إذا دار الأمرين بين موت الجنين وموت أمه كان بقاؤها أولى لأنها أصله، وقد استقرت حياتها، ولها حظ مستقل فى الحياة، كما أن لها وعليها حقوقاً، فلا يُضحَّى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته ولم تتأكد»[٦٠] اهـ.

عملا بالقواعد الفقهية القائلة:

أ - الضرر يُزَالُ.

ب - الضرورات تبيح المحظورات.

ج - إذا تعارضت مفسدتان رُوعِيَ أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما[٦١].

---

(٥٨) - راجع قواعد الأحكام فى مصالح الأنام لسلطان العلماء العز بن عبد السلام (١ / ٥٧، ٧٦).

(٥٩) - تحديد النسل د/ البوطى ص ٩٥-٩٦ .

(٦٠) - الفقه الإسلامى مرونته وتطوره ص ٢١٨ .

(٦١) - انظر مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد الرابع والأربعون ص ١٩٢ .

موقف الطبيب من الإجهاض شرعا.

على الطبيب أن لا يقوم بعملية الإجهاض قبل نفخ الروح فى الجنين أو بعده إلا إذا كانت هناك ضرورة تسيغ له ذلك، وأن تتوافر الشروط التى ذكرناها، وأن لا يتعجل فى الإجهاض قبل أن يتأكد بكل الطرق العلمية الممكنة، وأن يتصل بمن هو أكثر خبرة منه فى هذا المجال، وأن يتأنى فى الحالات التى تحتاج إلى التأنى وتحتمله.

يقول الشيخ العلامة جاد الحق على جاد الحق -رحمه الله.

«لقد قال الله سبحانه تعليما وتوجيها لخلقه ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ (الأنبياء: ٧).

والطبيب فى عمله وتخصصه من أهل الذكر، والعلم أمانة، ومن ثَمَّ كان على الطبيب شرعاً أن ينصح لله ولرسوله وللمؤمنين، وإذا كانت الأعذار المبيحة للإجهاض فى مراحل الحمل المختلفة منوطة برأى الطبيب حسبما تقدم بيانه كان العبء عليه كبيراً، ووجب عليه ألا يعجل بالرأى قبل أن يستوثق بكل الطرق العلمية الممكنة، وأن يستوثق بمشورة غيره فى الحالات التى تحتاج للتأنى وتحتمله.

وقد بيَّن الفقهاء جزاء المتسبب فى إسقاط الحمل جنائيا دنيوياً بالغرة أو الدية فى بعض الأحوال، والإثم دنيا على الوجه السابق إجماله.

هذا: وقد حرَّم القانون الجنائى المصرى الإجهاض وعاقب عليه فى جميع مراحل الحمل. (المواد من ٢٦٠ إلى ٢٦٤ عقوبات). فالقانون يعاقب المرأة الحامل وكل من تدخل فى إجهاضها إذا رضيت به، كما يعاقب من يدلها عليه، أو يعاونها فيه حتى لو كان ذلك برضائها، وسواء كان طبيباً أو غير طبيب، وذلك مالم يكن الإجهاض قد أجراه الطبيب لغرض العلاج إنقاذاً للأم من خطر محقق، أو وقاية للأم من حالة تهدد حياتها إذا استمر الحمل، وهذه الحالات يقرها الفقه

الإسلامى، كما تفيده النصوص سالفة الإشارة» [٦٢]، أهـ.

قرار المجمع الفقهى الإسلامى.

- **فى حكم إسقاط الجنين المشوه خلقياً:**

قرر مجلس المجمع الفقهى الإسلامى لرابطة العالم الإسلامى فى دورته الثانية عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، وبعد المناقشة من قبل أصحاب السعادة الأطباء المختصين الذين حضروا لهذا الغرض قرر بالأكثرية ما يلى:-

(إذا كان الحمل قد بلغ مائة وعشرين يوماً لا يجوز إسقاطه ولو كان التشخيص الطبى يفيد أنه مشوهٌ الخلقة، إلا إذا ثبت بتقرير لجنة طبية من الأطباء الثقات المختصين أن بقاء الحمل فيه خطر مؤكد على حياة الأم فعندئذٍ يجوز إسقاطه سواء كان مشوهاً أم لا دفعاً لأعظم الضررين.

قبل مرور مائة وعشرين يوماً على الحمل إذا ثبت وتأكد بتقرير لجنة طبية من الأطباء المختصين الثقات، وبناء على الفحوص الفنية بالأجهزة والوسائل المختبرية أن الجنين مشوه تشويهاً خطيراً غير قابل للعلاج، وأنه إذا بقى ووُلِدَ فى موعده ستكون حياته سيئة وآلاماً عليه وعلى أهله فعندئذٍ يجوز إسقاطه بناءً على طلب الوالدين.

والمجلس إذ يقرر ذلك يوصى الأطباء والوالدين بتقوى الله، والتثبت فى هذا الأمر والله الموفق). (مجلة المجمع الفقهى الإسلامى العدد السابع ص٣٤٨)

عقوبة الإجهاض:

يذكر الفقهاء تفصيلات كثيرة فى عقوبة الجانى على الجنين -الإجهاض- نوجزها فيما يلى:-

عقوبة الإجهاض التى ذكرها الفقهاء هى الغرّة، والدِّية، والكفارة، والقصاص، وبعض هذه العقوبات متفق عليها وبعضها مختلف فيه، وعقوبة

---

(٦٢) - مختارات من الفتاوى والبحوث -لفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق-رحمه الله- ص ١٠٥، ١٠٦.

الإجهاض تختلف باختلاف الوقت الذى حصل فيه الإجهاض -قبل نفخ الروح أو بعده- واختلاف صفة الفعل عمدا أو خطأ- واختلاف النتيجة التى تترتب على فعل الجانى، ويورد الفقهاء صورا متعددة تنتج عن فعل الجانى نكتفى ببيان الحكم فى صورتين منها: وهما حالة:

١)- انفصال الجنين عن أمه ميتاً.

٢)- انفصال الجنين عن أمه حيا ثم يموت.

١)- انفصال الجنين عن أمه ميتاً.

إذا تسببت الام أو غيرها فى اسقاط جنينها فخرج ميتا ففيه غرة، وهذا ثابت بالسنة الصحيحة فعن أبى هريرة قال:- «قضى رسول الله ﷺ فى جنين امرأة من بنى لحيان -سقط ميتاً- عبد أو أمة..» (متفق عليه).

وفى رواية:- «اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت احداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما فى بطنها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقضى ان دية جنينها غرة، عبد أو وليدة، وقضى بديّة المرأة على عاقلتها» (متفق عليه).

وعن المغيرة بن شعبة عن عمر انه استشارهم فى املاص المرأة، فقال المغيرة:- «قضى النبى ﷺ فيه بالغرّة، عبد أو أمة، فشهد محمد بن مسلمة انه شهد النبى ﷺ قضى به».

ومع اتفاق الفقهاء على وجوب الغرّة فى الجملة فإنهم يختلفون فى بعض الجزئيات.

متى تجب الغرة:

يرى الحنفية أن الغرّة لا تجب إلا إذا كانت الجناية بعد نفخ الروح، ويكفى عندهم أن يتبين بعض خلق الجنين كظفر وشعر ولابد عندهم من وجود الرأس لأن الروح لا تنفخ من غير رأس، فلو ألقت مضغة ولم يتبين شىء من خلقه فشهدت ثقاة من القوابل أنه مبدأ خلق آدمى ولو بقى لتصور فلا غرّة فيه وتجب

فيه حكومة. (حاشية ابن عابدين ٥/٥١٦، وفتح القدير ٨/ ٢٧٤ و٣٢٧، و٣٢٩).

ويرى المالكية ان الغرة تجب فى إلقاء الجنين ولو علقة، ويفسرون العلقة بأنها الدم المجتمع الذى إذا صب عليه الماء الحار لا يذوب، أما الذى يذوب إذا صب عليه الماء فلا شيء فيه. (حاشية الدسوقى على الشرح الكبير، والخرشى ٥/ ٢٩١).

ومذهب الشافعية مثل مذهب الحنفية:

يقول الشافعى:- «وأقل ما يكون به السقط جنينا فيه غرّة ان يتبين من خلقه شيء يفارق المضغة والعلقة أصبع أو ظفر أو عين أو ما بَانَ من خلق آدم سوى هذا كله ففيه غرّة كاملة». (الام ٦/ ٩٣ و٩٦، ونهاية المحتاج ٧/ ٣٦٢).

ومذهب الحنابلة كمذهب الحنفية والشافعية:

يقول ابن قدامة:- «وكذلك لم يجب ضمانه إذا لم يظهر، فإن اسقطت ما ليس فيه صورة آدمى فلا شيء فيه، لأنا لا نسلم إنه جنين، وإن القت مضغة فشهد ثقات من القوابل أن فيه صورة خفيفة ففيه غرّة، وإن شهدت إنه مبتدأ خلق آدمى ولو بقى لتصور ففيه وجهان:

أصحهما لا شيء فيه لأنه لم يتصور فلم يجب فيه كالعلقة...» (المغنى لابن قدامة ٧/ ٨٠٢).

ويرى الظاهرية أن الغرة تجب إذا أسقطت المرأة ولدها سواء أكان الاسقاط بعد نفخ الروح أو قبله غير إنه إذا كان الاسقاط بعد نفخ الروح وكانت المرأة تعمدت قتل جنينها أو تعهد أجنبى قتله فى بطنها فلا غرّة فيه إلا إذا عفى عن الجانى، فإن لم يعف عنه فالقود واجب فى ذلك، «لأنه قاتل نفس مؤمنة عمداً فهو نفس بنفس» (المحلى لابن حزم ١١/ ٣٨، ٢١٢٢ و٢١٥٢).

أثر العمد والخطأ فى وجوب الغرة:

يشترط الحنفية لوجوب الغرّة أن يكون الاسقاط عمدا، فإن لم يكن عمدا فلا غرّة لعدم التعدى. (الدر المختار مع حاشية ابن عابدين ٥/ ٥١١).

ولم يفرق الحنفية بين العمد والخطأ فى وجوب الغرّة. (الدسوقى ٤/٢٤٧).

ويرى الشافعية -فى الاصح عندهم- والحنابلة أن قتل الجنين لا يوصف بالعمد فهو أما خطأ أو شبه عمد، لأن العمد فيه غير متصور لتوقفه على علم وجود الجنين وحياته، ووجود الجنين مشكوك فيه.

(نهاية المحتاج ٧/٣٦٣، وأنظر الأم ٦/ ٩٤)

ولم يفرق الظاهرية بين الخطأ والعمد إذا كانت الجناية قبل نفخ الروح، وفرقوا بينهما إذا كانت بعد نفخ الروح فأوجبوا الغرّة فى الخطأ، والقود فى العمد إلا أن يعفى فتجب الغرّة. (المحلى لابن حزم ١١/٣٨ مسألة ٢١٢٤ و٢١٢٥).

أثر اذن الزوج فى وجوب الغرة:

يشترط الحنفية لوجوب الغرّة على الأم أن يكون الاسقاط بغير اذن الزوج، فإن أذن الزوج فلا غرّة لعدم التعدى، ويرى بعض فقهاء الحنفية أن عدم وجوب الغرّة مع اذن الزوج رواية ضعيفة والصحيح وجوبها، لأن الإباحة لا تجرى فى النفوس، ويعارض ابن عابدين هذا الرأى بأن الجنين لم يعتبر نفسا لعدم تحقق آدميته وإنه اعتبر جزءا من أمه من وجه، ووجوب الغرّة تعبدى فلا يصح إلحاقه بالنفس المحققة حتى يقال ان الاباحة لا تجرى فى النفوس، ولأن الزوج إذا لم يكن هو الجانى فالحق له وقد رضى باتلاف حقه.

(حاشية ابن عابدين ٥/٥١٩، وأنظر فى بقية الحجج)

ما المراد بالغرة؟ ومن يدفعها؟ ولمن تدفع؟

الغرّة كما جاء فى الحديث هى عبد أو أمة، وقيمتها نصف عشر دية الرجل وهى خمس من الابل، ولا يختلف مقدارها بذكورة الجنين وأنوثته لأن السنة لم تفرق بينهما. (المغنى ٧/ ٨٠٠، وابن عابدين ٥/٥١٧، والدسوقى ٤/٢٤٧).

ويدفع الغرّة عند الحنفية عاقلة الجانى فى سنة، لما روى عن محمد بن الحسن أنه قال بلغنا أن رسول الله ﷺ قضى بالغرّة على العاقلة فى سنة فإن لم يكن

للجانى عاقلة فـالغرّة على بيت المال إذا كان منتظما، فإن لم يكن منتظمـا فالغرّة فى مال الجانى فى ثلاث سنين. (الحاشية لابن عابدين ٥/ ٥١٧ و٥١٩).

وقال المالكية الغرّة فى مال الجانى تشبيها لها بدية العمد والجـانى مخير بين دفع عشر دية أم الجنين من الذهب أو الورق حالا، ودفع الغرّة عبد أو وليدة.

وتجب الغـرّة عند الشافـعية على عـاقلة الجانى، وقـيل أن تعمـد الجناية بأن قصدها بما يجـهض غالبا فعليه الـغرّة بناء على تصور العمد فـيه، والاصح عدم تصوره، والخيار للغارم بين العبد والأمة، فإن فقدت فخمسة أبعرة.

وعند الحنابلة الغـرّة على الجانى وحـده، لأن العاقلة لا تحمـل ما دون ثلث الدية عندهم، وإذا لم يجـد الجانى الـغرّة انتـقل إلى خمس من الابل على قـول الخرقى وإلى خمسين دينارا أو ستمائة درهم على قول غيره.

من تدفع الغرة:

تدفع الغرّة لورثة الجنين، بتـقدير انفصاله حـيا ثم موته، لأنها فـداء نفسه، فتورث عنه كما لو قتل بعد الولادة.

(حاشية ابن عابدين ٥/ ٣٧٩، وبداية المجتهد ٢/ ٤١٦، والمغنى ٧/ ٨٠٥)

هل وجوب الغرة مخالفة للقياس؟

يرى الحنفـية أن الحكم بوجـوب الغـرّة حكم تعبـدى ثبت بالنص مـخالفـة للقياس، لأن الجنين لم تعلم حياته بيقين.

روى أن سائلا قـال لزفر:- لا يخلو الجنين من إنه مـات بالضرب ففـيه دية كاملة، أو لـم ينفخ فيه الـروح فلا شيء فيـه، فسكت زفـر فقال لـه السائل:- اعتقـتك سائبة، فجاء زفـر إلى ابى يوسف فسأله عنه، وحاجة بمثل مـا حاجة به السائل، فـقال أبو يوسف:- التعـبد التعـبد، أى ثابت بالسنة من غـير أن يدرك بالعقل. (ابن عابدين ٥/ ٥١٧، وفتح القدير والعناية ٨/ ٣٢٤و٣٢٦).

وقد أجاب ابن رجب الحنبلى عن هذا السؤال أو الأعتراض بقوله:-

«وقد انكر النبى ﷺ على من اعترض على ذلك -وجوب الغرّة- معللا بأنه لم يشارك الاحياء فى صفاتهم الخاصة من الاكل والشرب والاستهلاك، وإن ذلك يقتضى إهداره، ونسبه إلى إنه من اخوان الكهان حيث تكلم بكلام مسجع باطل فى نفسه، والعجب كل العجب ممن يدعى التحقيق ويرتضى لنفسه مشاركة هذا المعترض ويقول القياس يقتضى إهداره، وليس كما ظنه فإن هذا الجنين إما أن يكون صادف الضرب وفيه حياة أو يكون ذلك قبل وجود الحياة فيه، ولا يجوز أن يكون قد فارقته الحياة، لأنه لو مات لم يستقر فى البطن، وحينئذ فالجانى إما أن يكون قتله أو منع انعقاد حياته فضمنه بالغرّة لتفويت انعقاد حياته.

(القواعد الفقهية لابن رجب ١٨٤ القاعدة ٨٤)

الكفارة:

وتجب عند الشافعية والحنابلة على من تسبب فى إسقاط الجنين ميتاً الكفارة مع الغرّة سواء أكان المتسبب الأم أو غيرها، لقوله تعالى:- ﴿**ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة**﴾، وقوله:- ﴿**وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى اهله وتحرير رقبة مؤمنة**﴾ (النساء: ٩٢).

وعند الحنفية الكفارة مندوبة، كما نص على ذلك ابن عباس فى الحاشية (٥١٨/٥).

وعند المالكية يستحب فى قتل الجنين كفارة، لأن الكفارة لا تجب عند مالك فى العمد وتجب فى الخطأ، ولما كان هذا مترددا عنده بين العمد والخطأ استحسن فيه الكفارة ولم يوجبها، لأن سقوط الجنين عن الضرب ليس فيه عمدا محضا وإنما هو عمد فى أمه خطأ فيه. (القوانين الفقهية ٣٤٨، وبداية المجتهد ٢/ ٤١٥ و٤١٧).

ومنها شمُّ ريح ما يضر بالجنين إذا لم تحصل عليه، فقد نص فقهاء المالكية على أن الحامل إذا شمت رائحة مسكٍ أو سمك مقلى أو جبن من الجيران مثلا

فعليها الطلب، فإن لم تطلب ولم يعلموا بحملها حتى زلقته فعليها الغرّة لتقصيرها وتسببها، فإذا طلبت ولم يعطوها ضمنوا علموا بحملها أم لا، وكذا لو علموا به وبأن ريح الطعام أو المسك يسقطها ولم يعطوها وأسقطت فإنهم يضمنون وإن لم تطلب. (أنظر حاشية الدسوقى ٤/٢٤٧، والخرشى ٥/٢٩١).

٢)- انفصال الجنين حيا ثم يموت:

يرى الحنفية أن الحامل إذا زلقت جنينها حيا ثم مات ففيه دية كاملة، ولا يؤثر اذن الزوج فى هذه الحالة، لتحقق الجناية على نفس حيّة، فلا تجرى فيه الاباحة، بخلاف ما لو زلقته ميتا فتسقط الغرّة لو بإذن الزوج كما تقدم.

وتدفع الدية العاقلة فى ثلاث سنين إن كان للجانى عاقلة، فإن لم يكن له عاقلة فالدية على بيت المال، فإن لم يكن بيت المال منتظما فعلى الجانى فى ثلاث سنين.

وتثبت حياة الجنين بكل ما يدل على الحياة من الاستهلال والرضاع والنفس والعطاس وغير ذلك، ولا تثبت بتحرك عضو منه، لأنه قد يكون من اختلاج أو من خروج من ضيق.

وتجب الكفارة أيضا على الجانى، لأنه شبه عمد أو خطأ.

ويفرق المالكية بين ما إذا كانت الجناية خطأ أو عمدا، فإن كانت خطأ وانفصل الجنين عن أمه حيّاً حياة مستقرة ثم مات ففيه الدية إنْ اقسم أولياؤه إنه مات من فعل الجانى.

والحياة المستقرة عندهم أن يستهل الجنين صارخاً أو يرضع كثيراً، ونحو ذلك.

وإن لم يقسم أولياؤه فلا دية ولا غرّة لأن الجنين استهل صارخا فهو من جملة الاحياء فلم يكن فيه غرّة، والدية متوقفة على القسامة وقد امتنع الأولياء منها، هذا هو المعتمد، وقال بعض المشائخ إذا لم يقسموا لهم الغرّة فقط.

ولا فرق فى الحكم عند ابن القاسم -إذا تحققت حياة الجنين- بين أن يتأخر موته، أو يموت عاجلا، وقال أشهب تلزم الدية من غير قسامة إذا مات عاجلا، واستحسنه اللخمى، ووجه قول القاسم أن هذا المولود لضعفه يخشى عليه الموت بأدنى الاسباب فيمكن أن موته حدث لغير ضرب الجانى.

وإن كانت الجناية عمدا فإن الحكم يختلف باختلاف وسيلة الإجهاض.

فإن كانت الجناية بضرب بطن أمه أو ظهرها فقال أشهب فيه الدية فى مال الجانى بقسامة، قال ابن الحاجب: وهو المشهور، وقال ابن القاسم فيه القصاص بقسامة، قال فى التوضيح وهو مذهب المدونة والمجموعة، وقال الشيخ الدردير إنه الراجح.

وإن كانت بضرب يد أو رجل ففيه الدية بقسامة قولا واحدا.

وإن كانت بضرب الرأس فقد ألحقه بعضهم بضرب البطن والظهر فأجرى فيه الخلاف السابق، وألحقه بعضهم بضرب الرجل فأوجب فيه الدية فى مال الجانى، ورجحه ابن عرفة.

قالوا والعلة فى إلحاق الرأس بالبطن أن فى الرأس عرقا يسمى عرق الأبهر واصل إلى القلب فما أثر فى الرأس أثر فى القلب بخلاف اليد ونحوها.

ولا تجب عند المالكية الكفارة وإنما تستحب فقط كما هو الحال فى خروج الجنين ميتاً.

ويوجب الشافعية الدية فى الجنين إذا انفصل حياً ومات فى الحال، أو بقى متألما إلى أن مات، لأنا نتيقن فى هذه الحالة إنه مات بالجناية.

إما إذا انفصل حيا وبقى زمانا سالما غير متألم ثم مات فلا ضمان على الجانى، لأن الظاهر أنه مات بسبب آخر.

وتثبت الحياة عندهم بوجود أى أمارة من أمارات الحياة كتنفس وامتصاص

ثدى وقبض يد وبسطها، ولا يشترط الاستهلال.

(نهاية المحتاج ٧/ ٣٦١، والأم ٦/ ٩٦)

والحنابلة يوجبون الدية فى الجنين إذا ألقى حيا بجناية على أمه ثم مات بسبب الجناية.

وتعلم حياة الجنين باستهلاله أو ارتضاعه أو بتنفسه أو عطاسه، أو غيره من الأمارات التى تعلم بها حياته، هذا ظاهر قول الخرقى، وروى عن أحمد أنه لا يثبت للجنين حكم الحياة إلا بالاستهلال كقول مالك، لقول النبى ﷺ :- «إذا استهل المولود ورث وورّث» مفهومه أن لا يرث إذا لم يستهل، وحجة القول الأول أن الجنين إذا علمت حياته بأى أمارة من أمارات الحياة فقد اشبه المستهل، والخبر يدل بمعناه وتنبيهه على ثبوت الحكم فى سائر الصور التى تعلم فيها الحياة، لأن شرب المولود اللبن أدل على حياته من صياحه.

ولا تثبت الحياة بالحركة والاختلاج المنفرد، لأنه قد يتحرك بسبب خروجه من مضيق، واللحم يختلج إذا عصر ثم ترك.

ويعلم الموت بسبب الجناية إذا مات فى الحال أو سقط متألما إلى أن مات، أو بقيت أمه متألمة إلى أن أسقطته، أما إذا بقى الجنين زمنا سالما لا ألم به لم يضمنه الجانى، لأن الظاهر إنه لم يمت من جنايته.

ويشترط الحنابلة لوجوب الدية أن يكون سقوط الجنين لستة أشهر فصاعداً، فإن كان لدون ذلك ففيه غرّة، لأنه لم تعلم فيه حياة يتصور بقاؤه بها فلم تجب فيه دية كما لو ألقته ميتاً.

ويوجب الحنابلة الكفارة مع الدية كما أوجبوها مع الغرّة.

(أنظر المغنى لابن قدامة ٦/ ٨١١-٨١٥)

يتعدّد الواجب على الجانى من غرّة، أو دية، أو كفارة بتعدد الجنين، لأنه ضمان آدمى، فيتعدد بتعدده، فلو ألقت جنينين ميتين فغرّتان، ولو ألقت جنيناً

ميتاً وجنيناً حياً فمات، فغرّة في الميت، ودية في الحي، وكفارة في كل واحد.
(أنظر حاشية ابن عابدين ٥/٥١٧، والدسوقي ٤/٢٤٦، ونهاية المحتاج ٧/٣٦٢، ومجلة المجمع الفقهي الإسلامي العدد السابع ص٢٥٨/٢٦٨).

فائدة في: فتاوى العلماء في تحديد النسل وتنظيمه:

• حكم قطع النسل بدون عذر

وهذه فتاوى بعض العلماء في حكم قطع النسل بدون عذر، وتحديد النسل وما يترتب عليها من أضرار دينية وإجتماعية، نوردها هنا تذييلاً لما ذكرناه في حكم الإجهاض.

سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله.

أحد الإخوة يسأل عن حكم قطع النسل بدون عذر، وما هي الأعذار التي تبيح ذلك؟

فأجاب:-

قطع النسل قطعاً نهائياً قد صرح العلماء رحمهم الله بأنه حرام مما في ذلك من المضادة لما يريده النبي ﷺ من أمته، ولما في ذلك من أسباب الذل للمسلمين، فإن المسلمين كلما كثروا كان ذلك عزة لهم ورفعة، ولهذا امتن الله عز وجل على بني إسرائيل حيث جعلهم كثرة فقال:- ﴿**واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم**﴾ (الأعراف:٨٦)، والواقع شاهد بهذا، فإن الأمة الكثيرة تستغنى عن غيرها، ويكون لها صولة وهيبة أمام أعدائها، فلا يجوز للإنسان أن يتسبب بقطع النسل قطعاً نهائياً، اللهم إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك، كما لو كانت الأم إذا حملت خيف عليها أن تهلك وتموت.

ففي هذه الحالة تكون ضرورة ولا حرج أن يعمل لها أي لهذه المرأة ما يقطع الحمل عنها هذا هو العذر الذي يبيح قطع النسل وكذلك لو أصيبت بمرض في رحمها يخشى أن يسرى فيهلكها واضطرت إلى نزع الرحم فلا بأس بذلك.

حكم تحديد النسل.

سئل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- عن حكم تحديد النسل، وهل الشرع الشريف يجيزه أم يحرمه.

فأجاب رحمه الله بقوله:-

لا شك أن الله تعالى قد تكفل برزق عباده ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها**﴾ (هود: ٦٠)، وإننا ندين لله تعالى بهذا، وما قيل حول تحديد النسل يناقض هذا ويخالفه ويتعارض مع مدلول الأحاديث المرغبة فى التزوج بالودود الولود، ومع مباهاة الرسول ﷺ بأمته الأمم يوم القيامة، فينبغى الوقوف عند أوامر الله ورسوله، والإيمان الكامل أن رزق العباد على ربهم، نسأل الله تعالى أن يعز دينه، ويعلى كلمته، وبالله التوفيق.

استعمال الحبوب لتنظيم الحمل أو قطعه

وسئل -رحمه الله- عن حبوب منع الحمل والنشرات التى توزع عنها؟.

فأجاب:-

بتأمل ما ذكر ظهر أنه إذا كان المراد تنظيم فترات الحمل لمدة مؤقتة لظروف عائلية أو صحية لضعف المرأة وتضررها بالحمل أو خطورته على حياتها عند الولادة أو إنها تحمل قبل فطام طفلها الأول فيحصل بذلك ضرر عليها أو على طفلها ونحو ذلك، ففى مثل هذه الحالات يجوز استعمال الحبوب عند الحاجة إلى استعمالها وهو شبيه بالعزل الذى كان يفعله الصحابة -رضى الله عنهم- أو أسهل منه، وقد سئل رسول الله ﷺ عن العزل، وأن اليهود كانت تحدث أن العزل هو الموءودة الصغرى، فقال:- «كذبت يهود، لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه»، وفى حديث جابر «كنا نعزل والقرآن ينزل على عهد رسول الله ﷺ وروى القاضى أبو يعلى وغيره بإسناده عن عبيد بن رفاعة، عن أبيه قال:- جلس إلى عمر -رضى الله عنه- علىٌّ والزبير وسعد فى نفر من الصحابة فتذكروا العزل

فقالوا: لا بأس به، فقال رجل: إنهم يزعمون أنها الموءودة الصغرى، فقال على: لا تكون موءودة حتى تمر عليها التارات السبع: فتكون سلالة من طين، ثم نطفة ثم تكون علقة، ثم تكون مضغة، ثم تكون عظاما، ثم تكون لحماً، ثم تكون خلقاً آخر، فقال عمر: صدقت أطال الله بقاءك.

وذكر الأطباء جواز شرب الدواء لإلقاء النطفة إذا كان فى مدة الأربعين.

وأما إن كان المراد باستعمال الحبوب قطع الحمل بالكلية لكراهة النسل أو خوف زيادة النفقات عليه إذا كثر أولاده، ونحو ذلك فهذا لا يحل، ولا يجوز لأنه سوء ظن برب العالمين ومخالف لهدى سيد المرسلين.

لا يجوز منع الحمل إلا لضرورة

وسئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين -حفظه الله.

أنا سيدة أبلغ من العمر ٣٧ سنة عندى مرض السكر، فى حملى الأخير أتعبنى السكر، فاستعملت حقن الأنسولين، وولادتى كانت بعملية قيصرية، ولهذا السبب عملت عملية «ربط» فهل هذا حلال أم حرام، وأفيدكم بأن لدىَّ ثمانية من الذكور والإناث، وفقكم الله وجزاكم عنا أحسن الجزاء؟.

فأجاب حفظه الله بقوله:

لا يجوز العلاج لقطع الحمل أو ايقافه إلا عند الضرورة، إذا قرر الأطباء «المعتبرون» أن الولادة تسبب إرهاقاً أو تزيد فى المرض، أو يخاف من الحمل والوضع الهلاك خوفاً غالباً، ولابد من ذلك من رضى الزوج وموافقته على القطع أو الإيقاف، ثم متى زال العذر أعيدت المرأة إلى حالتها الأولى، فمن الضروريات مرض الزوجة وضعف بدنها وعجزها عن تحمل الوضع، وعن عملية التربية والحضانة ونحوها.

هنا يجوز إسقاط الحمل!!

وسئل أيضاً -حفظه الله.

زوجتى مريضة بضغط الدم، والحمل يشكل خطراً جسيماً على حياتها، وقد نصحها الأطباء بعدم الحمل، ولكن إرادة الله سبقت وحملت، وهى الآن فى الأسابيع الأولى من الحمل، ونصحها الطبيب بالإجهاض، وامتنعت لتسأل عن حكم الدين، فهل يجوز لها الإجهاض؟

فأجاب -حفظه الله- بقوله:-

يجوز إسقاط النطفة قبل الأربعين يوماً بدواء مباح، ويجوز بعد ذلك إذا كان الحمل يحقق خطراً على النفس أو ضرراً على البدن بتقرير الأطباء المعتبرين.

(هذه الفتاوى مقتبسة من: فتاوى المرأة المسلمة، اعتنى بها ورتبها أشرف عبد المقصود ص٩٧٤ ٩٧٩ ط أضواء السلف).

الإجهاض ومؤتمر السكان والتنمية.

ذكرنا فيما سبق فى الفصل الثالث المؤتمرات التى عقدت للهجوم على الأسرة المسلمة، وتدبير المكايد لتدمير القيم والأخلاق الإسلامية، ومن بين هذه المؤتمرات التى عقدت: «مؤتمر السكان والتنمية» الذى عقد فى القاهرة خلال المدة من ٢٩ ربيع الأول إلى ٨ ربيع الآخر ١٤١٥هـ، الموافق ٥- ١٣ سبتمبر ١٩٩٤م، وهذا المؤتمر يعد حلقة فى سلسلة حلقات متصلة تحطم القيم والحواجز الأخلاقية، وتعارض الآداب الإسلامية وتدعوا إلى الرذيلة والإنحلالية والإباحية باسم التقدم والحرية. وتستهدف بالدرجة الأولى الأسرة المسلمة. إن هذا المؤتمر نقطة على طريق العبث بالأسرة والدعوة إلى تفكيكها، والرجوع بها إلى الجاهلية الأولى بل إنه دعا إلى بنود استحيى أهل الجاهلية الأولى أن يدعوا إليها، وكانوا يعدونها من العار والسباب.

إنه دعوة إلى الخروج على الأصول والقواعد الشرعية.

لقد كان مفهوم الأسرة عند القائمين على هذا المؤتمر والمؤتمرات التى قبله، والتى بعده، مفهوماً غربيا، كما عرفوه هم، لا كما دعا إليه الإسلام، ولذلك دعوا إلى القيم الغربية وممارستها فى حياتنا اليومية من غير نكير، كتحديد النسل، ومنع الحمل، وشيوع الفاحشة واستسهالها والدعوة إليها، والاغتصاب، وإقامة جنس ثالث، والشذوذ، وتأخير الزواج والتنفير منه، وإقامة العلاقات غير المشروعة.

وبالنظر فى وثيقة مؤتمر السكان والتنمية نرى أنه قد ربط بين زيادة السكان وبين الفقر واستحالة التنمية، ودعا إلى الحد من النمو السكانى، وذكر المؤتمر أنه هو الطريق الأمثل للتنمية، وتحقيق الرفاه الاجتماعى، والقضاء على الفقر. لذلك ركز دعوته إلى:-

١- إباحة الإجهاض.

بجعله قانوناً معتمداً، وقد عبَّرُوا عنه بتعابير متعددة مثل: الحمل غير المرغوب فيه، الإجهاض غير المأمون، إنهاء الحمل وتخفيف عواقب الإجهاض. إنها تعابير خبيثة نابعة من قلوب حاقدة على الإسلام وأهله.

٢- تقديم المعلومات والثقافة الجنسية للمراهقين، وإباحة الممارسات الجنسية، وحقهم فى سرية هذه الأمور وعدم انتهاكها من قِبَل الأسرة.

٣- التشجيع على الممارسات التى تقع خارج نطاق العلاقات الشرعية. كالمخادنة والزنا.. وأطلقوا عليها ألفاظ لا تنفر السامعين منها. كالصداقة، والحريات الشخصية.

٤- إلغاء القوانين التى تحد من ممارسة الأفراد لنشاطهم الجنسى، واعتبار ممارسة الجنس والإنجاب حرية شخصية وليست مسئولية جماعية.

واعتبر المؤتمر الإجهاض وسيلة من وسائل تحديد الحمل، أو تنظيمه - كما يزعمون.

ودعى المؤتمر إلى تسويقه، كطريقة لتنظيم الأسرة، صراحة أو ضمناً، وآية ذلك، أن المؤتمر تناول باستفاضة شديدة الإجهاض غير الآمن، والإجهاض غير القانونى... الخ هذه العبارات الخبيثة التى تنفر الشباب من الزواج تحت ستار الأسرة من مسئوليات وأعباء مالية لاسيما فى الدول النامية، وتصوروا أن الحل لمشكلات الدول النامية هو: انحلال المجتمع، واختلال العلاقات الاجتماعية والأسرية، وشيوع فوضى الجنس، وأن الإجهاض وسيلة علاجية.

موقف الأزهر من هذا المؤتمر:

تصدى الأزهر لهذا المؤتمر وأجهضه قبل خروجه وذيوعه وانتشاره وذلك فى عهد العالم الجليل، والشيخ الفقيه: «جاد الحق على جاد الحق» -رحمه الله تعالى، الذى عرف بدفاعه عن الإسلام، ومواقفه الصلدة، وكان حريصا على كرامة الأزهر، الذى هو كرامة المسلمين.

لقد أراد هؤلاء المتآمرون أن تصدر بنود المؤتمر ودعواته من قاهرة الأزهر، وأريد للأزهر أن يسكت على تعدى الحرمات، وكرامة الإنسان، وإباحة الشذوذ بين الرجل والرجل، وبين المرأة والمرأة، وإباحة حمل الصغيرات العذارى، وإجهاضهن، وإباحة الزوجات الشرعيات الحرائر.

وقد أدَّى الإمام الجليل ما عليه من واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والغضب لله، وصدر بيان من مجمع البحوث الإسلامية بعد دراسة متمعنة لوثيقة المؤتمر باللغتين العربية والإنجليزية، فكان بيان الشيخ الصادر من مجمع البحوث الإسلامية باسم الأزهر وما يتبعه من بيانات فعل الزلزال الذى أجهض المؤامرة.

ثم سارعت الدولة رئيسا وحكومة إلى تبنى عناصر بيان شيخ الأزهر، وأصدر الرئيس مبارك بيانه الذى أكد فيه أن مصر المسلمة لن تسمح للمؤتمر بأن يصدر أى قرار يصطدم مع ديننا وقيمنا، وخرج المتآمرون من مصر يجرون أذيال

الخيبة والفشل التى لاحقتهم فى مؤتمرهم التالى الذى عقد فى «بكين» عاصمة الصين.

وهذا من توفيق الله سبحانه أن قيدً لهؤلاء الحاقدين من يجهض دعواتهم، ثم عزم الشيخ وصلابته فإنه لم يكن يخشى فى الله لومة لائم. هذه كلمة حق أردت أن أكتبها عن مواقف الشيخ الجليل، والتى لا يعلمها كثير من الناس.

موقف رابطة العالم الإسلامى، وحكومة المملكة العربية السعودية.

ولن ننسى موقف رابطة العالم الإسلامى التى أصدرت تقارير حول وثيقة المؤتمر، واستنكرت ما حوته هذه الوثيقة بشدة. وأما المملكة العربية السعودية فقد قاطعت المؤتمر ولم ترسل مندوبين رسميين عنها، حتى المؤسسات والهيئات غير الرسمية التى حضرت أبدت مقاومة مباركة فى منع إقرار الوثيقة..

حكم الإجهاض بسبب الحمل غير الشرعى (الزنا).

زخرت وثيقة مؤتمر السكان والتنمية بتعبيرات فضفاضة وعبارات مطلقة، ومصطلحات مبتدعة، توحى تارة، وتؤكد صراحة تارة أخرى، على ضرورة تبنى نقيض ما وضعه الإسلام، من مقومات أساسية للأسرة، فنادت بحماية الحياة الجنسية، التى تثور بين الجنس الواحد، أو الجنسين المختلفين، عن غير طريق الزواج الشرعى، هدماً للقيم التى نادت بها الأديان السماوية جمعاء، وإشاعة للفاحشة، وهى -أى الوثيقة- إن دعت إلى إباحة الإجهاض فى ظل العلاقة المشروعة، فهى أكثر إلحاحاً إلى إباحته فى ظل العلاقة غير المشروعة، لإتساق ذلك وهدفها الخبيث فى تدمير أهل الإسلام[٦٣].

لم يفرق الفقهاء فى كتبهم بين إجهاض من نكاح صحيح، أو إجهاض من سفاح، وقد نصوا على حرمة الإجهاض ولو كان ثمرة لزنا أو اغتصاب.

---

(٦٣) - وثيقة مؤتمر السكان والتنمية ص ١٢٠ . وراجع الفصل السابع من هذه الوثيقة المشؤومة (الحقوق التناسلية) ص ٤١-٤٨ .

ولا يجوز للمرأة أن تجهض نفسها لتستر على جريمتها، سواء أنفخت الروح فى الجنين أم لم تنفخ الروح فيه. للأدلة الآتية:-

١- قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (الإسراء:١٥)، لأن من أهم البواعث والعوامل التى تدفع الزانية إلى الإجهاض، رغبتها فى التخلص من حملها، لتتستر على نفسها، ولا مسوغ فى الشرع للتضحية بحياة برىء، من أجل ذنب اقترفه غيره، دون أن يكون له أى دخل فيه، وهذا يشمل جميع مراحل الحمل دونما فرق بين مرحلة وأخرى.

٢- أن الحكم بجواز الإجهاض خلال أربعين يوماً من بدء الحمل، من النكاح الصحيح لعذر، إنما هو رخصة، والرخص لا تناط بالمعاصى.

٣- إن القول بجواز إسقاط الزانية حملها من الزنا مناقضة صريحة لما تقضى به قاعدة سد الذرائع، فإذا لم يردع الزانية عن الفاحشة مخافة الله عز وجل، فإنه يردعها عن هذه الفاحشة عاقبة هذه الفضيحة بين الناس، من نشوء الحمل الذى يكشف عنها كل ستر. فإذا جاء من يضع بين يديها سبيلاً شرعيا للتخلص من حملها الذى سيفضحها بين الناس، زالت عنها العقبة التى كانت تصدها عن هذه الفاحشة، وفتحت أمامها ذريعة سائغة لها.

٤- ومن النصوص التى لا تبيح الإجهاض من سفاح: ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن عمران بن حُصين -رضى الله عنه- أن امرأة من جهينة أتت النبى ﷺ وهى حُبْلَىَ من الزِّنا، فقالت: يا نبى الله، أصبتُ حداً، فأقمه علىَّ، فدعا رسولُ الله ﷺ وليَّهَا. فقال: «أحسِنْ إليها، فإذا وضعتْ فائتنى بها» ففعل. فأمر بها فشُكَّتْ عليها ثيابها -أى شُدَّتْ، ثم أمر بها فرُجمتْ. ثم صلَّى عليها، فقال عُمر: أتُصلِّى عليها يا نبى الله وقد زنتْ؟ فقال: «لقد تابتْ توبةً لو قُسِّمتْ بين سبعين من أهل المدينة لوسعتْهُمْ، وهل وجدْتَ أفضل مِنْ أن

جادتْ بنفسها لله تعالى؟»[٦٤].

فهذه الرواية تفيد أنه ﷺ أمر برجمها عقيب وضعها، وتفيد رواية أخرى عند مسلم نفسه أنها رُجِمتْ بعد أن فطمت ولدها وأتت به وفي يده كِسْرة خبزٍ، والتوفيق بين الروايتين **كما قال الإمام النووي**:-

«يجب تأويل الأولى وحملها على وفق الثانية فيكون قوله في الرواية الأولى: «قام رجلٌ من الأنصار فقال إلى رضاعه» إنما قاله بعد الفطام وأراد برضاعه كفالته وتربيته وسمَّاهُ رضاعاً مجازاً»! هـ بتصرف..

فأنت ترى في هذا الحديث مدى اهتمام الشرع بالجنين في مراحل تكوينه المختلفة، ثم إذا رجمت الأم مَنْ يكفله من المسلمين، وأنت ترى أيضا أنه ﷺ لم يقم الحد والعقوبة على الزانية إلا بعد استكمال شرائطها، وانتفاء موانعها، والرعاية للجنين وهو ابن زنا، الذى كان ثمرة لهياج جسدى غير مشروع، قامت على أفضل وجه فأجَّل إقامة الحد عليها والجنين في بطنها، فلما انفصل حيًّا وليداً، أجَّل رجمها حتى يأخذ حظَّه ونصيبه من الرضاعة والرعاية، حتى إذا أكل الخبز، وفطم، أشار على المسلمين بكفالته والرعاية به.. ولو كان إجهاض الجنين من الزنا جائز لفعله النبى ﷺ ولمَّا أخَّر الحد عليها مدة تقدَّر بمدة الحمل والرضاعة.. والله أعلم..

والتستر على جريمة الزنا ليس مبرراً ولا مسوغا للإجهاض، وما يحدث في المجتمع من حوادث إجهاض دافعهُ التستر على الزانية، إنما هو إثم فوق إثم، وظلمات بعضها فوق بعض، وإن الفاعل عليه إثم الفاحشة وإثم الإجهاض..

---

(٦٤) - رواه مسلم (١٦٩٦)، وأبو داود (٤٤٤٠ و ٤٤٤١)، والترمذى (١٤٣٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح والنسائى (١٩٥٧) والطبرانى فى «الكبير» (١٨ / ١٩٧-١٩٨ رقم ٤٧٥ و ٤٧٦ و٤٤٧ و٤٧٨ و٤٧٩) وغيرهم.

وأخيراً.

فليس لنا ملجأ أو دواء نداوى به جراحنا إلا الأخذ بتعاليم الشرع الحنيف، الذى ارتضاه الله لنا دينا وأتم علينا به النعمة، وما انتشار الأمراض التى لايعرف لها علاج، والتى تتفشى وتنتشر فى المجتمعات المنحلة كانتشار النار فى الهشيم، والتى لم تكن معروفة من قبل إلا للانحلال الخلقى، ولانتشار الرذيلة وهذا نداء من النبى ﷺ وجهه للمهاجرين، مبصِّراً إياهم بما كان من أحوال الأمم السابقة، ليأخذوا العبرة، وليتنبهوا وليأخذوا حذرهم من أنهم إن فعلوا ما فعلته الأمم السابقة من انتشار الفواحش إلا لحقها وباء، وأدركتها إصابات يعجز الخلق عن مداواته.

فأعرنى سمعك وبصرك لتسمع هذا النداء النبوى الصادر من قلب من سماه ربه ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ (التوبة:١٢٨).

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:- «يا معشر المهاجرين: خصال خمس، إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن:

لم تظهر الفاحشة فى قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخُذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجود السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا مُنعوا القَطْر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطرُوا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله ﷺ إلا سلَّط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما كان فى أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل، ويتحرَّوا فيما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم»[٦٥].

******

(٦٥) - رواه ابن ماجة والحاكم وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (١٠٦).

قدمنا فيما سبق بعض المخالفات التى تواجه الأسرة المسلمة والتى ألفتها كثير من المجتمعات الإسلامية وربما تدعوا إلى المعروف وتنهى عن هذه المخالفات التى أصبحت عادات مستوردة من المجتمعات الأجنبية فتجد السخرية والاستهزاء، والقذف بالجهل والتخلف عن ركب المدنية الحديثة.

وهذا واضح فى مجتمعنا، فما من عبد التزم بدينه واستمسك بهدى نبيه وسنته وسار على نهجه إلا وجد الصدود والعناد والسخرية والاستهزاء من الأقارب والأباعد، والأصدقاء والأعداء فليس له ملجأ إلى الله، وهذا شاب جرت له هذه المحنة فانبرى يقول:-

عبد سرى في ليلة ظلماء هرباً بتقواه من الفحشاء
هربا من الفتن التي حاطت به من فتنة السراء والضراء
عبد فتي في مستهل شبابه عرف الهدي وطريقه بصفاء
قرأ القرآن تفهماً وتدبراً وكذا اهتدي للسنة الغراء
ورأى حياة الصالحين سعيدة بالخير في الإصباح والإمساء
فتشوقت نحو السعادة نفسهُ وغدا يهدهد شوقه بخفاء
حتى إذا التزم الهدى بعزيمة لله خالصة من الأهواء
نادت به فتن الضلالة جهرة ودعته بالتزيين والإغراء
وتزينت دنياه في أثوابها بمباسم ونواظر كحلاء
وغدت تغر الناس في إغرائها حتى أضلت أكثر الدهماء
ونشأ بمجتمع به اختلط الهدي بقوي الردي والنور بالظلماء
والناس تأخذ منه ما يرضي الهوي فإذا تعارض فهو في إقصاء
إن جئت بالحق الصريح تقيمه وصدعت فيه بسنة بيضاء
لم يعرفوها قبل ذا من جهلهم أوْ لم ترد بوصية الآباء
قامت قيامتهم وروع جمعهم ورأوك مبتدعا وذا إغواء

أتريد تبديلا لدين شيوخنا ... وطريقة العظماء والوجهاء ؟
ومتى عرف هدي النبي ودينه ؟ ... بالأمس كنت فتي مع الجهلاء !
فإذا أقمت عليهم حجج الهدي ... ودمغت باطلهم بدون خفاء
قالوا هذاك متفر ومشدد ... وإذا به استمسكت أنت مرائي !
لما أتاهم بالهدي هذا الفتي ... نفروا نفور الحُمر والحمقاء
واستهزأوا بسلوكه وبدينه ... وعن الهدي فتنوه بالإيذاء
وإن رأوه يلين أو طمعوا بأن ... يصغى لهم فتنوه بالإغراء
فتنٌ على درب تغري الفتي ... وآخرهن لفتنة السراء
فتضايقت أخلاقه من حاله ... كتضايق الإيمان في الأهواء
وجد الدراسة حيث كان قوامها ... أخلاط سوء شاع في الجلساء
بذل النصيحة جهرة وبخفية ... لذويه والأصحاب والزملاء
لا سيما في أهله وقرابة ... جهلوا فناداهم بلطف نداء
لكنهم لم يسمعوا قول الهدي ... لما أتى من أصغر الأبناء
بل حاربوه بكل أمر منكر ... ورموه بالتعقيد والإعياء
لم ينقموا منه سوي أن قالها ... الله ربي جهرتي وخفائي
وأتاه ضيقا بعد ضيق فالتجا ... يشكو إلى المولى عظيم بلاء
ويقول يا رباه عبدك مؤمن ... إني لأخشى فتنة الدهماء
إني أخاف من الضلال وإنني ... أدعوك فاقبلني وضعف دعائي
أنقذ غريقا في الدجي قد راعه ... موج يهيج ووحشة الظلماء
الموج عاصفة الضلال ظلامه ... إن الهدي ملتبس بخفاء
كيف المقام وكيف لي أن أكتم الـ ... ـحق الصريح لرهبة ورجاء
وبيانه لا بد فيه من السلاح ... العلم أفلق حجة الجهلاء
أعني بذاك أولى الحديث وحزبه ... العاملين بهديه الوضاء

هذه حكاية حال أصحاب الهـ ـدي في غمرة الإغراء والإغواء
يا رب فاحفظهم وثبتهم على نصر الهدي والسنة البيضاء
وارزقهم إحياءها ببصيرة وارزقهم صبراً على الإحياء
واجعل لنا فيها نصيباً وافراً يا رب وانصرنا على الأعداء

(من كتاب وقاية الإنسان للشيخ/ وحيد عبد السلام بالي ص ١٧٤-١٧٥)...

******

الخاتمة - والتوصيات

فى ختام هذا البحث الموجز والذى تحدثنا فيه عن «الأسرة فى الإسلام، وما تعانيه من مشكلات، وما تخالف فيه الأحكام والآداب» نتقدم بهذه التوصيات: -

١- يجب تنقية المجتمع الإسلامى من كل الدعوات الوافدة كتحرير المرأة، والمساواة، والحريات الشخصية، وذلك بإصلاح التعليم، ودور الإعلام.

٢- محاربة معنى التحرر المعروف عند الإباحيين بالإباحية المطلقة للنساء واختلاطهم بالرجال حيث شئن وأينما يذهبن بدون قيد أو شرط، وفى إختيار الأزياء العارية.

٣- المناداة بعودة المرأة إلى مقرها الأصلى، وهو البيت وأنها خلقت لتبنى الأجيال، وما جنته المرأة وجناه المجتمع على إثر خروجها من بيتها. ومناداتنا هذه هى لصالح الجيل كله. صغاراً وكباراً.

٤- أثبتت البحوث العلمية أن عمل المرأة أدى إلى انخفاض المستوى الأخلاقى للأبناء.

٥- التفر▪ بين تعليم البنات وتعليم البنين فى المناهج، إذ ما يصلح تدريسه للبنين فى بعض المواد لا يصلح تدريسه للبنات فلكل طبيعته التى يجب علينا أن نؤمن بها، والتفرقة بين التعليم للجنسين، هو احترام لشخصية كل منهما وتكوينه الفسيرلوجى. ولا عجب أن نرى الفتاة تطالب بالعمل فى نفس المجال الذى يعمل فيه الشباب مادام الاثنان قد تلقيا منهجا واحداً وتخصصاً واحداً.

إن تعليمنا يتجه نحو محو شخصية البنت التى ستكون أماً وربة بيت، وتزيد وسائل الإعلام الغربية فى دفعها إلى التمرد، وقد ظهر لدينا نساء

يتنكرن لواجبهن المقدس؛ يرددن شعارات جوفاء، وما دريـن أنَّهنَّ قد وقعْن فى شراك نصبوها لهن بإحكام.

٦- الوقوف إلى جانب الصحوة الإسلامية للتصدى لخطر الهجوم على الأسرة المسلمة، والعمل على التوعية الكاملة المدروسة بوعى وإخلاص وذلك من خلال: -

أ- إعادة النظر فى برامج التعليم فى بلادنا فى مراحلـه جميعا، فنعطى للبنت تعليما نراعى فيه شخصيتها الأنثوية، وتكوينها الفسيولوجى، ويؤهلها لأن تصبح أماً وربة بيت.

ب - أن نعمق التعليم الإسلامى فى مدارسنا، ونصبغ به دروسنا جميعها؛ فيكون لأبنائنا حصناً يقيهم شرَّ الذوبان فى الغرب والإنبهار بمنجزاته.

ج - أن نخصص للأسرة دروساً فى تعليمنا، تعطى للبنات والفتيات على السواء؛ نعمق لديهم مفهوم الأسرة، وقيمها فى المجتمع، وواجبات كل واحد كما حددها الإسلام...

د - أن نقدم لأبنائنا وبناتنا عبر المسلسلات التليفزيونية التى تدخل بيوتنا يومياً، وعبر القصة المقروءة، المثل والقدوة للأسرة المسلمة، وإذا عرضنا نماذج من الأسرة الغربية فذلك إنما نعرضه بقصد نقدها والبحث عن مكمن الفساد فيها.

هـ - أن نحد من زواج أبنائنا بغير المسلمات، وذلك بتوعيتهم قبل سفرهم إلى الخارج، وإشعارهم بأن ما يفعلونه يُعـدُّ جرماً فى حق عقيدتهم وحق أوطانهم.

و - أن نُمتِّن الصلة بأسر أبنائنا المهاجرين فى البلاد الغربية عبر الجمعيات الإسلامية والثقافية الموجودة هناك حتى لا يشعروا أنهم مقطوعون

عن أصلهم ودينهم، حتى لا يكونوا فريسة سهلة فى أيدى المتربصين وأن نقلل لهم من شأن السفر إلى البلاد الغربية، وأنه لا خير فيه إلا للضرورة القصوى، مع مراعاة أن «الضرورة تقدر بقدرها».

ز - أن نحد من خروج المرأة إلى العمل إلا عند الضرورة القصوى، أو ما يتلائم مع تكوينها، وأن نشجعها على البقاء فى البيت ؛ وذلك بمنحها مرتبا محترماً مقابل بقائها فى المنزل، وهذا معمول به فى بعض البلدان الغربية المتقدمة فى عالم التقنية، وقد لاقى هذا الإجراء قبولاً حسناً لدى النساء العاملات فى هذه البلدان والمسلمون أولى بتطبيق هذا. حفاظاً على المرأة وكيان الأسرة والمجتمع.

٧- إعادة النظر فى تقييم بعض الشخصيات والأعلام الشهيرة، والتى لها أثر سيء على الإسلام وأهله.

وكف الإعلام عن تمجيدهم. وإن كان لابد من ذكرهم، فللتحذير منهم، والإشارة إلى ما أثر عنهم.

٨- إعادة النظر فى الحكم على القضايا المعاصرة والتى لها صلة وثيقة بالأسرة والمجتمع، والعمل على تشخيص الداء ووصف الدواء، والاستعانة بالمخلصين، كلٌّ فى تخصصه.

هذا والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

وكتب / أبو عبد الرحمن
على إسماعيل عباس القاضى
السبت ١٦ من شهر الله المحرم سنة ١٤٢٣هـ
الموافق لـ ٣٠ / ٣ / سنة ٢٠٠٢م
فى ميت حلفا / قليوب / القليوبية

المراجع

أولاً :- الكتب.

١- الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د/ محمد محمد حسين الطبعة الخامسة ١٤٠٢، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢- أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى د/ على جريشة ومحمد شريف الزيبق الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - دار الاعتصام.

٣- الأسرة تحت رعاية الإسلام، الشيخ عطية صقر، ط ١٤١١هـ الدار المصرية للكتاب - القاهرة.

٤- الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف للمرداوى مطبعة السنه المحمدية الأولى - ١٣٧٥هـ.

٥- أهداف التغريب فى العالم الإسلامى، للأستاذ أنور الجندى، ط الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف.

٦- البحر الرائق شرح كنز الحقائق لابن نجيم الحنفى ط المطبعة العلمية ١٣٨٦هـ القاهرة.

٧- تحديد النسل وقايةً وعلاجاً د/ محمد سعيد البوطى، مكتبة الفارابى، دمشق، سوريا.

٨- تحرير المرأة، قاسم أمين، ط محمد ذكى الدين، مصر، ١٣٤٧هـ.

٩- تربية المرأة والحجاب، محمد طلعت حرب، ١٣١٧هـ. مطبعة الترقى، القاهرة.

١٠- التفكك الأسرى الأسباب والحلول المقترحة، مجموعة من الباحثين، كتاب الأمة، العدد ٨٣، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، قطر.

١١- حاضر العالم الإسلامى د/ يحى سالم صالح، الطبعة الأولى١٤١٢هـ.

١٢- حراسة الفضيلة للشيخ العلامة/ بكر بن عبد الله أبو زيد الطبعة السادسة ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزى، الرياض.

١٣- حصوننا مهددة من داخلها د/ محمد محمد حسين، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة.

١٤- دراسات فى أحكام الأسرة د/ محمد بلتاجى، مكتبة الشباب، القاهرة.

١٥- دعوة جمال الدين الأفغانى فى ميزان الإسلام، مصطفى فوزى عبد اللطيف غزال، الطبعة الأولى (١٤٠٣) دار طيبة، الرياض.

١٦- رجال اختلف فيهم الرأى، للأستاذ أنور الجندى الطبعة الأولى، دار الأنصار، القاهرة.

١٧- الصحافة والأفلام المسمومة. أنور الجندى الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، دار الاعتصام، القاهرة.

١٨- صحيح الجامع الصغير وزياداته، للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى.

١٩- صحيح مسلم بشرح النووى الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٠- عودة الحجاب جمع وترتيب محمد أحمد إسماعيل المقدم، الطبعة التاسعة ١٤١٦هـ، دار طيبة الرياض.

٢١- فتح البارى، شرح صحيح البخارى، لابن حجر العسقلانى، السلفية.

٢٢- الفقه الإسلامى مرونته وتطوره، الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق -رحمه الله- ط الأمانة العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية ؛ الأزهر الشريف.

٢٣- قاسم أمين، د / ماهر حسن فهمى.

٢٤- لسان العرب، لابن منظور، ترتيب يوسف خياط ونديم مرعشلى، دار لسان العرب، بيروت لبنان.

٢٥- المؤامرة على المرأة المسلمة د/ السيد أحمد فرج، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الوفاء، المنصورة.

٢٦- متى تنفخ الروح فى الجنين، د/ شرق القضاه، ط، دار الفرقان، ١٩٩٠م.

٢٧- المجموع شرح المهذب للإمام النووى، المطبعة السلفية.

٢٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، مكتبة ابن تيمية، الهرم، مصر.

٢٩- المسند للإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، المكتب الإسلامى.

٣٠- المعجم الوسيط، الطبعة الثالثة، مجموعة من العلماء، مجمع اللغة العربية، القاهرة.

٣١- المغنى لابن قدامة المقدسى، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٣٢- مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للشيخ محمد عبده الشربينى، ط، مصطفى الحلبى، ١٣٨٦هـ، القاهرة.

٣٣- موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، الأستاذ أنور الجندى، ط، دار الأنصار.

٣٤- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملى مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٨٦هـ، القاهرة.

٣٥- وثيقة مؤتمر السكان والتنمية، رؤية شرعية للدكتور الحسينى سليمان جاد، كتاب الأمة العدد ٣٥، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، قطر.

ثانياً المجلات التى استعنت بها

١- الأمة القطرية العدد، ٣٥.

٢- البيان، السنة الخامسة عشر، العدد ١٤٩، المحرم ١٤٢١هـ.

٣- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الرابع والأربعون، ١٤٢١هـ والسادس والأربعون ١٤٢٢هـ، يصدرها مجلس النشر العلمى، جامعة الكويت.

٤- المجلة العربية، العدد ٢٩٧، شوال ١٤٢٢هـ، الرياض.

٥- مجلة المجمع الفقهى الإسلامى - العدد السابع ١٤١٤هـ، يصدرها مجمع الفقه الإسلامى برابطة العالم الإسلامى.

٦- حواء، الأعداد ١٢٢٧، ١٢٣١، ١٢٥٤ .

٧- روز اليوسف العدد (٢٩٧٥) الصادر فى ١٧/٧/١٩٨٥م.

* * * * * *

الفهرست

«وضعته أم عبد الرحمن»

الموضوع	الصفحة

الإهداء. ٣

المقدمة. ٤

عنوان البحث والتعريف بمفرداته والمقصود به:- ١١

الفصل الأول ..... ١٥ - ٩٠

(رعاية الإسلام للأسرة)

مكانة الأسرة في الإسلام. ١٥

دور الأسرة تجاه ما يحاك بهم. ١٦

مكونات الأسرة. ١٧

صفات الزوج الصالح. ١٨

صفات الزوجة الصالحة. ٢٢

أولاً- أن تكون ذات دين. ٢٣

تنبيه. ٢٥

ثانياً:- أن تكون من عائلة متدينة منبتها طيب. ٢٦

ثالثاً:- أن تكون ودوداً وحسنة الخلق. ٢٦

التحذير من بعض النساء.
(الأنانة، والمنانة، والحنانة، والحداقة، والبراقة، والشداقة). ٢٧
رابعاً:- أن تكون الزوجة على دراية بحقوق زوجها
وقادرة على إدارة بيتها. ٢٨
وصية غالية من قلب أم حنون حريصة على توفيق فلذة كبدها. ٢٩
خامساً:- أن تكون ولوداً. ٣٠
سادساً:- أن تكون بكراً. ٣١
سابعاً:- أن تكون على قدراً من الجمال والملاحة وتفاوت
الناس في تقدير ذلك، ومعنى الجمال هنا. ٣٣
ثامناً:- أن تكون يسيرة المهر. ٣٤
تاسعاً:- ألا تكون الزوجة قريبة قرابة وثيقة بالزوج،
والصحيح في ذلك. ٣٥
الزواج من غير المسلمات. ٣٦
زواج المسلمة بغير المسلم. ٤٠
الأسرة ليست امرأة فقط. ٤١
الحقوق الزوجية. ٤٢
ماذا نعني بالحقوق الزوجية. ٤٣
أولاً:- حقوق الزوجة على زوجها. ٤٤
١- المهر (حكمه). ٤٤
* ما الحكم إذا تزوجها وشرط في العقد أن لا مهر لها. ٤٦
* وصف المهر. ٤٦

* أقل الصداق وأكثره. ٤٧
* أسماء المهر. ٤٨
٢- الحق الثاني من الحقوق الزوجيه المالية (النفقة) تعريفها. ٤٩
* حكمها. ٥٠
٣- ومن الحقوق الأدبية حرية المرأة في إختيار الزوج. ٥١
* زواج البكر الصغيرة. ٥٢
* زواج البالغ الثيب. ٥٣
* زواج البكر البالغ. ٥٤
٤- أن يعلمها أمور دينها ويكون عوناً لها على طاعة الله. ٥٥
٥- أن يحصنها ويعفها. ٥٦
٦- أن يغار عليها الغيرة المحمودة. ٦٠
٧- أن لا يفشي لها سراً. ٦٠
٨- أن يعدل بين زوجاته، إذا كان متزوجاً بأكثر من واحدة. ٦٠
٩- أن لا يطرق أهله ليلاً. ٦٠
١٠- أن يتزين لها. ٦٠
ثانياً- حقوق الزوج على زوجته. ٦٠
١- القوامة (معنى القوامة). ٦١
* لماذا أختير الرجل للقوامة دون المرأة. ٦٣
٢- الطاعة. ٦٥
٣- أن تقر في بيته، ولا تخرج إلا بإذنه. ٦٦
* لكن هل من حق الزوج أن يمنع زوجته من الخروج من البيت؟. ٦٧

٤- أن لا تأذن لأحد يدخل إلا بإذنه. ٦٧
* والإذن في إدخال البيت نوعان. ٦٨
٥- أن تطيعه إذا دعاها للفراش. ٦٩
٦- أن لا تصوم نفلاً وهو شاهد إلا بإذنه. ٧٠
* ما الحكم إذا صامت المرأة ما عليها من القضاء وهو حاضراً. ٧١
* وهل مثل ذلك الصلاة من تطوع وقيام. ٧١
٧- أن تقوم بخدمته. ٧٢
٨- أن تحفظه في ماله وعرضها وأولاده. ٧٥
٩- أن تشكر له فضله ولا تجحده. ٧٥
١٠- أن لا تفشي له سراً. ٧٦
ثالثاً- الحقوق المشتركة بين الزوجين. ٧٧
١- حسن العشرة. ٧٧
٢- حل الإستمتاع. ٧٧
٣- حرمة المصاهرة بين الزوجين. ٧٧
٤- ثبوت التوارث بين الزوجين. ٧٨
* (موانع الإرث). ٧٨
٥- ثبوت النسب. ٧٩
* دعائم الأسرة. ٨٠
* تقديم حق الزوج على والدي الزوجة. ٨٣
* حال المرأة والأسرة في واقع المسلمين. ٨٤
* حال المرأة والأسرة في الغرب. ٨٥

* من أخبار المرأة والمجتمع الذي لا يدين بدين
ولا تحكمه شريعة. ٨٩

الفصل الثاني .... ٩١ - ١١٦
المشكلات الأسرية:- الأسباب
الآثار، الحلول.
أولاً:- مفهوم المشكلة وتنوعها، ومنهج الإسلام
في علاج المشكلات. ٩٢
* المشكلة في اللغة وفي عرف الباحثين. ٩٢
* ما الذي جعل الزواج نكداً. ٩٣
* وشهد شاهدٌ من أهلها. ٩٤
فما هو منهج الإسلام في علاج المشكلات. ٩٥
ثانياً:- أسباب المشكلات الأسرية. ٩٧
١- عدم حسن الأختيار في الزواج. ٩٧
٢- إجبار الفتاة على الزواج بمن لا ترغبه. ٩٧
٣- عدم اعتبار الكفاءة بين الزوجين. ٩٨
٤- إهمال الحقوق الزوجية. ٩٩
٥- العقاب والشدة في كل صغيرة وكبيرة
وعدم العفو عند الهفوات. ١٠٠
٦- تخلي المرأة عن رسالتها السامية. ١٠١
٧- غياب الرجل عن البيت. ١٠٢

٨- الوضع الإقتصادي للأسرة. ١٠٣

٩- تدخل الأقارب في حياة الزوجين. ١٠٣

١٠- التأثر بحضارة الغرب والأفكار الوافدة. ١٠٤

١١- الأمية الدينية عند الوالدين. ١٠٤

ثالثاً: آثار المشكلات الأسرية. ١٠٥

١- آثار المشكلات على الأفراد. ١٠٥

٢- آثار المشكلات على علاقات الزوجين بالآخرين. ١٠٦

٣- آثار المشكلات على نشر الانحراف. ١٠٧

رابعاً: الحلول والعلاج، كلمة عن المقصود بالضمير،

وهل يصلح أن يكون مصدراً للأخلاق. ١٠٨

١- تقوية الإيمان. ١٠٩

٢- التوعية الدينية للأبوين. ١٠٩

٣- حسن الاختيار لكلا الزوجين. ١١٠

٤- حسن الأسوة. ١١٠

٥- اختيار الصديق. ١١١

من وسائل العلاج ايضاً

٦- المؤسسات الدينية. ١١٢

* دور المسجد ورسالته في إصلاح المجتمع المسلم. ١١٢

الفصل الثالث .... ١١٧ - ١٦٦

الهجوم على المرأة والأسرة المسلمة

محاذير وأخطاء تتعرض لها الأسرة المسلمة. ١١٨

مؤتمرات المرأة. ١١٩

أهداف المؤتمرات الإستشراقية. ١٢٠

مؤتمرات وندوات تهاجم المرأة المسلمة وتمكر بها. ١٢١

١- المؤتمر الدولي للمرأة الأوروبية ١٩٣٤م. ١٢١

٢- الورشة الإفتتاحية لبرامج ودراسات المرأة

بجامعة بير زيت بفلسطين. ١٢٢

٣- ندوة النساء في العالم العربي. ١٢٢

٤- المؤتمر الدولي حول السكان والتنمية. ١٢٢

* أهم القضايا التي عرضها المؤتمر وناقشها وأقرها. ١٢٣

٥- المؤتمر العالمي الرابع للمرأة. ١٢٤

أسماء براقة في حلبة الهجوم على الأسرة المسلمة. ١٢٥

١- رفاعة الطهطاوي. ١٣٠

٢- مرقص فهمي المحامي. ١٣١

٣- لطفي السيد. ١٣٢

٤- لويس عوض. ١٣٢

٥- قاسم أمين والردود عليه وهلاكه. ١٣٣

٦- الشيخ «محمد عبده» الأستاذ الإمام. ١٤٢

٧- عبد القادر المغربي. ١٤٥
٨- طه حسين وردود العلماء عليه. ١٤٧
٩- زكي نجيب محمود. ١٥٠
١٠- نوال السعداوي رائدة العلمانية في السنوات الأخيرة. ١٥٤
١١- يوسف ادريس. ١٥٥
١٢- يحي حقي. ١٥٥
١٣- أمينة السعيد. ١٥٦
* ماذا يريدون من المرأة. ١٦٠
* الرد على الحاقدين. ١٦١
* آثار الدعوات الهدامه على الأسرة والمجتمع. ١٦٢
١)- تحرير المرأة. ١٦٢
٢)- التحلل من القيم والفضائل. ١٦٣
٣)- تدمير المجتمع المسلم. ١٦٣
* مع رائق الشعر (دفاع الشعراء المسلمين عن
القيم والفضائل الإسلامية). ١٦٤

الفصل الرابع .... ١٦٧ - ٢٥٧
مخالفة الأسرة المسلمة لآداب الأحكام

* تقليد المسلمين لغيرهم في الآداب والأحكام المخالفة
في الإسلام وخطره على الأسرة والمجتمع. ١٦٨

* محاظير وأخطاء وافدة يجب الحذر منها. ١٧٤
* مخططات الأعداء ومؤامرت الغزو الثقافي والإجتماعي. ١٧٥
* ومن المخالفات في الأحكام والآداب. ١٧٧
١- نظرية المساواة بين الرجل والمرأة. ١٧٧
٢- دعوة تحرير المرأة والحرية المطلقة. ١٨١
* ماذا يعنون بحرية المرأة والمساواة. ١٨١
* وماذا كانت النتيجة. ١٨١
٣- لباس المرأة المسلمة. ١٨٤
* أهداف اليهودية التلمودية الصهيونية. ١٨٤
* تعريف التبرج والسفور والفرق بينهما. ١٨٧
* بم يكون التبرج. ١٨٨
* وضع قانون لمعاقبة المرأة المتبرجة. ١٨٩
٤- عمل المرأة. ١٩٠
* دعوة خروج المرأة للعمل. ١٩٠
* الآثار المترتبة على خروج المرأة للعمل
(إرضاع الطفل صناعياً). ١٩١
* مشكلات المرأة العاملة. ١٩٢
* العمل والأمومة. ١٩٣
* ومن المشكلات التي تنتج عن عمل المرأة. ١٩٣
* مواقع متعددة للمرأة المسلمة. ١٩٥
* حكم خروج المرأة العاملة. ١٩٦

* أعمال لا يجيزها الإسلام للمرأة. ١٩٨
* شروط عمل المرأة. ١٩٩
٥- الأختلاط ومفهومه. ٢٠٢
* نشأته وتطوره وبداية الاختلاط. ٢٠٣
* بدايات الاختلاط. ٢٠٥
* شبهات دعاة الأختلاط والرد عليها. ٢٠٦
* نتائج الاختلاط وأضراره. ٢١٢
* أحكام الأختلاط. ٢١٤
* الفرق بين الإختلاط والخلوة. ٢١٤
* الاختلاط المباح. ٢١٥
* حتى لا نهلك. ٢١٦
٦- إباحة الإجهاض. ٢١٨
* معنى الإجهاض في اللغة والشرع. ٢١٨
* الإجهاض في عرف الأطباء. ٢١٩
* دوافع الإجهاض. ٢١٩
* متى ينفخ الروح في الجنين وأقوال العلماء. ٢٢١
* التوفيق بين النصوص. ٢٢٣
* الراجح من ذلك. ٢٢٤
* حكم الإجهاض قبل نفخ الروح في الجنين. ٢٢٤
* الراجح من أقوال الفقهاء. ٢٢٩
* الحالات التي يجوز فيها الإجهاض قبل نفخ الروح. ٢٣١

* الرد على من يبيح الإجهاض قبل نفخ الروح لرشاقة المرأة. ٢٣٢
* حكم الإجهاض بعد نفخ الروح. ٢٣٢
* ما الحكم إذا نفخ الروح في الجنين لكن هناك مخاوف تهدد حياة الأم إذا استمر الحمل. ٢٣٣
* موقف الطبيب من الإجهاض شرعاً. ٢٣٥
* قرار المجمع الفقهي الإسلامي في حكم إسقاط الجنين المشوه خلقياً. ٢٣٦
* عقوبة الإجهاض. ٢٣٦
* انفصال الجنين عن أمه ميتاً. ٢٣٧
* متى تجب الغرة. ٢٣٧
* أثر العمد والخطأ في وجوب الغرة. ٢٣٨
* أثر إذن الزوج في وجوب الغرة. ٢٣٩
* ما المراد بالغرة؟ ومن يدفعها؟ ولمن تدفع؟. ٢٣٩
* هل وجوب الغرة مخالفة للقياس. ٢٤٠
* الكفارة. ٢٤١
* الحالة الثانية: إنفصال الجنين حياً ثم يموت. ٢٤٢
* فائده في فتاوى العلماء في تحديد النسل وتنظيمه. ٢٤٥
* حكم قطع النسل بدون عذر. ٢٤٥
* حكم تحديد النسل. ٢٤٦
* استعمال الحبوب لتنظيم الحمل أو قطعه. ٢٤٦
* لا يجوز منع الحمل إلا لضرورة. ٢٤٧

* هنا يجوز إسقاط الحمل. ٢٤٨
* الإجهاض ومؤتمر السكان والتنمية. ٢٤٨
* موقف الأزهر من هذا المؤتمر. ٢٥٠
* موقف رابطة العالم الإسلامي. ٢٥١
* حكم الإجهاض بسبب الحمل غير الشرعي، (الزنا). ٢٥١
* وأخيراً. ٢٥٤
* قصيدة رائعة تصور حال المؤمن المتمسك بدينه أمام الفتن. ٢٥٥
* الخاتمة والتوصيات. ٢٥٨
* المراجع. ٢٦١
* الفهرس. ٢٦٥

* * * * * *